

السيرة النبوية في الكتابات الألمانية

أشغال الندوة الدولية التي نظمتها
مجموعة البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس . فاس
بالتعاون مع
المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ

جمع وتنسيق

الدكتور سعيد المغناوي

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ 1432هـ/2011م

الفهرس

تقديم

شهد القرنان الميلاديان التاسع عشر والعشرون اهتماماً متزايداً من الباحثين الألمان بالدراسات الإسلامية بعامة وبالسيرة النبوية على وجه الخصوص، فقد ترجموا سيرة ابن هشام، وألفوا عن الرسول ﷺ كتباً حول حياته وتنظيمه للجماعة في المدينة المنورة، وعن مغازيه، وتعاملوا مع التراث الذي يروي سيرته ﷺ والشروح والشرّاح الذين تناولوا تلك السيرة في أصولها الأولى. هذا فضلاً عما كتبوه في دوائر المعارف والموسوعات والكتب المدرسية في هذا المجال بغض النظر عن قربهم أو بعدهم من النزاهة العلمية في التأليف.

ولا شك في أن المستشرقين الألمان، كغيرهم من المستشرقين الغربيين، قد وقعوا ضمن دراساتهم للإسلام وتاريخه وأعلامه، في هنات وهفوات مقصودة أو غير مقصودة، ولكن بعضهم أساء كما أحسن بعضهم الآخر في دراساته للتراث الإسلامي وللدراسات الشرقية بصورة أعم، فلا يمكن أن نعمم الحكم عليهم بالإساءة أو الإحسان، بل إن أعمال الواحد منهم متفاوتة في القيمة العلمية، ولهم إلى جانب دراساتهم تلك، جهودٌ لا تُنْكَر في التحقيق والتوثيق، قد تكون لنا عليها ملاحظات، ولكنها تبقى على العموم إضافات للمكتبة العربية والإسلامية تستحق الوقوف عليها للإفادة والتقويم.

وقد تميز الألمان من بين المستشرقين الغربيين بالجدية والمثابرة، وكان لابد للدارسين المسلمين من تتبع دراساتهم وجهودهم في مجال الدرس والتحقيق والتوثيق، ويسعدنا أن نجد أعمالاً جادة في دراسة آثار المستشرقين قدِّمت إلى الندوة الدولية التي نظمتها مجموعة البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله في فاس، يومي 23 و 24 أبريل 2007م بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ.

ولقد كان في تنوّع هذه الأعمال العلمية التي قدمت للندوة، وفي الجدية التي تناولت بها محاورها، ما جعلها جديرة بالنشر والتعميم، فهي تتناول تاريخ البحث

والتأليف في السيرة النبوية عند المستشرقين الألمان، وتبحث في مناهج المستشرقين الألمان في دراسة السيرة النبوية، وفي السيرة في الأدب الألماني، وفي الترجمات الألمانية لكتب السيرة النبوية، والسيرة في دوائر المعارف، وتدرس الاتجاهات الحديثة في كتابتها، وما أُلف عن الرسول ﷺ باللغة الألمانية، وما كتب باللغة العربية عن الاستشراق الألماني في دراسة السيرة، وجهود الألمان في تحقيق تراثها.

وإن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وهي تنشر هذه الأعمال، لتأمل أن يجد فيها القراء الفائدة من جانبين، هما : الجانب النقدي للدراسات الألمانية السابقة في السيرة النبوية، والجانب الببليوغرافي الذي حصر، قدر الإمكان، ما ألفه المستشرقون الألمان في هذا المجال، تحقيقاً ودراسة باللغة الألمانية، ثم ما كتب عن الاستشراق الألماني باللغة العربية في مجال السيرة النبوية.

وتنتهز المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - هذه الفرصة لتقدم الشكر الجزيل إلى كل من بذل جهداً في التحضير والتنظيم لهذه الندوة الدولية المهمة، راجية أن تكون فيها الفائدة القصوى للمشتغلين بالدراسات الإسلامية والتاريخية والمقارنة، وأن يكون فيها تعويض لمن لم يتسنَّ له حضورها في وقتها المحدد.

والله ولي التوفيق والهادي إلى سبيل الرشاد.

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة

الجلسة العلمية الأولى

مناهج المستشرقين الألمان في دراسة السيرة النبوية

المتحدثون :

- د. خالد زهري.
- د. ميكائيل ماركس.
- د. حسن عزوزي.
- د. إدريس مقبول.
- د. أحمد بوعود.

منهج المستشرقين الألمان في قراءة السيرة النبوية في ضوء التصوف والعرفان

د. خالد زهري(*)

إن أهم ما ميَّز السيرة النبوية، في المنظور الصوفي والعرفاني، أنها ليست تدوينا لأحداث ووقائع متصلة، من قريب أو بعيد، بحياة النبي الأكرم محمد ﷺ، وليست تاريخا طويت صُحُفُهُ، وجفّت الأقلام المسجِّلة له، بوفاة خاتم الأنبياء ﷺ، وإنما شكلت؛ عند أهل الذوق والعرفان؛ استمرارا غير ممنون لخصائص النبي الكريم وشمائله، وامتدادا أبديا للحقيقة المحمدية، التي كانت المقصد الأساس الثاوي خلف كل جزئيات السيرة النبوية.

لقد سجل لنا محمد بن إسحاق أنبل وأعظم تاريخ، لأعظم نبي ورسول، وتعقَّبه ابن هشام بتلخيص هذا التاريخ وتهذيبه، ليقدم لنا زبدة ما يجب معرفته من هذا التاريخ وتمثُّله في حياة المؤمن.

بيد أن هذا التاريخ، ليس مجرد أحداث، ولامجرد تسجيل لشمائل نبوية وخصائص مصطفوية، بل هو أيضاً إشراقات عرفانية، وأذواق روحانية. إنه بكلمة : شريعة، وطريقة، وحقيقة.

لِنأخذ؛ مثلاً؛ غزوة بدر. فقد سجلت لنا كتب السيرة دقائقها، وتفصيلات وقائعها. لكنها؛ على كثرتها؛ إذا وضعت في كفة مناجاة النبي الكريم لربه في العريش، حيث عاش حالة وصال، وفناء، وعروج روحي، مع ربه، طلبا للفوز بنعمة النصرة، وتبكيت كفار قريش بنقمة الغلبة، فإن كفة المناجاة ستكون هي الراجحة.

ولولا هذه المناجاة الروحية، لما خُلِّدت غزوة بدر، ضمن أعظم الغزوات، التي عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل، ولما كانت غرة بيضاء، في جبين سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ولاجرم أن الأبعاد الروحية للسيرة، هي التي ترفعها عن مستوى التاريخ المسجل في الدواوين، وتضمن لها الاستمرار في تحريك الدوافع الإيمانية والروحية العميقة لدى المسلم، بل لدى كل إنسان ينشد الحكمة العملية.

(*) الدكتور خالد زهري، (الخزانة الحسنية ـ الرباط).

ومن هذا المنطلق، كانت نظرية انقطاع النبوة من أهم النظريات، التي أسهمت في إفراغ السيرة النبوية من محتواها الحقيقي.

نعم، لانماري في أن نبوة التشريع انقطعت بانقطاع الوحي، عند وفاة النبي محمد ﷺ. ومن جادل في ذلك، فهو كافر بإجماع الأمة. لكن الوراثة النبوية، التي قررها الحديث النبوي: "العلماء ورثة الأنبياء: يحبهم أهل السماء، وتستغفر لهم الحيتان في البحر، إذا ماتوا، إلى يوم القيامة[1]، تصرح أن روح النبوة لم تنقطع، ولن تنقطع، وهي التي عبر عنها أهل العرفان بـ "الولاية"، وذكر الشيخ الأكبر، أنها تسمى، عند أهل النظر، بـ "الاختصاص"[2]، والتي استمدت قوتها من الحقيقة المحمدية، ونظرت إلى

(1) رواه ابن النجار، في "تاريخه"، عن أنس، ورمز إليه السيوطي بالضعف (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1410/1990،ج. 2، ص 352. الحديث 5705). بيد أن ابن حجر قال : "له طرق وشواهد يعرف بها أن للحديث أصلا"، وقال عبد الرءوف المناوي : "وظاهر صنيع المصنف [أي: السيوطي]، أنه لم يره مخرجا لأحد من المشاهير، وهو غفول، فقد خرجه أبو نعيم، والديلمي، والحافظ عبد الغني، وغيرهم، باللفظ المذكور، بعضهم من بعض، من حديث أنس، وبعضهم من حديث البراء" (فيض القدير شرح الجامع الصغير لمحمد عبد الرءوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط. 1، 1356/8391 ج. 4، ص384 ـ 385).

(2) يقول الحكيم الترمذي، مستنكرا على من يدعي انقطاع النبوة بالمفهوم، الذي ذكرناه أعلاه : "ولم يدع الله الحجة مكتومة، في باطن قلبه، حتى أظهرها. فكان بين كتفيه ذلك الختم، ظاهرا كبيضة حمامة. وهذا له شأن عظيم، تطول قصته. فإن الذي عمي عن خبر هذا، يظن أن "خاتم النبيين" تأويله، أنه آخرهم بعثا. فأي منقبة في هذا؟! وأي علم في هذا؟! هذا تأويل البله الجهلة" (كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي، تحقيق عثمان إسماعيل يحيى، منشورات "بحوث ودراسات بإدارة معهد الآداب الشرقية في بيروت"، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،1965، ص 341). وقال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي : "فإن النبوة، التي انقطعت، بوجود رسول الله ﷺ، إنما هي نبوة التشريع، لا مقامها. فلا شرع يكون ناسخا لشرعه ﷺ، ولا يزيد في شرعه حكما آخر. وهذا معنى قوله ﷺ : "عن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي، ولا نبي"، أي: لا نبي بعدي، يكون على شرع يخالف شرعي، بل إذا كان، يكون تحت حكم شريعتي. و"لا رسول"، أي: ولا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرع يدعوهم إليه. فهذا هو الذي انقطع، وسد بابه، لا مقام النبوة. فإنه لاخلاف، أن عيسى عليه الصلاة والسلام نبي ورسول، وانه لا خلاف، انه ينزل، في آخر الزمان حكما، مقسطا، عدلا، بشرعنا، لا بشرع آخر، ولا بشرعه، الذي تعبد الله به بني إسرائيل، من حيث ما نزل هو به، بل ما ظهر من ذلك هو ما قرره شرع محمد ﷺ. ونبوة عيسى ثابتة له محققة. فهذا نبي ورسول، قد ظهر بعده ﷺ، وهو الصادق في قوله : إنه لا نبي بعده. فعلمنا قطعا، أنه يريد نبوة التشريع خاصة، وهي المعبر عنها، عند أهل النظر، بالاختصاص، وهو المراد بقولهم: عن النبوة غير مكتسبة" (الفتوحات المكية للشيخ الأكبر، تصحيح الشيخ أحمد أبي مصلح، دار الطباعة المصرية ببولاق، القاهرة، 1270 ج. 2، ص 3، الباب الثالث والسبعون في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد عند المقابلة والانحراف وعلى كم ينحرف من المقابلة في ذلك). ونقل الشعراني، عن الشيخ الأكبر، أنه قال : "اعلم ان النبوة، لم ترتفع مطلقا، بعد محمد ﷺ، وإنما ارتفعت نبوة التشريع فقط. فقوله ﷺ "لا نبي بعدي، ولارسول بعد"، أي : ما ثَمَّ من يشرع بعدي شريعة خاصة. فهو مثل قوله ﷺ: «إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده. وإذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده»، ولم يكن كسرى وقيصر، إلا ملك الروم والفرس، وما زال الملك في الروم، ولكن ارتفع هذا الاسم فقط، مع وجود الملك فيهم، وسمي ملكهم باسم آخر خير ذلك. وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلي يقول : "أوتي الأنبياء اسم النبوة، وأوتينا اللقب"، أي : حجر علينا اسم النبي، مع أن الحق تعالى، يخبرنا، في سرائرنا، بمعاني كلامه، وكلام رسوله ﷺ. وسمى صاحب هذا المقام من الأنبياء [في المطبوع: أنبياء]: "الأولياء". فغاية نبوتهم التعريف بالأحكام الشرعية، حتى لا يخطئوا فيها، لا غير" (اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار صادر، بيروت، ط. 1424 /2003ج، 2، ص 273).

السيرة النبوية بلحاظ النور المحمدي الأزلي، أو بعبارة أخرى : "النور القديم المحمدي"[1].

وعليه، فمذهب أهل العرفان، أن "النبوة والرسالة"، لا تنقطع بالموت، بل ولا بدخول الجنة[2]. لكن، باللحاظ الذي نبهتُ عليه.

إن هذا المنظور العرفاني للسيرة النبوية، هو الذي أدى إلى ظهور "نظرية الإنسان الكامل"، التي نَظَّرَ لها أحسن تنظير، عبد الكريم الجيلي، حيث جمع ما تفرق من شتاتها، وتوزع من عناصرها، في كتابه " **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل** "، والذي كان محل دراسة الكثير من المستشرقين، خاصة المستشرق الألماني "هلموت ريتر" (1892-1971)، الذي خصه بدراسة جيدة في مقالة له في "دائرة معارف الإسلام" [3].

لقد أبرز عبد الكريم الجيلي، في هذا الكتاب، أن الذات المحمدية ظاهر وباطن، ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر، لفهم هذه الذات، إن على مستوى سيرته ﷺ وشمائله، أو على مستوى أوامره ونواهيه.

بل كانت هذه النظرية مصدر إلهام لكثير من المفكرين والفلاسفة الألمان، منهم المفكر المعاصر محمد كاليش[4] Mohammad Kalisch، الذي اعتبر "نظرية الإنسان الكامل"، تتجسد بمحبة شخص النبي محمد ﷺ، والاقتداء بسيرته. فقد قال، في مقال له حول أزمة الصور الكاريكاتيرية، المسيئة لخير خلق الله محمد ﷺ: "فإن الأمر، الذي لا يطاله[5] الشك، هو أن العالم الإسلامي برمته، يرى في شخص النبي محمد المثل الأعلى، والإنسان الكامل، الذي على المسلم أن يقتدي به. ومن هنا، لا عجب أن يُكِنَّ المسلم للنبي محمد الحب والاحترام، والتوقير والإجلال[6].

(1) مسالك الحنفا إلى مشارع الصلاة على المصطفى لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني، اعتنى به حسين محمد علي شكري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005/1426، ص441.

(2) الكشف والتبيان عما خفي عن الأعيان من سر آية ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان لمحمد بن عبد الحي الكتاني، منشور مع رسائل أخرى للمؤلف نفسه، تحقيق إسماعيل المساوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 2004/1425، ص 125. وانظر تفصيل ذلك في الكتاب نفسه، ص 124ـ127.

(3) موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط، 4. 2003، ص 279.

(4) محمد كاليش : مسلم ألماني، متخصص في الفقه الإسلامي، وأستاذ بجامعة مونستر.

(5) في المطبوع : لا يطوله.

(6) أزمة الصور الكاريكاتيرية: الطريقة التي تشوه بها صورة الإسلام وجهة نظر، لمحمد كاليش، ترجمة عدنان عباس علي، مجلة "**فكر وفن**"، عدد 83، السنة 44، 2006، ص5.

والعارف، بأخذه بمقتضى هذا الظاهر، وهتكه لأستار ذاك الباطن، إنما يرى سريان النور المحمدي، في كل حركات وسكنات النبي، مما هو مزبور في كتب السيرة، بل كانت هذه العقيدة، مما تُفْتَتَحُ به المؤلفات، من قبيل قول الوزير الغساني، في أول خطبته على شرح " الصلاة المشيشية " الحمد لله الذي جعل النور المحمدي أصل الكائنات، فاستنارت به العوالم، في الأرضين والسماوات، وبه قامت الموجودات، من إنس، وجن، وأملاك، وجمادات، وعجماوات. ورشّ به الأرواح، في العالم الأسنى. فمن أصابه بلل، كان ممن صدق بالحسنى، وبث الأسرار في صدور الأحرار، فامتلأت حكمة وإيمانا، وفاض من ذلك على ظاهرهم بجملهم. فمهما نظرت إليهم، ازدادوا في عينك حسنا، وفي قلبك إيقانا. أطلع على قلوبهم شموس التحقيق، وكحل أعينهم بإثمد التوفيق، وسقاهم من مياه محبته أنهارا، وصارت الليالي بهم نهارا، وجلاهم في قلوب عباده، بما حصل لهم من محبته ووداده، ووضع لهم القبول، فنالوا غاية الأمنية والسول[1].

كما كانت هذه العقيدة، مما تُختتم به مؤلفات الصوفية، من قبيل ما ختم به مصطفى البكري رسالته "صادحة الأزل": "وصلى الله على من تحقق بالنور الأعظم، في أشرف منزلة. فكان يمشي، ولا ظل له، محمدٍ، وآله، وأصحابه[2].

وظلت حاضرة في صلواتهم على النبي ﷺ ، ومما قيل في ذلك :« اللهم صلي على سيدنا محمد السابق للخلق نوره»[3] وكان الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي يقول في ورد يوم الأحد، من "أوراده": "... والنور الأكمل البهي، القائم بكمال العبودية، في حضرة المعبود، الذي أُفِيض عليَّ من حضرة روحانيته، واتصلت بمشكاة قلبي أشعة نورانيته[4].

(1) شرح الصلاة المشيشية لأبي العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني، مخطوط محفوظ في الخزانة الحسنية بالرباط، مسجل تحت رقم 13522، الورقة 35 ب.

(2) منشورة مع "تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية" للجلال السيوطي، والمورد العذب لذوي الورود في كشف معنى وحدة الوجود لمصطفى البكري، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006/1427، ص135.

(3) دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار" لمحمد ابن سليمان الجزولي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998، ص 105.

(4) أوراد الأيام والليالي للشيخ الأكبر، ضبطه عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006/1427، ص 29.

وذلك، من أجل الوصول إلى حقيقة عرفانية، وهي أن انقطاع النبوة، كان على مستوى توقف الذات الظاهرة عن الحركة والفعل بالوفاة، وأن انقطاع الوحي كان على مستوى انقطاع التشريع النبوي.

بيد أن النور المحمدي، ما زال قائما، وسيظل قائما، وهو الذي يمثل المَعين، الذي لا ينضب، والذي يستقي منه الأولياء معارفهم، ويتمثلون به سيرة المصطفى ﷺ في سيرتهم، مما يجعل سيرتهم نابضة بالحياة، تعجّ بالحيوية والحركة، لا كما فعل المؤرخون، عندما جعلوها تاريخا مَحْضًا يُدَرَّسُ، ويُدَوَّنُ، من أجل استنباط العبر والحكم.

ومن هنا، لم تخل كتب طبقات الصوفية من الإشارة إلى التقاء بعض الأولياء مع الرسول ﷺ، ومكالمته، والتحدث معه. ففهم الدارسون لها، من الوقَّافين على الرسوم وحدود الألفاظ، أنهم يقصدون الالتقاء الحقيقي، والاتصال المباشر بالذات المحمدية المركبة من الدم واللحم.

والفهم الأليق بالاعتبار، والمقصود المراد من مُدَّعي اللقاء، أنه التمثل العرفاني للأبعاد الروحية، التي كانت تلازم الرسول الأكرم، في كل صغيرة وكبيرة، من سيرته. وبالتالي، الاستمداد من مدد النور الأزلي المحمدي، الذي يعطي السيرة النبوية بُعْدَهَا الخلودي.

ومن تجليات الحضور العرفاني لسيرة الرسول الأكرم وشمائله، أن العارف الشهير أبا عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، ألف "كتاب ختم الأولياء"، فذكر فيه خصائص الولي وشمائله، وقدَّمها بالدرس والتحليل على ضوء خصائص النبي وشمائله، بل تكلم عليهما في سياق واحد، إيذانا منه بأن النبي والولي، وظيفتهما في هذا الكون متناظرة، ولا فرق بينهما، وبين سيرتهما، إلا في أن هذا اتصاله بالله عن طريق الوحي، والآخر اتصاله بالله عن طريق الإلهام.

وهذه الإشارة إلى التداخل بين وظيفة النبي والولي وسيرتهما، هي التي أدت بعلماء الرسوم إلى سوء فهم الرجل، وعدم إدراك مقصوده. فاتهموه بادعاء النبوة، وكفروه، وطردوه من بلده "ترمذ"[1].

(1) بدو شأن أبي عبد الله للحكيم الترمذي، منشور مع "**كتاب ختم الأولياء**"، ص18.17.

إن الرجل كان يقصد إلى جعل السيرة النبوية حَيَّةً في نفوس المسلمين، وإكسابها عنصر الخلود بخلود الزمان والمكان. فإذا كان للأنبياء ختم، فللأولياء ختم، وولي الله حقا، هو الذي اجتباه وهداه، فصار ختما لأوليائه، وتمثل الحقيقة المحمدية، فكان خادما لشرع الله، ظاهرا وباطنا، كما أن النبي محمدا ﷺ كان ختما للأنبياء قبله، فكان شرعه مهيمنا على الشرائع قبله[1].

وعليه، فإن حاجي خليفة، عندما نسب إلى الحكيم الترمذي كتابين : أحدهما بعنوان "**كتاب ختم الأولياء**"[2]، والآخر بعنوان "**ختم الأنبياء**"[3]، فإنه قد جانب الصواب، لأن العنوانين؛ عند التحقيق؛ عنوانان لكتاب واحد. فقد تكلم فيهما المؤلف على " النبي" و" الولي"، في طَلْق واحد. فيكون كِلا العنوانين سِمَةً له، بل إن الحكيم الترمذي، تكلم فيه على النبي بالأصالة، والولي بالتبع.

لقد كانت الخلافة العباسية السُّنية تؤمن "بانتهاء النبوة، وتوقف الوحي نهائيا، مع خاتم النبيين والمرسلين"، فلجأت إلى حماية الفكر الديني الرسمي بشقيه المعتزلي[4] والسني"، بسلاح " العقل الكوني اليوناني" [5]، وأسست الحركاتُ المناهضةُ للدولة العباسية معارضتها على سلاح " العقل المستقيل[6][7].

ولا جرم أن المذاهب الشيعية برمتها، تقوم على عقيدة "وراثة النبوة[8]، التي يلزم عنها الحق في الحكم، أي : "وراثة الخلافة"، وما يلزم عن ذلك من وجوب تنصيب الإمام العلوي حاكما مطلقا.

لا يمكن؛ من خلال ذلك؛ أن ندعي أن الحكيم الترمذي كان شيعيا، بل إنه من أكبر الذائذين عن مذهب أهل السنة والجماعة، ولكنه يشترك مع الشيعة، في القول بعدم

(1) كتاب **ختم الأولياء للحكيم الترمذي**، ص 336 ـ 346.

(2) كتاب "**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**"، تصحيح محمد شرف الدين يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي، وكالة المعارف، إستنبول، ج 1362/1973،ج 2، ص 1415.

(3) **كشف الظنون**، ج.1، ص 700.

(4) الشق المعتزلي كان في خلافة المأمون، والمعتصم، والواثق.

(5) أي : منطق أرسطو.

(6) أي : العرفان.

(7) تكوين العقل العربي لمحمد عابد الجابري، سلسلة "**نقد العقل العربي**":1، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط.4، 1991، ص 231.230.

(8) أي : الولاية وعصمة الإمام.

انقطاع الوراثة النبوية، وباستمرارها في شخص الأولياء. إن نظريته، لا تتنكر للسلطة السنية القائمة، لكنها لا توافقها في القول بانقطاع الوراثة النبوية.

ومن الأحاديث، التي يرويها، في القول بامتداد الوراثة النبوية، الحديث الذي رواه، في "نوادره"، وهو أن الأرض شكت إلى الله تعالى ذهاب الأنبياء، وانقطاع النبوة، فقال لها : "**سوف أجعل على ظهرك صِدِّيقِين**" ، فسكنت[1]. ويقول في ذلك : "**فالصِّدِّيقون أمان أهل الأرض**"، وهم خلفاء النبيين. لما خلت الأرض عن النبوة، شكت إلى الله تعالى، وعَجَّت، فقال : "**سوف أجعل عليك أربعين صِدِّيقا**"، كلما مات واحد، بدل الله مكانه[2].

وعندما أعاد المستشرق الألماني "بيرند راتكه" نشر "**كتاب ختم الأولياء** "، بعد أن عثر على نسخ مخطوطة أخرى، غير النسختين اللتين اعتمدهما عثمان إسماعيل يحيى في نشرته، التي ظهرت سنة 1965، اصطفى للكتاب عنوانا آخر[3]، وهو "**سيرة الأولياء**"[4].

ربما لا أتفق مع "بيرند راتكه"، في اختياره لهذا العنوان، إذ إنني أرجح أنه عنوان آخر لكتاب " **تاريخ المشايخ** "، الذي نسبه الهجويري، في " كشف المحجوب "، إلى الحكيم الترمذي[5]، وكان من المصادر، التي اعتمد عليها الهجويري في تأليف هذا الكتاب.

لكنني، بغض النظر عن ذلك، أعتبر "بيرند راتكه"؛ باصطفائه للعنوان المذكور؛ من المستشرقين الألمان، الذين أدركوا الخيوط الدقيقة، التي تربط بين "النبوة" و"الولاية"، واستشفوا التداخل العميق بين "سيرة النبي" و"سيرة الولي".

(1) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد الرحمن عميره، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412/1992،ج.1، ص263، الأصل 15.

(2) نوادر الأصول، ج. 2، ص 98، الأصل 123. انظر أيضاً المصدر نفسه، ج. 3، ص61ـ69. الأصل 222.

(3) كتاب سيرة الأولياء ضمن "**ثلاثة مصنفات للحكيم الترمذي**"، القسم الأول: النصوص العربية، سلسلة "**النشرات الإسلامية**". 35 /"أ"، تحقيق بيرند راتكه، دار النشر فرانتس شتاينر شتوتكارت، بيروت، /14121992.

(4) يعتبر بيرند راتكه، أن "**كتاب سيرة الأولياء**" عنوان آخر لـ "**كتاب ختم الأولياء**"، انظر:

- Radtke (Bernd), Drei Schriften des Theosophen von Tirmid, Beirut, 1996, p. 27-33.
- Radtke (Bernd), Al-Hakîm at-Tirmidî: Ein islamischer theosophy 3/9. Jahrhunderts, islamkundliche untersuchungen - band 58, Klaus Schwartz verlag, Freiburg, 1980, p. 40.

(5) كشف المحجوب، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ج1، ص243.

وممن أعطى للسيرة النبوية بُعْدا جماليا، بتحويلها إلى فن راق، المستشرق الألماني الكبير "هامر بورجشتال" Josef Von Hammer-Purgs TALL (1774-1856)، الذي ألف دراما عن "سيرة النبي"[1]، واقتفى أثره؛ في ذلك؛ الأديب والشاعر الألماني الشهير "جوته " Goethe"، بتأليف دراما على غرارها[2]، حيث قدم منها، لمسرح مدينة Weimar، سنة 1773، "الفصل الأول لمناجاة الرسول، حين خلا بنفسه ليلا، في بادية، تحت سماء صافية النجوم"، "وبعد هذه المناجاة، يدير شاعرنا حوارا، بين محمد ومرضعته حليمة"، "ثم يختم مناجاة النبي، بقوله : "**فارتفع، أيها القلب العامر؛ بالحب، نحو خالق السماء والأرض، وخالق النفس**"[3].

واعتبر أستاذي، المستشرق الألماني " برند مانوئيل فايشر" Bernd M. Weischer، أن "الحب الرومانتيكي، هو الذي أوحى له[4] القوة العقلية اللازمة لتأليف مؤلفاته عن الشرق، أي : الشرق الإسلامي فقط [5].

ومن الألمان، الذين استهوتهم السيرة النبوية، فتعاملوا معها تعاملا رومانتيكيا، الشاعر "ريلكه" (وُلِد سنة 1875)، حيث نظم، سنة 1907، قصيدة وَسَمَها بـ "رسالة محمد[6].

وليس هذا بالأمر الغريب عن الفلاسفة والمفكرين الألمان، الذين لم يخفوا انبهارهم بجمال الشرق، وبحِكْمته الموغلة في عوالم الروح، يقول فريدريك شليجل، الفيلسوف الرومانتيكي الألماني : إن أسمى فلسفة أوربية، وهي مثالية التفكير، كما وصفها فلاسفة الإغريق، تبدو ـ حتى قورنت بالحياة والنشاط الزاخرين للفلسفة الشرقية المثالية ـ كبصيص ضوء، مقابل فيض كامل من ضوء الشمس[7].

---

(1) يذكر نجيب العقيقي، أن من آثاره: "أقوال النبي محمد"، الذي نشره في "فيينا"، سنة 1853 (المستشرقون لنجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، 1965، ج 2، ص 629.

(2) لمعات : محاضرات جامعية عن مواضيع شرقية، للمستشرق الألماني برند مانوئيل فايشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 75. وانظر أيضا "شخصية رسول الله ﷺ بين تصوير الوحي وتصوات الدارسين لسعيد المغناوي، مطبعة آنفو برانت، فاس، ط1، 2003/1424، ج2، ص 609.

(3) نور الشرق: محاضرات أدبية، لبرند مانوئيل فايشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص 78.

(4) أي : للمستشرق Josef Von Hammer- Pungstall.

(5) لمعات ، ص 76.

(6) شخصية رسول الله، ج 2 ، ص 609.

(7) أصل الإنسان وسر وجوده : "فلسفة الروح"، لباسمة كيال، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 2، 1982، ص 44.

وحيث لم يخل فكر الألمان، وعطاؤهم العلمي، والفكري، والفلسفي، من الذوق الجمالي الرفيع، فلا غَرْوَ أن نُلْفِيهم رادفوا، بين ″الأدب″ و″التراث″، على كثرة فنونه وفروعه[1].

وهم الذين ظلت الرومانسية عصب إبداعاتهم، بمختلف مشاربها، وفنونها، وتخصصاتها، بل ظلت من أبرز تجليات الجمال والحب الرفيع؛ عندهم؛ على ما أوتوا من عمق في التأويل العقلي، والفهم العلمي الدقيق. يقول الفيلسوف الألماني هانس جورج غادامر Hans Georg Gadamer: إننا ندين للرومانسية الألمانية بمعرفتنا، بأن الكيان اللغوي للحديث، هو العامل الحاسم، في الفهم. فهي علمتنا، أن الفهم والتأويل، هما؛ في نهاية المطاف؛ أمر واحد[2].

لقد اكتشف غادامر، ″أن الجمال والفلسفة، ما هما، إلا مظهران للتجربة الدينية: فالإنسان يولد شاعرا، ثم يتأمل في الكون، وأخيرا يكتشف الأصل الأول، والوحدة المطلقة، عودا إلى ″شلينغ″، والمثالية المطلقة. وهي تجربة الشعر الصوفي، عند ابن عربي، وابن الفارض. وربما هو السر في إعجاز القرآن، من اللغة، إلى الطبيعة، إلى ما بعد الطبيعة[3].

وبناء على ذلك، نقول، على جهة الافتراض والاحتمال : إن ″غادامر″، الفيلسوف المتعدد الأبعاد، الذي درس ″الآداب الرومانية والجرمانية، والتاريخ، والموسيقى، وتاريخ الفن، وعلم النفس، والفقه الإسلامي، واللغة السنسكريتية[4]، والذي طبق نظريته الجمالية الفلسفية الدينية، في كل المجالات، وخاصة في التجربة الدينية، التي تظهر في ″الله، باعتباره الشعور العميق، أو أكثر أعماق الشعور″[5]، لو أنه اطلع على السيرة النبوية، فلعله كان سيقدم لنا مستويات عميقة، في فهم مجرياتها، وتأويل أحداثها، بحيث لا تقل عمقا عن تجاربه الناجحة، في خوض غمار العلوم والفنون والتجارب الأخرى.

---

(1) انظر تفصيل ذلك، في مقال لعبد السلام حيدر، بعنوان : "**الإستشراق الألماني وتاريخ الأدب العربي**"، مجلة "**فكر وفن**"، العدد 81، السنة 2005.43، ص 52 ـ 55.

(2) اللغة كوسيط للخبرة الهرمنويطيقية لهانس جورج غادامر، ترجمة جورج تامر، مجلة "**فكر وفن**"، العدد 75، السنة 2002.39، ص 47.

(3) لقاء مع فيلسوف ″هايدلبرغ″ لحسن حنفي، مجلة "**فكر وفن**"، العدد 75، السنة 39. 2002، ص 49.48.

(4) الحداثة والتراث : جدلية الفهم عند هانس جورج غادامر، لحسين الموزاني، مجلة "**فكر وفن**"، العدد 57، السنة 39 ـ 2002، ص50 .

(5) لقاء مع فيلسوف ″هايدلبرغ″ لحسن حنفي، مجلة "**فكر وفن**"، العدد 57، السنة 39-2002، ص48-49.

وسنرى، بعد حين، أن الصوفية وأهل العرفان، قد نظروا إلى السيرة النبوية بلحاظ الحب الإلهي، بحيث كانت هذه السيرة هي القطب، الذي تدور حوله كل أفكارهم الصوفية والعرفانية.

ومهما يكن من أمر، فإن المستشرقين الألمان، كانوا أعمق فهما للسيرة النبوية، باستحضارهم للأبعاد الرومانتيكية، في دراستها، والتعامل مع قضاياها.

ولعل هذه الأبعاد الرومانتيكية، هي التي مكنت المستشرق الألماني الرائع، الشاعر "روكيرت. (1788-1866) Friedrich Riickert، أن يقدم لأبناء جلدته، وللناطقين بالألمانية قاطبة، ترجمة لسورة قرآنية بلغة جميلة جدا، تجعل "القارئ الألماني، الذي لا يعرف العربية، أن يتصور جيدا جمال أسلوب القرآن"[1]، وبعبارة فايشر: "ترجمة فريدة من نوعها، لأنها كانت المحاولة الأولى والأخيرة، بسجع ألماني، لكي يعكس النص الأصلي[2]. إنها ﴿**سورة الضحى**﴾، التي تصور لنا بعض أبرز معالم سيرة النبي محمد ﷺ[3].

لكن، هل حالف الحظ كل المستشرقين الألمان، فأوصلتهم مناهج بحثهم ودراستهم للتراث الإسلامي العرفاني إلى إدراك أبعاد التداخل بين السيرتين: "سيرة النبي"، و"سيرة الولي"؟. لايتسع المقام هنا لاستقصاء كل المستشرقين الألمان، الذين أدلوا بدلوهم في هذه المسألة، وقرأوا نظريات علماء الإسلام في "النبوة" و"الولاية"، تفكيكا، وتأويلا، وإعادةَ بناء.

بيد أنني سأقتصر على المستشرق الألماني الشهير، الدكتور "هلموت ريتر Hellmut Ritter، من خلال تحقيقه لـ "**كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب**"[4]، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري القيرواني، المعروف بابن الدباغ، المتوفى سنة 696هـ، حيث نشره في بيروت، سنة 1959، في 141 صفحة[5].

(1) لمعات، ص79.

(2) لمعات، ص79.

(3) انظر الترجمة الألمانية لسورة الضحى في "لمعات" (ص80).

(4) انظر الكلام على هذا الكتاب ونسخه المخطوطة في

- Brockelmann (Karl), Geschichte der arabischen litteratur, supplementrand I, ed. E. J. Brill, Leiden, 1937, p. 812.

- Brockelman, op. cit., S. II, 1938, p. 337.

(5) موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي، ص 278. بيد أن نجيب العقيقي، يذكر أنه طبع، في بيروت، سنة 1960 (المستشرقون، ج2، ص797).

يعتبر هذا المستشرق الألماني الألمعي، من أبرز المستشرقين، الذين غاصوا في أعماق التراث الإسلامي، بمختلف اللغات الشرقية، خاصة العربية، والفارسية، والتركية[1].

بيد أنه؛ عند تحقيقه للكتاب المذكور؛ قدم له بدراسة موجزة، تؤكد أنه لم يفهم طبيعة العلاقة، بين النبي محمد ﷺ وورثته من الأولياء، ولا أدرك الامتداد الأبدي للسيرة النبوية والشمائل المصطفوية، من خلال سيرة الأولياء.

ربما كان "ديبور" موفقا، عند تحليله للمدينة الفاضلة عند الفارابي، باستنتاجه، أن رئيس هذه المدينة، "هو أفلاطون في ثوب النبي محمد[2]. ولو تنبه "هلموت ريتر" إلى علاقة السيرتين المذكورتين، ودرس كتب الصوفية والعرفاء، على ضوء السيرة النبوية، في بُعْدها الروحي، لقال كلاما مشاكلا لكلام "ديبور"، وهو أن ابن الدباغ، في كتابه المذكور، يتحدث عن الولي في ثوب النبي محمد ﷺ.

أول ما ينبغي أن نشير إليه، هو أن "هلموت ريتر"، ترجم كتاب "**كيمياء السعادة**" لأبي حامد الغزالي[3]، من الفارسية إلى الألمانية[4]. واعتبر من "مؤلفات العرب في العشق"، التي وَسَمَهَا بأنها "**حسنة جيدة**"، وأنها "لقيت رغبة عظيمة، عند الطبقة المثقفة، في أوربا، وما تزال مطلوبة مقروءة" **كتابَي** "**إحياء علوم الدين**"، و"**كيمياء السعادة**"، للغزالي[5].

لا جرم أنه يقصد من "**إحياء علوم الدين**" أحد كتبه الأربعين المكوِّنة لمجموعه، وهو "**كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا**"، وهو الكتاب السادس، من ربع المنجيات،

(1) انظر ترجمته بتفصيل، في: "المستشرقون" لنجيب العقيقي"، ج2، ص 796-797. "موسوعة المستشرقين" لعبد الرحمن بدوي، ص277-280. "معجم أسماء المستشرقين" ليحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425/2004، ص 410-411.

(2) نحن والتراث (قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي) لمحمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ط6. 1993، ص67.

(3) كتاب "**كيمياء السعادة**" العربي، غير صحيح النسبة لأبي حامد الغزالي. أما الكتاب، الذي لا يشك في صحة نسبته إليه، فهو "كيمياء السعادة" الفارسي، وهو بعنوان "كيمياي سعادت".

(4) موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي، ص279.

(5) مقدمته على تحقيقه لكتاب "**مشارق أنوار القلوب**"، دار صادر، بيروت، د. ت، صفحة أ.

من كتاب "**الإحياء**" [1]. ويقصد من "كيمياي سعادت" أحد الأصول المكونة للركن الرابع: ركنِ المنجيات[2]، وهو الأصل التاسع[3]: أصلُ المحبة والشوق والرضا[4].

والتأمل في الكتاب والأصل المذكورين، يوصل إلى القول بأن أبا حامد الغزالي، كان يقصد منهما، أن سيرة المسلمين عموما، والأولياء خصوصا، يجب أن تحاكي مثالات سيرة النبي الأكرم في المحبة والشوق. وذلك، بسبيل تمثُّلها ظاهرا، وتذوقها باطنا. فقد قال الغزالي، في فاتحة خطبة "**كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا**": "الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونضرته، وصفى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته، ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته، ثم تجلى لهم بأسمائه وصفاته، حتى أشرقت بأنوار معرفته"[5] وكانت هذه الفاتحةُ الأصلَ الذي فرَّع عليه كل مباحث الكتاب، لتأخذ المحبة معناها الحقيقي، من خلال استكناه أبعادها القلبية.

ولا غرو أن هذا مستوحى من أهم خصيصة في سيرة النبي الأكرم، وأبرز منقبة في شمائله، وهي أن تتجاوز المحبة أبعاد الانبهار بالجمال الحسي إلى مرتبة الانبهار بجمال حضرة الربوبية، واستقبال إشراقات أنوار المعرفة. فقد قال الله تعالى في وصف رسوله الكريم: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا**﴾[6]، ومحاكاة مثالات هذه الخصيصة من أهم معالم الولاية.

أقول عودا على بدء: إن "هلموت ريتر"، بإقراره أن "إحياء علوم الدين" و"كيمياء السعادة"، من أهم المؤلفات في المحبة والعشق، واعتباره لكتاب "**مشارق أنوار القلوب**" "مثالا جيدا لأقوال المتصوفين في العشق[7]، كان يلزم أن يلفته ذلك إلى حضور السيرة

(1) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وبذيله "كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار" لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن حسين العراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج4، ص311 ـ380.

(2) ركن جهارم در منجيات.

(3) أصل نهم در محبت وشوق ورضا.

(4) كيمياي سعادت، تحقيق حسين خديوجم، مركز انتشارات علمي وفرهنكي، طهران، 1983ج.2، ص569–619.

(5) إحياء علوم الدين، ج4، ص 313.

(6) سورة الكهف، الآية 28.

وانظر تفصيل الكلام على زهده صلى الله عليه وآله وسلم، في "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، تحقيق محمد أمين قره علي وآخرين، دار الفيحاء، عمّان، ط، 2، 1986/1407، ج1، ص 278.283.

(7) مشارق أنوار القلوب، ص2.

النبوية بأبعادها الروحية، والشمائل المصطفوية، في كل أبواب الكتاب. لاسيما، أن ابن الدباغ، ذكر في خطبة الكتاب، أنه ألفه نزولاً عند رغبة سائل سأله أن يكشف له "عن حقيقة السلوك إلى جناب الأحباب، والوصول إلى حضرة الجمال الإلهي، التي تحوم عليها القلوب والألباب، ومشاهدة النور الأعلى، ومحاسن صور العالم الأرفع الأسنى، والوقوف بالوادي المقدس طوى[1].

وَوَصَفَ النبيَّ ﷺ، بأنه "حاز من شرف المقامات النبوية أَجَلَّ موهوب، وأشرف مطلوب[2]، وأنه "كان أتم مقاما"[3]. مما يوحي، بأن حقيقة السلوك، المفضي إلى حضرة الجمال الإلهي، إنما سبيله محاكاة ما تضمنته الشمائل النبوية من مشاهدات نورانية.

هذا، وإن عبارة "مشاهدة النور الأعلى"، تحيلنا إلى نظرية النور المحمدي الأزلي، التي تعتبر من صميم النظريات، التي بُنِي عليها التراث الصوفي والعرفاني.

ومن أهم دلالات ذلك، أن ابن الدباغ، كان يشير إلى الحقيقة المحمدية في كل المواضيع التي بسطها في كتابه، من محبة، وجمال، وكمال، وسلوك، ومعرفة، ووصول، وتمكين، وعشق، إلخ.

ومن سبل "الوصول إلى حضرة الجمال الإلهي"[4]، ومعنى "الكمال الباطن": "اجتماع الصفات الفاضلة في الإنسان على اعتدالها، وتطبعه بها. والصفات الفاضلة العقلية كثيرة، ولكن أمهاتها أربع، وهي : الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدالة.

فمن هذه الصفات، تفرّعت سائر الفضائل المكمّلة لذات الإنسان[5]. والإنسان الكامل، هو الذي يتمثل هذه الصفات برمتها : "ولا يكمل الإنسان، إلا باجتماعها فيه كاملة. ولا تكمل هي في نفسها، إلا باعتدالها[6].

وهذا يحيلنا إلى "نظرية الإنسان الكامل"، التي ذكرنا آنفا، أن المقصود به النبي محمد ﷺ، وهو المعنى الباطني لهذا النبي الكريم، وهو الروح، التي تظل سارية، بعد

(1) مشارق أنوار القلوب، ص2.

(2) مشارق أنوار القلوب، ص2.

(3) مشارق أنوار القلوب، ص 88.

(4) مشارق أنوار القلوب، ص 2.

(5) مشارق أنوار القلوب، ص41.

(6) مشارق أنوار القلوب، ص41.

ختم النبوة. لقد "تفرد محمد ﷺ بالكمال، فختم الكمالات والمقامات الإلهية باطنا، وشهد له بذلك ختمه لمقام الرسالة ظاهرا [1].

ومن هنا، يمكن القول : إن الأولياء، ما هم إلا انعكاس لهذه الحقيقة المحمدية[2]. ولذا، وصف الصوفية الرسول محمدا ﷺ بأنه "جوهر عقل كل وَلِيّ، وضِيَاه[3].

إن أهم ما يطبع السيرة النبوية، هي خُلُقُهُ العظيم، بل كل ما دُوِّن فيها، إنما القصد منه إثبات كمال خُلُقِهِ. ويمكن القول: إن السيرة النبوية برمتها، لا تزيد عن كونها تفسيرا لقوله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[4]. ولاريب أن كمالها يتجاوز الأخلاق الضابطة للجوارح الظاهرة، والمخلِّية للقلب من الأمراض الباطنة، إلى مستوى تذوق هذه الأخلاق، والارتقاء بها من محاسن صور العالم الأدنى إلى "محاسن صور العالم الأرفع الأسنى"[5]. معنى، أن تضبطها قوانين الشرع، وتتأيد بالعقل، أعني العقل العرفاني، الذي يسمو إلى عالم الملكوت، لا العقل المجرد، الذي لا يتعدى أفق عالم المُلْك.

يقول ابن الدباغ، في أمهات الصفات الفاضلة العقلية الأربع، المذكورة قبل حين: ولا يكمل الإنسان، إلا باجتماعها فيه كاملة، ولا تكمل هي في نفسها، إلا باعتدالها. واعتدالها بكونها تجري على قوانين الشرع المؤيد لقضايا العقل، إذ بالشرع تكمل محاسن الأخلاق، كما قال ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [6] [7].

إن هذه القبيسة، تؤكد الحضور العميق لسيرة المصطفى الأخلاقية، في كتاب "**مشارق أنوار القلوب**". بل إن تمثُّل الأولياء لسيرة المصطفى الأخلاقية في سيرتهم، هو أبرز ما يطبع الفكر العرفاني، وهو الذي يُعَمِّق أخذهم بمقتضى الشرع، ليؤيدوا به

(1) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418/1997، ص279.

- Gobillot (Geneviève),"Le Mahdî, le khatm al-awliyâ'et le qutb:Evolution des notions entre sunisme et chiisme", in "Mélanges de Science religieuse", Lille, n° 59, septembre 2002, pp. 26-30.

(3) مسالك الحنفا، ص479.

(4) سورة القلم، الآية 4.

(5) مشارق أنوار القلوب، ص2.

(6) حديث روي من وجوه صحاح، عن أبي هريرة، وغيره. منها ما رواه أحمد، والخرائطي، والطبراني في "الأوسط"، والديلمي في "مسنده" (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني، تصحيح أحمد القلاس، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت، ج1، ص244 - 545، الحديث638).

(7) مشارق أنوار القلوب، ص41.

عروجهم العقلي، ويحاكوا به الارتقاء الروحي للنبي الكريم ﷺ ، وبعبارة عبد الكريم الجيلي: "وآخر مقام المحبة أول مقام الختام، ومقام الختام عبارة عن التحقق بحقيقة ذي الجلال والإكرام، إلا في نوادر، مما لا يمكن المخلوق، أن يصل إلى ذلك. فتكون تلك الأشياء له[1]، في سبيل الإجمال، وهي في الأصل لله، على سبيل التفصيل. فلأجل هذا، لا يزال الكامل، يترقى في الأكملية، لأن الله تعالى، ليس له نهاية. فلا يزال الولي، يترقى فيه، على حسب ما يذهب به الله في ذاته[2].

وهذا النص، يبرز الارتباط العميق، بين المحبة ومحاسن الأخلاق، في "الوصول إلى حضرة الجمال الإلهي"، وفي مشاهدة "محاسن صور العالم الأرفع الأسنى". ويمثل لها ابن الدباغ بـ "ما يُحكى عن الآلة المسماة بـ "الأرغن"، وتأثيرها في النفوس من الأخلاق المختلفة. فميل النفوس إلى هذه الأمور المناسبة، لها أمر طبيعي فيها لا يُنْكَر، ومحبتها لها، إنما هي لذاتها، لكونها مظهرا للجمال[3]. صفوة القول : إن السيرةَ النبويةَ روحُها كمالُ أخلاق المصطفى، وهي مظهر الجمال والمحبة.

ومن الأحكام، التي جانب بها "هلموت ريتر" الصواب، من خلال نظره في "**كتاب مشارق أنوار القلوب**"، زعمُهُ أن أهل التصوف "يعتبرون محبة الجمال المخلوق مرحلة أولية، في سلوك السالك، يجب أن يرتقي منها إلى محبة خالق الجمال، ويسمون هذه المحبة محبة حقيقية، أو عشقا حقيقيا، وذلك الآخر عشقا مجازيا. ويستعملون، عند البحث في المحبة والعشق، اصطلاحات الصوفية، من الشوق، والسكر، والوجد، والفناء في المحبوب، والاتحاد به. ويتحدثون عن مناسبة خفية، بين العاشق والمعشوق. وربما ادعوا، أن المخلوق الجميل، مظهر للجمال المطلق الإلهي، الذي هو عندهم صفة[4] من صفات الباري[5].

يمكن أن أجزم بأن هذا الفهم الخاطىء للمحبة، والعشق، والجمال، في الحقل الصوفي، راجع إلى عدم استحضاره لأهم خصيصة تميز كتاب ابن الدباغ المذكور، وهي بناء نظرياته على العناصر الجمالية، والأبعاد الأخلاقية، في السيرة النبوية.

(1) أي : للرسول محمد ﷺ.

(2) الإنسان الكامل، ص 279.

(3) مشارق أنوار القلوب، ص 40.

(4) في المطبوع: صفات.

(5) هلموت ريتر في مقدمته لكتاب "مشارق أنوار القلوب" (صفحة ب)..

إن الجمال المقصود، في الأدبيات الصوفية عموما، وكتاب ابن الدباغ خصوصاً، لا يمكن أن نربطه بالجمال والعشق الحسيين، بل لو ربطناه بالعشق، الذي سماه "**عشقا مجازيا**"، فإنه لا يؤدي حتما المعنى المراد منهم.

ذلك، أن الجمال ارتبط، عند الصوفية، بالنور المحمدي الأزلي، بمعنى أن الأشياء، تأخذ حظها من الجمال، بقدر سريان هذا النور فيها، وبقدر تمثّلها له[1]. ولذا، حَسُنَ استعارة الشمس للحقيقة المحمدية، في الأدبيات المذكورة[2]. فقد عقد عبد الكريم الجيلي، في "**كتابه الإنسان الكامل**"، بابا وسمه بـ "الباب الثامن والخمسون : في الصورة المحمدية، وأنها النور الذي خلق الله منه الجنة والجحيم، والمحتد الذي وجد منه العذاب والنعيم"، وافتتحه بقصيدة هذا مطلعها:

أنوار حسن بدت في القلب لامعة * مستترات وهي كالشمس طالعة**[3].

ومما وصف به النبي الأكرم، أنه «شمس العلم والدراية»[4]. ووصف محمد بن سعيد البوصيري النبي ﷺ بقوله :

«كالشمس تظهر للعينين من بُعُد» * «صغيرة وتُكِلُّ الطَّرْفَ من أسَم»**[5]

وبقوله :

فإنه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس في الظّلَم**[6]

ومن هذا المنطلق، لم يكن عبثا، أن يأتي ابن الدباغ بهذا التشبيه : وكما أن نور الشمس به ظهرت الألوان، والأشكال، والصور، ولولاه لم تظهر للحس، فهو شيء زائد عليها[7].

---

(1) ولهذا، لم يكن من العبث، أن يؤلف محمد علي بن محمد علان البكري الصديقي كتابا في جمال أخلاق رسول الله ﷺ، موسوما بـ "شمس الآفاق بنور ما للمصطفى من كريم الأخلاق" (تحقيق عباس أحمد صقر الحسيني، وحسين محمد علي شكري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1،1425ـ2004).

(2) تأمل؛ مثلاً؛ هذه الصلاة : " اللهم صل وسلم، وبارك، على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، شمس القلوب الطاهرة، وسيد أهل الدنيا والآخرة" (مفتاح الأسرار فيما يتعلق بالصلاة على سيد الأبرار لمحمد بن إدريس الدباغ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425 ـ2004، ص 25).

(3) الإنسان الكامل، ص182.

(4) الإنسان الكامل، ص6.

(5) ديوان البوصيري، شرحه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995/1416، ص168.

(6) ديوان البوصيري، ص168.

(7) مشارق أنوار القلوب، ص43.

لِنستحضر، في هذا المقام، أحاديث بنى عليها الصوفية نظريتهم في النور المحمدي الأزلي، الذي به خلقت الأشياء، ولولاه لم تخلق الأشياء. منها حديث : "أول ما خلق الله نور نبيك، يا جابر[1]، وحديث : "أول ما خلق الله روح نبيك، يا جابر[2] وحديث: "لولاك! لولاك! لم أخلق الخلق[3]، والذي تتضمنه عبارة ابن الدباغ: "ولولاه لم تظهر للحس".

ولْنقتبس كلاما لابن الدباغ، في تقرير ما ادعيناه، مما يشكل ردا على "هلموت ريتر"، باستبعاده للنور المحمدي، في إصدار حكمه المذكور.

قال ابن الدباغ، في معرض كلامه على "الجمال الكلي": " أما الكلي، فهو نور قدسي، فائض من جمال الحضرة الإلهية، سرى في سائر الموجودات، علوا وسفلا، باطنا وظاهرا. فأول إشراقه على عالم الملكوت، ثم على عالم الجَبروت، وهو عالم النفوس الإنسانية، ثم على القوى الحيوانية، ثم النباتية، ثم على سائر أجسام العالم السفلي، على اختلاف أنواعها، وتباين أجناسها. فما من ذرة من العالم، إلا وقد أشرق عليها من هذا النور الإلهي، والجمال القدسي، بقدر احتمالها. لكن قبول الأشياء له، بقدر العناية الأزلية. ولولا ذلك، لم يكن للأشياء ظهور. فإن هذا هو سر الوجود، وبه ظهر. ولو فُرِض عدمُهُ، لم يكن موجودا في العالم. وهو أظهر الأشياء، فلا أظهر منه، ولا يُدْرَك، إلا بنور العقل[4].

مما يجب التنبيه عليه، أن الكتب والمجاميع، التي أُفردت للصلوات على النبي الكريم ﷺ، "**ككتاب دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار**" لأبي عبد الله محمد ابن سليمان الجزولي، وكتاب "ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج" لمحمد المُعطَى بن محمد الصالح الشرقي، صيغت فيها هذه الصلوات بناء على عدة مسالك، أهمها خمسة، وهي :

(1) جزء من حديث طويل، رواه عبد الرزاق بسنده، عن جابر بن عبد الله (كشف الخفاء، ج1، ص311-312 الحديث 827).

(2) الإنسان الكامل، ص33.

(3) قال العجلوني : قال الصغاني : موضوع، وأقول : " لكن، معناه صحيح، وإن لم يكن حديثا" (كشف الخفاء، ج2، ص214، الحديث 2123).

(4) مشارق أنوار القلوب، ص42-43.

المسلك الأول : ما روي من أدعية وصلوات عن النبي الأكرم [1]، أو الصحابة [2]، أو التابعين [3]، أو الأولياء [4].

المسلك الثاني : الأحاديث والآثار، المروية في النور المحمدي الأزلي، بتضمينها في أدعية وصلوات[5].

المسلك الثالث : السيرة النبوية، بصياغة بعض أحداثها البارزة، أو بعض معجزاته ﷺ، في قوالب دعوية[6].

المسلك الرابع : الشمائل النبوية، بإقحامها في الأدعية والصلوات[7].

المسلك الخامس : الأحاديث النبوية، بقصد التذكير بها، والحَثّ على العمل بها[8].

ولا جرم أن هذه المسالك، كان لها التأثير العميق، في صياغة النصوص الصوفية والعرفانية، من لدن مؤلفي الصوفية. مما يجعل هذه الصلوات، من المفاتيح، التي تُعِينُ على فتح مغاليق هذه النصوص، وفَكّ رموزها، ورفع الغموض، الذي يكتنفها.

(1) (مفتاح الأسراء، ص61).

(2) (دلائل الخيرات، ص 126).

(3) (مفتاح الأسرار، ص 56).

(4) مشارق أنوار القلوب، صفة ب.

(5) من ذلك، الصلاة التي افتتح بها أبو عبد الله محمد ابن سليمان الجزولي الحزبَ الأولَ من "دلائل الخيرات"، وهي: "اللهم صل على سيدنا محمد، وأزواجه، وذريته، كما صليت على سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد، وأزواجه، وذريته، كما باركت على سيدنا إبراهيم، إنك حميد مجيد "(دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998 ص69-70)، فقد أخرج حديثَ هذه الصلاة، مالكٌ في "الموطأ"، والشيخان، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، وأحمد، عن أبي حميد. كما أسنده القاضي عياض، في "الشفا"، من طريق مالك، عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه، وهو أنهم قالوا :"يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟"، فقال : "قولوا : اللهم ..." (مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات لمحمد المهدي الفاسي، ضبطه حسن أحمد عبد العال، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1426/2005، ص166).

(6) من ذلك، ما روي "عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه كان إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى، وارفع درجته العليا، واعطه سؤله في الآخرة والأولى، كما آتيت إبراهيم وموسى" (رواه عَبْدُ بن حميد، في "مسنده"، وعبد الرزاق" (مسالك الحنفا، ص 412).

(7) من ذلك، ما رواه النميري، "عن الحسن البصري رحمه الله تعالى، أنه كان إذا صلى على النبي ﷺ، يقول: "اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد، كما جعلتها على إبراهيم، إنك حميد مجيد، السلام عليك أيها النبي، ورحمة الله، وبركاتك، ومغفرة من الله، ورضوانه. اللهم اجعل محمدا من أكرم عبادك عليك، ومن أرفعهم عندك درجة، وأعظمهم خطرا، وأمكنهم عندك شفاعة. اللهم أَتْبِعْهُ من أمته وذريته ما تُقِرُّ به عينه، واجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته، واجز الأنبياء كلهم خيرا. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين" (مسالك الحنفا، ص 411-412).

(8) من ذلك، الصلوات والأحزاب، التي أُلْهِمَهَا الأولياء، كالصلاة المشيشية لعبد السلام بن مشيش، وأحزاب أبي الحسن الشاذلي، وصلوات الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، إلخ.

ومن هذا القبيل، النص الذي نقلناه وشيكا، من "**كتاب مشارق أنوار القلوب**"، والذي ادعى "هلموت ريتر"، أنه يندرج ضمن الكتب الصوفية، المؤلفة في الجمال والعشق، التي تأثرت بفلسفة أفلاطون، باعتباره "أول من تكلم عن الجمال المطلق، الذي يتجلى في جمال الإنسان الجميل[1]، بل إنه اعتبر "**كتاب مشارق أنوار القلوب**" "مثالاً جيداً، لأقوال المتصوفين في العشق، المتأثرين بالفلسفة الأفلاطونية[2].

وممن ذهب هذا المذهب أيضا، أستاذي الفاضل، المستشرق الألماني اللامع، وتلميذ المستشرق "هلموت ريتر"، البروفسور برند مانوئيل فايشر[3]. ولم يكتف باعتبار "نظرية الإنسان الكامل" مستمدة من فلسفة أفلاطون وحسب، بل اعتبرها أيضا خليطا من فلسفات وأفكار أخرى قديمة، كما هو صريح قوله : "ومن خلال هذا، نرى أنه يوجد هنا خليط من الأفكار والصور الذهنية، ذات المصادر المختلفة، وأن تلك المصادر، هي يقينا التخيلات الفارسية عن "الإنسان القديم"، في الكسمولوجيا. كما أن هناك أفكارا أخرى مصدرها أفكار أفلوطينية وغنوصية[4].

بيد أن هذه الدعوى، سرعان ما ينكشف ضعفها، بل بطلانها، إذا علمنا أن نص ابن الدباغ المذكور، يكاد يكون صياغة أخرى لهذه الصلاة النبوية : «اللهم صل على سيدنا محمد روح الكائنات، وجوهرة وجود الإنسانية، وأصل العوالم العلوية والسفلية، القبضة اللامعة من نور بحر الأحدية، والذات الشريفة الجامعة لمحاسن الأخلاق الآدمية، والعلوم المتدفقة من نور بحر عظمة الذات المنزهة عن الأين، والكيف، والجهات، وعلى آله وأصحابه، عدد مراد الله في خلقه، في الحال، والماضي، وما هو آت"[5].

أما عبارة "ولا يدرك، إلا بنور العقل"، المثبتة في آخر النص المقتبس، فلها دلالتها العميقة، في فهم الذات المحمدية، واستيعاب الشمائل المحمدية، في أبعادها الظاهرة والباطنة.

---

(1) من ذلك : " اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، الذي منحه الله بالقرب، فكان نورُهُ أولَ الساجدين، اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، الذي أشرق نور نبوته، وآدم بين الماء والطين" (مفتاح الأسرار، ص 44).

(2) **مشارق أنوار القلوب**، صفحة و.

(3) انظر تفصيل ذلك، في فصل "النظريات الأفلاطونية والأفلوطينية عند المتصوفين المسلمين"، في **كتابه "لمعات"**، ص 43-53.

(4) لمعات، ص 46.

(5) منشورة ضمن ذيول "دلائل خيرات"، ص210 .

ومن هذا المنطلق، فإن العارف يأخذ بمقتضى السيرة النبوية، فيتشبَّهُ بالنبي ﷺ، ويتخلق بأخلاقه، جاعلا الشرع مؤيِّدا لقضايا عقله. مما يجعل لهذا العقل نورا، يتذوق به المثالات الأخروية لسيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

من ذلك مثلا، أن النبي ﷺ، تحدثنا سيرته أنه كان مزواجا. مما قد يبدو، بحسب الظاهر، متعارضا مع ما ورد في هذه السيرة من عزوفه عن الدنيا وملذاتها. بيد أن استحضار الأبعاد الذوقية للسيرة النبوية في الزواج، ترفع الإشكال، بل تكون مثالا ذوقيا للعارف في سيرته، ومُعِينا له في طريق المجاهدة والسلوك.

يأخذ العارف بعين الاعتبار الشمائل النبوية في الزواج، وسيرة النبي العطرة، مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً، ويسلم بالأحاديث النبوية، الواردة في حب النبي ﷺ للنساء[1]، ويقرر أن الزواج شُرع حفاظا على أحد الضروريات الخمس، وهو "حفظ النسل". بيد أنه يؤيد بذلك نور عقله، فيحاكي؛ بهذه السنة؛ المثالات الأخروية، ويجعلها وسيلة لإدراك لذة نعيم الآخرة.

فإذا كان كما يقول ابن الدباغ "كثير من الناس، لا ينكح، إلا لتحصيل الولد، وآخرون لمحض اللذة، لا غير، وهو الأكثر"، فإن العارف، "يتخذ هذه اللذة سُلَّما لفهم اللذات الأخروية، للمناسبة الروحانية، التي بينهما، حتى يفهم تلك اللذة من ذاته. وبهذا القصد، تخرج هذه اللذة عن صورتها الظاهرة، وتصير من الكمالات[2].

إن هذا الكلام لابن الدباغ، يقرر "نظرية الإنسان الكامل"، التي صاغها بعده، بقرن ونيف، عبد الكريم الجيلي (ت805 هـ)، في كتابه "**الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل**"، حيث لا معنى للإنسان الكامل، إلا محمد ﷺ، كما يدل على ذلك الباب الموفي ستين، من الكتاب المذكور، وهو : "في الإنسان الكامل، وأنه محمد ﷺ، وأنه مقابل للحق

(1) من ذلك، الحديث المشهور: "حبب إلي من دنياكم النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة" (رواه أحمد في "مسنده"، والنسائي، والحاكم في "مستدركه"، والبيهقي في "السنن"، عن أنس، ورمز إليه السيوطي بالحسن (الجامع الصغير، ج1، ص223، الحديث 3669). وقال المناوي: "قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، وقال الحافظ العراقي: "إسناده جيد"، وقال ابن حجر: "حسن" ": فيض القدير، ج3، ص 370 ـ371 الحديث 3669)، وحديث: "الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة" (قال العجلوني: "رواه مسلم، وأحمد، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم" (كشف الخفاء، ج1، ص495، الحديث 1319).

(2) مشارق أنوار القلوب، ص41.

والخلق[1]"، واعتبر "هذا الباب، عمدة أبواب هذا الكتاب، بل جميع الكتاب، من أوله إلى آخره، شرح لهذا الباب[2].

وهذا التمثّل الظاهري والباطني للنبي محمد ﷺ، ولسيرته العطرة، ومحاكاة مثالاتها الأخروية، من خلال نظرية الإنسان الكامل، هو المقصود من التوسل بالنبي محمد ﷺ، عند الصوفية. يقول عبد الكريم الجيلي : فلا يمكن للولي، أن يتحقق جسده بالأمور الإلهية، إلا بعد مشاهدته كيفية تحقق ولي من أهل مقام القربة. فيكون ذلك الولي وسيلته في البلوغ إلى درجة التحقق. وكل من الأنبياء والأولياء وسيلتهم محمد ﷺ[3].

نستنتج من ذلك، أن كتب الصوفية، في العشق والجمال عموما، وكتاب "**مشارق الأنوار**" خصوصاً، ليست استمدادا من فلسفة أفلاطون، في الجمال المطلق، ولا تأثُّرا به، كما ادعى "هلموت ريتر"، وتبعه في ذلك تلميذه وأستاذي "برند مانوئيل فايشر"، وإنما هي استحضار لنظرية الإنسان الكامل، المبنية على نظرية النور الأزلي المحمدي، التي استمدت أسسها وعناصرها من الأخبار والآثار.

لئن سلمنا بحصول التأثر بأفلاطون - ولا عيب في ذلك، ولا ضير فيه - فهو تأثر على جهة التبع، لا على جهة الأصالة، أعني، أنهم استحضروه، لتدعيم نظريتهم المستمَدَّة من المرويات.

(1) الإنسان الكامل، ص207 ـ412.

(2) الإنسان الكامل، ص207.

(3) الإنسان الكامل، ص279.

نبوة محمد ﷺ في فكر المستشرق الألماني نولدكه

د. حسن عزوزي(*)

لا شك أن أحد العوامل التي لعبت دورا أساسيا في تطور الدراسات الاستشراقية في أوروبا هو أنها تأثرت بالتطور الذي عرفته قبل ذلك دراسة لغات الكتاب المقدس: اليونانية واللاتينية والعبرية، وبذلك سيطرت الفيلولوجيا منهجيا على دراسة الحضارات القديمة والشرقية التي تم السعي إلى استكشافها بواسطة فهم النصوص التي أنتجتها. ومع ظهور المذهب الإنساني في أوروبا نشأت نظرة جديدة للقرآن الكريم اعتبرها البعض أكثر إنصافا وأقرب إلى النظرة الموضوعية التي لا تقيمه بناء على اختلافه شكلا ومضمونا عن الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد كما كان سائدا. وربما كان المستشرق الألماني بوهان آدم مولر (Johan Adam Mohler 1796-1838) أول من اعترف من العلماء الألمان باستقلالية القرآن بوصفه كتابا دينيا ذا نكهة خاصة به.

من جهة أخرى كان لتحرر الدراسات اللغوية ودراسات علوم اللغة العربية من السيطرة الكنسية دور في حصول هذا التحول في الدراسات الاستشراقية، وقد أسهم في هذا التحول كبار عشاق الشرق ولغاته من المستشرقين وخاصة الألمان منهم أمثال جوزيف فون هامر بورغستال (Purgstall 1774-1856) الذي نقل الأربعين سورة الأخيرة من القرآن إلى اللغة الألمانية بلغة مسجعة وكتب مقدمة لهذه الترجمة ربط فيها بين سحر لغة القرآن وطابعه الإلهي، أما فريديريك روكرت (Ruchert 1788-1866) فقد حفزه الإحساس بتميز لغة القرآن وسموها فعمل على نقل أجزاء كبيرة منه إلى اللغة الألمانية شعرا.

وهكذا فإن التركيز على البحث اللغوي والأدبي يعتبر ميزة تتصف بها الدراسات القرآنية الألمانية بصورة عامة، ويمكن وصف هذه الدراسات بأنها تأثرت بشكل خاص

(*) كلية الشريعة ـ فاس.

بالمنهجية التاريخية النقدية التي شقت طريقها في أوروبا في ركاب عصر التنوير، وهو ما جعل معظم المستشرقين يبحثون المصادر الدينية المزعومة للنبي محمد ﷺ، ولم يسقط أحد منهم من حسابه هذا العامل الخطير الذي جعل من القرآن الكريم مجرد جمع لما تضمنه العهد القديم والجديد أو أنه مزيج من مفاهيم دينية اكتسبها من معايشته لمفاهيم يهودية ومسيحية وغيرها كانت تروج في الوسطين المكي والمدني.

ويعتبر شيخ المستشرقين الألمان تيودور نولدكه (1836-1930) أبرز من اهتم بمصادر نبوة النبي محمد ﷺ في كتابه "**تاريخ القرآن Geschishte des Qorans**"، وإن كان حديثه عن ذلك باقتضاب وتركيز شديدين.

من هو نولدكه؟

ولد نولدكه عام 1836 في هامبورغ، انكب على دراسة اللغات السامية والقديمة طيلة فترة شبابه، وفي العشرين من عمره أخرج كتابه الذي اعتبر أطروحة للدكتوراه وكان عنوانه "**حول نشوء وتركيب السور القرآنية**"، وسرعان ما حكم عليه بأنه غير ناضج فأدخل عليه تعديلات جوهرية وأطلق عليه اسم "**تاريخ القرآن**"، وفاز بكتابه هذا بجائزة أكاديمية المخطوطات الباريسية، وحيث إن الكتاب كتب باللاتينية فقد عاد وترجمه إلى الألمانية عام 1860.

قبل وفته بوقت قصير، وقد شارف على التسعين، سئل إن كان يشعر بالندم لأنه لم يعكف على دراسة علم يعود بالفائدة على الجنس البشري، مثل الطب أو الزراعة؟ فأجاب الرجل الذي عركته الخبرة والتجربة : إذا كان من ندم فلأنني درست علوما لم أظفر منها في النهاية بنتائج حاسمة قاطعة.

وبالرغم من أن الرجل تسنم مجدا لا يستحقه على حساب القرآن الكريم والنبي ﷺ، فإن هذا الأمر لا ينفي ثقافته الواسعة بتاريخ الإسلام، ولا يلغي مكانته ولا يحط من قدره العلمي إلا بالقدر الذي حاول فيه النيل من شأن القرآن والغض من نبوة محمد ﷺ. فينبغي أن لا يغرب عن البال أن نولدكه هو القائل في حق النبي ﷺ: "صائغ غير موهوب لسور مشوشة الأسلوب". ولذلك، فالسمعة العالمية والشهرة الواسعة لا تعفيان من الوقوع في الخطأ، ذلك أن المعرفة شيء والإنصاف شيء آخر، وهو ما لم يستوعبه مترجم " تاريخ القرآن " جورج تامر في مقدمة الترجمة[1].

(1) تاريخ القرآن لنولدكه، ترجمة جورج تامر، دار نشرجورج ألمز 2000 مقدمة المترجم.

وكان قد عبر عن نفس الشيء ميشال جحا، عندما قال مادحا نولدكه : " هذا وتبقى كلمة أخيرة في إنصاف هذا العالم الجليل، هي أنه حاول في كل ما كتب أن يكون مثال العالم المتجرد العقلاني، فلم يتجن في أبحاثه على الإسلام، ولهذا جاءت آراؤه واضحة جليلة وخاضعة لصفة التجرد بعيدة عن الهوى والتضليل[1].

أما كتاب نولدكه : "**تاريخ القرآن**"، فلا ننكر أنه كتاب جامع غني بالمصادر العربية والأجنبية الشهيرة والمغمورة على حد سواء، تبرز فيه سائر وجهات النظر حول المسألة الواحدة. كما أن عملية الاستقصاء والاستدلال يطبعها منهج أكاديمي صارم، لكنه في كثير من الأحيان يبدو التجني والتعصب وعدم الموضوعية من المناهج السلبية التي طغى بها كتاب نولدكه، خاصة عندما يتعلق الأمر بالحديث عن الوحي والنبوة.

المنهج :

إن المنهج التاريخي إلى جانب منهج الدراسات المقارنة من جهة، واللغوية من جهة أخرى، قد تحركا سوية كمناهج علمية حظيت بقدر وافر من اهتمام نولدكه في رسم ملامح النبوة في الإسلام. لكن نولدكه وظف مناهج مغرضة وسلبية، كان لها أكبر الأثر في إخراج صورة مشوهة عن حقيقة نبوة النبي ﷺ، هذا بالرغم من أن الرجل لا يشك في صدق الخبرة الدينية الخاصة التي عاشها النبي ﷺ، والتي يعبر عنها القرآن الكريم أحسن تعبير. ويشدد نولدكه على أن النبي ﷺ كان مستغرقا تماما بالدعوة التي آمن بأن الله اصطفاه من أجل تبليغها، وأنه كان مغمورا بالحماس الشديد من أجل هداية قومه إلى الإيمان بالله.

يقول : " كلما ازدادت دقة تعرفنا على أحسن كتب السيرة، وعلى المصدر الصحيح لمعرفة روح محمد ألا وهو القرآن، ترسخ اعتقادنا بأن محمدا آمن في صميم نفسه بحقيقة ما دعي إليه، من أن يستبدل بعبادة العرب الكاذبة دينا أسمى يمنح الغبطة للمؤمنين"[2].

ويبالغ نولدكه في نزعته النقدية التشكيكية، فيميل في كثير من الأحيان إلى نفي المرويات الصحيحة أو إثارة الشكوك حولها أو الأخذ بمنهج الإسقاط، فضلا عن إيمانه

(1) ميشال جحا : الدراسات العربية في أوروبا، ص 199.

(2) تاريخ القرآن، ص 4.

بأن ثمة تأثيرات يهودية ونصرانية استفاد منها النبي ﷺ، ويرى أن التأثير اليهودي أقوى. يقول بهذا الصدد : " إن المصدر الرئيس للوحي الذي نزل على النبي حرفيا، بحسب إيمان المسلمين البسيط وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرين، هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية، وتعاليم محمد في جلها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها، لهذا لا لزوم للتحليل لنكتشف أن أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا بل الكثير من التعاليم والفروض هي ذات أصل يهودي، أما تأثير الإنجيل على القرآن فهو دون ذلك بكثير"[1].

إن دراسة نولدكه للمصطلحات الدينية لدى اليهود والعثور على ما يشابهها في الثقافة الإسلامية خاصة في حقل القصص القرآني، جعله يسقط في نزعة التأثير والتأثر، وهي نزعة دراسية يأخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا رد كل عناصر منظومة الإسلام بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية.

وقد سبقه إلى ذلك المستشرق اليهودي الألماني أبراهام غايغر، الذي أصدر عام 1833 كتاباً يحمل عنواناً مثيراً هو : "**ماذا أخذ القرآن عن اليهودية**"[2]. وقد كان هذا الكتاب إيذانا ببداية حقبة جديدة في البحث الاستشراقي، تهدف إلى التنقيب عن كل ما قد يبدو للمستشرقين في القرآن منقولا ومستقى من اليهودية، وقد أقبلت أبحاث هؤلاء وعلى رأسهم نولدكه تفكك وتقطع مضامين القرآن الكريم لتردها إلى عناصر توراتية يهودية مزعومة.

إن من منهج نولدكه أيضاً، اتهام كل علماء المسلمين بالانحياز إلى دينهم، حين يرغب في تبرير عجزه اللغوي من جهة، وعجزه عن فهم حقائق الأمور من جهة أخرى.

كما أن من منهجه أيضاً، إظهار الإنصاف الكاذب، أو بالأحرى تضعيف الشبهات والافتراءات السائدة والشائعة، من أجل الانتصار لتهم قد تبدو أقل سلبية، لكن باطنها يرمي إلى تقويض الأسس والمسلمات. فما أتى به النبي ﷺ لم ينتج إجمالا من اعتماد الخداع، بل من الاعتقاد الساذج.

إن نولدكه يضعف رواية تأثر النبي ﷺ ببحيرا ولا يعرج على ذكر ورقة بن نوفل، كما يضعف قصة التأثر بشعر أمية بن أبي الصلت، ويذهب بعيدا فيقر بأن محمدا ﷺ كان فعلا رجلا أمياً.

---

(1) تاريخ القرآن، ص7.

(2) Abraham GeigerÅ:Was hat Muhammed aus dem Judentum anfge nommen (bonnn 1833).

تهمة الأخذ عن أهل الكتاب

يبدو القرآن الكريم في نظر نولدكه قد تأثر بأفكار يهودية تسربت إليه وتضمن مصطلحات وشعائر دينية يهودية اقتبست من التوراة، كما أن قصص الأنبياء وأسماءهم إنما أخذت عن اليهود، بل حتى صيغة الشهادة ﴿لا إله إلا الله﴾ هي صيغة يهودية. يقول نولدكه : "سيفضي بنا البحث المتمعن عما هو يهودي ومسيحي في القرآن، إلى الاقتناع بأن التعاليم الأساسية التي يشترك فيها الإسلام والمسيحية هي ذات صبغة يهودية، نسوق مثالاً على ذلك : الشهادة المعروفة في الإسلام ﴿لا إله إلا الله﴾، وهي مستقاة من عبارة يهودية"[1].

إن نولدكه يريد أن يركز على هذا المنهج الخطير الذي يزعم تأثر نبوة محمد ﷺ بالتأثير اليهودي، لكي ينفي ربانية المصدر القرآني، ولكي يثبت اختراق النصرانية واليهودية على وجه الخصوص للقرآن وتعاليمه. ولأنه يريد أن يقفز على أبرز الشبهات التي كان يرددها معاصروه ومن سبقهم من المستشرقين، فإن نولدكه يكاد ينفرد بالوقوف عند تهمة أخذ الرسول ﷺ عن أهل الكتاب شفويا، يقول: "استنادا إلى ما تقدم، لا بد لنا من أن ننفي إمكانية استعمال محمد مصادر مكتوبة، فهو تقبل أهم أجزاء تعليمه من اليهود والمسيحيين شفويا على الأرجح"[2].

إن ذكاء نولدكه وتحايله جعلاه ينأى بنفسه عن الوقوف عند بعض التهم الاستشراقية السائدة والتي يحتاج الإقناع بها إلى أدلة علمية ثابتة، ولذلك فقد عمد الرجل أولاً إلى طرح التهم المعروفة واحدة تلو الأخرى وإبداء عدم الاقتناع بها.

فبخصوص الاطلاع على كتب اليهود والنصارى المقدسة يقول : "أما في ما يختص بعلاقة محمد بالكتابات اليهودية والمسيحية، فلا بد من القول إنه لم يكن مطلعا على تلك الكتابات بلغاتها الأصلية، وذلك بسبب عدم إلمامه بأي لغة أجنبية ... أما إذا استطاع النبي قراءة ترجمات معربة وفهمها، فمسألة لا يمكن الجزم بها اعتمادا على القرآن أو الحديث"[3].

أما عن مدى استطاعة النبي ﷺ القراءة والكتابة، فقد استعرض نولدكه الوقائع التاريخية المرتبطة بصلح الحديبية، ووقف عند ألفاظ في القرآن مثل: "إقرأ" و"النبي

(1) تاريخ القرآن ص7.

(2) نفسه، ص 16.

(3) تاريخ القرآن، ص 11.

الأمي"، و"**ما أنا بقارئ**" كما في حديث نزول الوحي، وانتهى إلى القول بأن الرسول ﷺ كان فعلاً نبياً أمياً. يقول نولدكه : "بسبب ما تقدم، يتبين أن الحجج التي تؤيد القول إن محمدا كان يستطيع القراءة والكتابة، حجج واهية جداً"[1].

أما عن الزعم بأن محمدا ﷺ قد أثر فيه بحيرا الراهب خلال رحلته الشامية، فيرده نولدكه قائلاً : "حتى لو كانت الروايات التي تجمع محمدا براهب سرياني اسمه بحيرا أو نسنطوريوس تحتوي على نواة من الحقيقة، فلا يمكن للقاء كهذا أن يكون ذا أثر بالغ في نبوته، فحتى لو كان محمد سافر إلى سوريا مرارا والمئات من بني قومه قاموا بهذه الرحلة سنويا لم يكن من الضروري لوثني من مكة أن يذهب إلى سوريا أو الحبشة ليتعرف على ديانات الوحي".

أما عن شعر أمية بن أبي الصلت الذي نسب كليمان هوارت huart لنفسه فضل اكتشاف هذا المصدر الجديد من مصادر القرآن الكريم، فلم يقتنع به نولدكه، وذهب بعيدا ليخلص إلى ما آمن به كمصدر رئيسي من مصادر القرآن الكريم، وهو التأثير اليهودي والمسيحي.

يقول نولدكه :

" إن معظم المواضع التي يسوقها هوارت لدعم فرضيته تخضع للشك القوي، بأنها مزورة تحت تأثير القرآن، أما المشابهات الأخرى فيمكن تفسيرها بأن أمية نهل مثل محمد من معين الروايات اليهودية والمسيحية "[2].

والواقع أن النبي ﷺ لو أخذ من المصدر الذي أخذ منه أمية شعره ـ كما يزعم نولدكه ـ فإن أمية لم يكن ليسكت على ذلك وإنما سيعمل على كشف هذا الأمر للناس جميعا، كما أن قريشا ما كان لها لتسكت على ذلك، فقد كانوا يوردون ما هو أضعف وأسخف من هذه الشبهة. وفضلا عن ذلك، فإن شعر أمية قد وصف بأنه سخيف النسج نابي القافية، لم يُصنف في مستوى كبار الشعراء، كما فعل ابن سلام عندما صنفه في طبقاته ضمن الطبقة العاشرة. فإذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكن أن يوازن بالقرآن الكريم، الذي عجز العرب عن معارضته وهم فرسان البلاغة.

(1) نفسه، ص 13.

(2) نفسه، ص 18.

وهكذا بعدما انتهى نولدكه من تضعيف وتهوين مختلف الشبهات والتهم المتعلقة بمصادر مزعومة للقرآن الكريم، وقف عند التهمة المفضلة لديه والتي اقتنع بها أيما اقتناع ورددها كثيرا في كتابه، ويتعلق الأمر بدعوى تأثره ﷺ بمن عايشهم من اليهود والنصارى.

ويرى نولدكه أن أحد أهم مصادر تعاليم محمد كانت الاعتقادات الدينية التي اعتنقها قومه، حيث يقول : "ما من مصلح يمكنه أن يتنصل تماما من المعتقدات التي تربى عليها، هكذا بقي لدى مؤسس الإسلام بعض من الأساطير القديمة (مثلاً حول الجن)، وبعض الآراء الدينية التي كانت سائدة زمن الجاهلية. أما الطقوس الممارسة في الكعبة والحج، فقام بتعديلها لتلائم تعليمه، معيدا إياها إلى أصول إبراهيمية"[1].

إن نولدكه عندما يزعم أنه كان يوجد في ضواحي مكة بعض الأفكار الدينية، فإنه يتركنا في الغموض والإيهام، ولا يقدم لنا وثيقة واحدة عن علاقات فعلية لمحمد من هذا النوع. وفي مواجهة هذا الغموض، فإن لدينا عديدا من الأسباب تحول دون أن نأخذ مأخذ الجد إمكان وجود مثل هذه العلاقات بلا حدوث تأثيرها.

فشواغل الرسول ﷺ قبل البعثة كانت معروفة ومحدودة، إذ يقدم لنا التاريخ الثابت المؤكد شخصية الرسول وهي تتحرك إما في الخلاء لرعي الأغنام وإما في التجارة وإما في المجتمع العام مع القرشيين. فلا خلقه ﷺ ولا مولده ولا مشاغله تجعلنا نتصوره يتردد على تجمعات اليهود والنصارى التي كانت منحطة وهابطة، خاصة في ظل تعرض العالم المسيحي منذ القرن الثالث الميلادي لمسخ صورته بسبب أطماع رجال الدين والانشقاق بينهم وجدالهم المستمر حول طريقة فهم المسيحية وانتشار مختلف أنواع الخرافات والفساد. أما القبائل والتجمعات اليهودية التي كانت مستقرة بالمدينة وخيبر، فلم يتصل بها النبي ﷺ إلا بعد الهجرة.

إن هذا المشهد الديني الذي كان سائدا إبان البعثة النبوية، لايمكن أن يكون نموذجا أخلاقيا ودينيا يصلح لأن يقتبس منه النبي ﷺ أويبني عليه النظام الإسلامي. ولا شك أن الأفكار الدينية الرديئة التي كانت سائدة آنئذ، والتي يزعم نولدكه أنه كان لها أكبر الفضل في تكوين ثقافة النبي ﷺ الدينية، قد تجمعت في بناء متهافت يصلح للهدم ولم يكن فيه ما يصلح ليقيم عليه بناءه الجديد.

(1) تاريخ القرآن، ص 18.

من جهة أخرى، يفهم من زعم نولدكه بأن النبي ﷺ قد أخذ عن اليهود والنصارى، أنه كان تلميذا لهم يجلس إلى رهبان النصارى وأحبار اليهود ويأخذ عنهم العلم والأفكار الدينية. وهنا نتساءل : كيف يكون هؤلاء أساتذة له والقرآن يهاجمهم في مواضع متعددة من آياته؟ فنعتهم بكونهم نسوا حظا منه، وأنهم حرفوا وغيروا وبدلوا. قال تعالى: ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به** ﴾[1].

وبيّن القرآن الكريم كثيرا من المسائل الكبرى مما خالفوا واختلفوا فيه من العقائد والأحكام والأخبار، ومثل هذا لا يمكن أن يكون مستمدا من أشخاص من اليهود والنصارى.

بالإضافة إلى هذا، فإن انحدارهم الأخلاقي والثقافي لا يؤهلهم لأن يكونوا في موضع التربية والتوجيه للرسول ﷺ[2] الذي جاء بأسمى القيم وأكمل الشرائع. وفضلاً عن ذلك، فإنه لو شك أهل الكتاب مجرد الشك في أن محمدا ﷺ قد أخذ من أفكارهم واقتبس من معتقداتهم وتأثر بكتبهم، لسارعوا إلى القبائل العربية وغيرها ليقولوا إن محمدا أخذ أفكارهم. ولكن هذا لم يحصل أبدا، مما يدل على زيف التهمة.

وأخيراً نقول لنولدكه، الذي شاء أن ينفرد عن غيره من زملائه بعدم الاقتناع بجدوى مختلف التأثيرات المزعومة ما عدا التأثير اليهودي النصراني : إن المشابهة الحاصلة بين ما ورد في القرآن وما ورد في التوراة والإنجيل لا تدل على الاقتباس، بل إنما يفسر بوحدة المصدر الإلهي الذي نبعت منه هذه التعاليم السماوية قبل تحريفها، لكن هناك اختلافات جوهرية في الصورة والشكل، ومنها اختلافات في المحتوى والغاية.

(1) سورة المائدة، الآية 13.

(2) مما جاء في ذلك من الآيات قوله تعالى: ﴿ **يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون** ﴾، سورة آل عمران، الآية 70. وقوله تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون** ﴾، سورة آل عمران، الآية 71.

ملامح المنهج المادي الإسقاطي في كتابة السيرة عند المستشرقين الألمان (نموذج فلهاوزن)

د. إدريس مقبول[*]

الاستشراق الألماني والاهتمام بالسيرة

ابتدأت الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا في زمن متأخر مقارنة بباقي الدول الأوربية، ولم تنشط إلا في القرن الثامن عشر، وقد تميز هذا الاستشراق بأمور منها الاهتمام بالقديم والتركيز على دراسة التراث العربي تحقيقا وجمعا وفهرسة ودراسة. ومن هذا التراث السيرة النبوية، وكلنا يذكر نشر فيردناند فستنفيلد F.Wustenfeld لسيرة ابن هشام سنة 1858-1860. والتي نقلها إلى الألمانية المستشرق جوستاف فايل G.Weil سنة 1864. كما تناول جريمه H.Grimme سيرة النبي ﷺ في مجلدين. وقد أخذت بعض الدراسات الألمانية للسيرة النبوية طابعا فلكلوريا يمزج الأدب الشعبي والخرافات بأحداث التاريخ، من ذلك ما كتبه رودي باريت R.Paret من قبيل :

❁ تاريخ الإسلام على ضوء الأدب الشعبي 1927.

Die Geschichte des Islams im Spiegel der arabischen Volksliteratur.

❁ أدب المغازي الخرافي، أشعار عربية عن حروب الإسلام في عصر الرسول محمد 1930.

Die Legerdare Maghazi-LiteraturÅ,arabische Dichtungen uber muslimische kriegszuge Zu Mohammeds Zeit.

إنه ينبغي لنا الإقرار بأن جزءا من صورتنا وصورة إسلامنا الحنيف وصورة النبي ﷺ - في الغرب اليوم - يتحملها عنصران أساسان : الاستشراق من جهة، والإعلام الصهيوني من جهة ثانية. من هنا توحدت هذه الرؤية إزاء الشرق، وإن اختلفت بالنسبة

(*) المركز التربوي الجهوي - مكناس.

إلى أشياء أخرى، ولم يتمكن إنتاج المستشرقين أن يخترق جدار المرآة التي يرى الشرق بواسطتها، إلا استثناء، ولذلك لم يطرأ أي تحول أساسي في منهج البحث لديهم بالرغم من تغاير الأزمان، واختلاف البلدان التي ينتسبون إليها[1].

لقد عمل الفكر الاستشراقي كما يقول دينيه Dient على رسم صورة عن سيدنا محمد ﷺ يخيل إلينا بأننا نسمع محمدا يتحدث في مؤلفاتهم إما باللهجة الألمانية وإما باللهجة البريطانية أو الفرنسية، ولا نتمثله بهذه العقلية والطباع التي ألصقت به يحدث عربا باللغة العربية[2].

تعريف بالمستشرق فلهاوزن

هو يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen مستشرق ألماني مسيحي مؤرخ لليهودية و لصدر الإسلام، كما أنه ناقد للكتاب المقدس (العهد القديم). ولد في 17 مايو سنة 1844 في قرية هاملن Hameln بنواحي هانوفر Hanover، وتوفي في 7 يناير سنة 1918 في مدينة جوتنجن.

درس على يد إيفلد Ewald H.G.A. الذي كان من أبرز العلماء الذين اشتغلوا باللغات السامية وبنقد التوراة، وذلك في جامعة جوتنجن.

وفي سنة 1872 صار أستاذا ذا كرسي في جامعة جريفسفيلد، لكنه سرعان ما ترك هذا الكرسي بسبب كتاباته في نقد الكتاب المقدس. فانتقل إلى جامعة هله Halle في سنة 1882 حيث قام بتدريس اللغات الشرقية، وانتقل منها في سنة 1885 إلى جامعة ماربورج، ثم في سنة 1892 صار أستاذا في جامعة جوتنجن خلفا لباول دي لاجارد P.DE La garde، وظل في منصبه هذا حتى سنة 1913 حيث أحيل على المعاش، وبقي في جوتنجن حتى وفاته بها[3].

اهتمام فلهاوزن بالسيرة النبوية وبتاريخ الاسلام

كتب فلهاوزن كتابات نقدية كثيرة عن الكتاب المقدس وتاريخه وتاريخ إسرائيل، فنقد أسفار موسى الخمسة، وكتب عن الأناجيل (**إنجيل لوقا وإنجيل متى وإنجيل مرقص، وإنجيل يوحنا**)، كما ترك فلهاوزن إنتاجا فيما كتبه عن تاريخ

(1) مقبول إدريس : **الدراسات الاستشراقية**، 1.

(2) عبد الحليم محمود : **أوربا والإسلام**، 106.

(3) بدوي : **موسوعة المستشرقين**، 408.

الإسلام لا يقل عن ما كتبه في الدراسات المتعلقة بنقد الكتاب المقدس. وقد كان حسب الدارسين أول المستشرقين استفادة من المصادر المتقدمة لتاريخ الإسلام، وخصوصا تاريخ الطبري الذي كان يشرف عليه دي خويه في ليدن، وباستغلال فلهاوزن للمادة الغزيرة التي يقدمها تاريخ الطبري ألف هذا المستشرق عددا من الكتب نذكر منها:

- أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (برلين، 1903)، وقد ترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوي إلى العربية سنة 1958 في برن، ونشره في القاهرة سنة 1959 تحت عنوان : أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، الخوارج والشيعة (مكتبة النهضة المصرية).
- الدولة العربية وسقوطها. ويقصد بها الدولة الأموية باعتبار أن الحكم فيها كان للعرب خاصة دون سائر الأجناس التي اعتنقت الاسلام، وقد ترجم إلى العربية مرتين، الأولى قام بها عن الإنجليزية يوسف العش، والثانية عن الإنجليزية والألمانية وقام بها الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة.

وقد أصدره يوليوس فلهاوزن في برلين سنة 1902 بعنوان :

Das arabische Reich und Sein Sturz.

- كما كتب بقايا الوثنية العربية

Reste arabischen Skizzen und Vorarbeiten

ضمن سلسلة بعنوان

Heidentums Berlin 1887,2.UFL -1897.

- وكتب فلهاوزن المدينة قبل الإسلام، وتنظيم محمد للجماعة في المدينة Medina.

Vor dem islam. Mohammeds Gemmeinde ordrung von medina.

منهج الإسقاط عند فلهاوزن

يعتبر بعض المهتمين بالدراسات الاستشراقية عملية الإسقاط منهجا معتمدا لدى بعض الدارسين الغربيين للعلوم الإسلامية (عبد العظيم الديب : المنهج عند المستشرقين، 363). والإسقاط كما تعرفه دوائر علم النفس الحديث هو عبارة عن "تفسير الأوضاع والمواقف والأحداث بتسليط خبراتنا ومشاعرنا عليها، والنظر إليها من خلال عملية انعكاس لما يدور في داخل نفوسنا"[1].

واذا تأملنا، وجدنا هذه العملية ذات الأصل النفسي يمكن النظر إليها باعتبارها آلية من آليات التقصيد في القراءة والتأويل للوقائع والأحداث والظواهر. فالقارئ

(1) أسعد رزق : **موسوعة علم النفس**. 40.

للنصوص والأحداث على سبيل المثال في السيرة النبوية، يمكن أن ينظر إليها حين يريد تفسيرها من زاوية يوقع عليها أفكاره ومعتقداته ومقاصده المسبقة، الشيء الذي يذهب بالركن العلمي والموضوعي في القراءة ويتركها مجرد تخرصات وأوهام، وإن كانت لها صلة بالقراءة فهي من صنف القراءات المغرضة.

حرص فلهاوزن على أن يقرأ النصوص قراءة علمانية، أي يعتمد فقط على النصوص ويخضعها لنقد شديد رغبة منه بشكل نهائي وأكيد في قطع الصلة مع كل ما يمكن أن يكون لديه مدلول ديني. وسوف يدفعه كتاب كوسان دي برسفال "**دراسة حول التاريخ العربي**" في هذا الاتجاه[1].

أول ما يمكن لحظه في دراسة فلهاوزن للسيرة هو الحيز الصغير الذي أولاه لها في كتابه "**تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**"، إذ اختصرها في حدود تزيد قليلا عن ثلاثين صفحة فقط، مما يعكس أهميتها الضئيلة عنده، ويعطي انطباعا بعدم قيمتها من وجهة نظره.

ونحن نورد في هذا المقام، جملة من الأمثلة الشبهات على ما نقول، انطلاقا من عمل فلهاوزن وتفسيره لقسم متقدم من تاريخ الإسلام، عني فيه بتقديم جانب من سيرة المصطفى ﷺ.

الشبهة الأولى : محمد ﷺ صانع القرآن.

نذكر في هذا المقام بأن تصور فلهاوزن عن النبي والقرآن ليس بدعا في المنظومة الاستشراقية بعامة والألمانية بخاصة، وذلك أنه لا يخرج عن التيار العام الذي يرى في النبي محمد ﷺ صانع القرآن ومختلقه ومبدعه في أحسن الأحوال، وهو بذلك يرفض أن يعتبر القرآن كتابا موحى به من الله لنبيه ﷺ، لأن مفهوم الوحي ليس مفهوما علميا عنده حتى يقر به أو يؤمن به أو يجعله مسلمة عنده[2]. وموقفه هذا تجده مرة صريحا ومرات أخرى مستضمرا في طي ما يبنيه ويؤسسه من أفكار في قراءته للسيرة النبوية.

ولكي نفهم موقف فلهاوزن وغيره من المستشرقين من الوحي، يجب أن نربطه بالموقف العقلاني والوضعي من النبوة التي هي فاصل قاطع بيننا وبينهم. ولا قيمة

(1) أحمد حسن عبد السلام: **تاريخ الاستشراق الألماني**. 200.

(2) فلهاوزن : **تاريخ الدولة العربية**. 2.

لأي حوار أو أي تواصل ما داموا على إصرارهم في معاملة نصوص الوحي مثلما يعاملون نصوص شكسبير وراسين وموليير. يقول تعالى مفندا مزاعمهم: ﴿**وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾[1]. ويقول أيضاً جل في علاه : ﴿**وما هو بقول شاعر قليلاً ما تومنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين**﴾[2].

إن موقف المسلمين في معالجة هذه القضية ليبدو أكثر نضجا في الاعتراف بنبوة موسى وعيسى وكل الأنبياء، ﴿**لا نفرق بين أحد من رسله**﴾[3] لاعتبار ذلك من صلب الإيمان الذي لا يكمل إلا بجمع ذلك كله، غير أنه مع إيماننا بهذه الرسالات ليس لنا شك في أن رسالة محمد ﷺ هي الخاتمة المهيمنة على ما سبقها، وأن ما بأيدي غيرنا من كتب ليست مما بقي على أصل وضعه بل تطرق إليه التحريف والتبديل. ولو بقي على حاله مصونا كما حفظ القرآن الكريم، لما اتسع الخلاف بيننا وبينهم.

الشبهة الثانية : محمد ﷺ السياسي العلماني.

يفهم من خلال قراءة آراء فلهاوزن عن النبي محمد ﷺ، أنه ليس إلا صاحب أطماع سياسية وليس له من النبوة إلا الادعاء وركوبها مطية لبلوغ أغراض محض دنيوية، فقد كان محمد ﷺ رجلاً "ثائراً" في مكة على قومه، "مخالفاً لما هم عليه". أما في المدينة فقد بلغ ما كان يرمي إليه، ولقد أحدث هذا تغييراً كبيراً لامجرد فرق ظاهري. وذلك لأن المعارضة دائما تتغير عندما تصل إلى الرئاسة، وإن السياسة عند تطبيقها تبعد كثيرا عن الفكرة التي قامت عليها، لأن تقديرها للأشياء في أول الأمر يكون بحسب الإمكان لا بحسب الواقع. وهذا هو الذي يفسر لنا أن النبي لما صار رئيساً سياسياً تغير عما كان عليه لما كان لا يزال طامحا في الرئاسة، وأن الحكومة الثيوقراطية الفعلية تغيرت عنها لما كانت فكرة، وعلى هذا صار الطابع السياسي يزداد بروزا والطابع الديني يزداد تراجعا[4].

(1) سورة فصلت، الآية 42.41.

(2) سورة الحاقة، الآية 43.41.

(3) سورة البقرة، الآية 285.

(4) فلهاوزن: تاريخ.د.ع، 65.

ورد هذه الأوهام من جهات خمسة :

أولها : أن رسالة النبي محمد ﷺ رسالة من السماء إلى الأرض، وليست حركة ثورية أرضية انطلقت من الأرض وانتهت إلى الأرض كما هو شأن الحركات التحررية والمعارضة التي تحصر اهتماماتها وأهدافها في إسقاط نظام وإقامة نظام بديل عنه.

ثانيها : أن رسالة محمد ﷺ رسالة هداية للإنسان وإنقاذ للبشرية جمعاء من براثن الكفر والإشراك بالله، ولم تكن معارضة تستهدف بناء دولة في المدينة أو في مكة.

ثالثها : أن بناء الدولة الإسلامية ليس هدفا في حد ذاته لرسالة محمد ﷺ، بل هو أسلوب ووسيلة فقط لتيسير أمور التربية والدعوة والعيش في فضاء تحكمه القيم الإسلامية النظيفة.

رابعها : أن تصور ثنائية الإمكان والواقع، تصور محدود ونسبي تحكمه رؤية إسقاطية لما عليه النماذج السياسية الوضعية التي يمكنها أن تتخلى عن المبدأ لصالح إجراءات التطبيق والتنزيل. وهو أمر لم يكن في سياسة رسول الله ﷺ ليفهم من هذه الزاوية الضيقة، بل من زاوية أوسع هي زاوية الرحمة بالناس والرأفة بهم، وأخذهم بالتدرج والحكمة في قبول الرسالة الإلهية الجديدة، والبلوغ بهم حد التعلق بها والدفاع عنها.

وخامسها والأخير : أن سياسة النبي ﷺ ليست من الصنف الثيوقراطي، وذلك لسببين اثنين غابا عن فلهاوزن وأمثاله.

الأول : أن نظام حكومة رسول الله ﷺ كان قائما في شقه الدنيوي على أمور الشورى وإشراك ذوي الخبرة والاختصاص من أهل الحل والعقد في تدبير شؤون الدولة الإسلامية. يقول تعالى : ﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**﴾[1]، ويقول أيضاً : ﴿**فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر**﴾[2]. وهو أمر يتنافى وطبيعة النظام الثيوقراطي ذي الطبيعة المركزية.

---

(1) سورة الشورى، الآية 38.

(2) سورة آل عمران، الآية 159.

الثاني : أن تصرفات النبي ﷺ عند المستشرقين واحدة، ولا يكادون يميزون بين تصرفاته بالاعتبار النبوي الرسولي وتصرفاته بالاعتبار الإنساني الطبيعي الجبلي.

ومن فاته هذا العلم فاته فهم عميق لمجريات السيرة النبوية، ووقع في خبط وسقط.

يقول العز بن عبد السلام : " أما مصالح الآخرة وأسبابها ومفاسدها فلا تعرف إلا بالشرع، فإن خفي منها شيء طلب من أدلة الشرع، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس المعتبر والاستدلال الصحيح؛ وأما مصالح الدنيا وأسبابها ومفاسدها، فمعروفة بالضرورات والتجارب والعادات والظنون المعتبرات، فإن خفي شيء من ذلك طلب من أدلته"[1].

الشبهة الثالثة : محمد ﷺ وظلمه لليهود

يذكر فلهوازن أن النبي صلوات ربي وسلامه عليه حاول أن يظهر اليهود بمظهر المعتدين الناكثين للعهد، وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات اليهودية أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة، ولقد التمس لذلك أسبابا واهية[2]، فما تكون هذه الأسباب الواهية يا ترى؟ وهل مسائل العرض والشرف مسائل تافهة؟ يحكى أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق قينقاع، وجلست إلى صائغ فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده على ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين فغضب المسلمون على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[3].

وفلهاوزن الذي ذهب إلى ظلم النبي ﷺ لليهود، لا يستطيع أن يسلم من التناقض مع الفكرة السالفة حين يعبر مرة ثانية أن " اليهود صاروا جزءاً من الأمة"[4].

(1) العز بن عبد السلام : "**قواعد الأحكام في مصالح الأنام**"، 1/10.

(2) فلهوازن: "**تاريخ الدولة العربية**"، 16.15.

(3) ابن سيد الناس: "**عيون الأثر**"، 1/385.

(4) فلهاوزن : "**تاريخ. د.ع**"، 11.

فكيف يكونون جزءاً من الأمة وفي نفس الوقت يصر رسول الله ﷺ على إخراجهم، إلا إذا كان هذا هو عين التناقض.

إن القارئ لسيرة رسول الله ﷺ لا شك يجد أن تصرفات النبي ﷺ مع اليهود تحديدا تحكم فيها الحلم والعلم، فرغم علمه بنفاقهم ودسائسهم التي لم تتوقف للإجهاز على جماعته المؤمنة، إلا أنه صبر عليهم حتى ظهر له أن بقاءهم في المدينة أو بقاء بعضهم في المدينة سيهدم كل ما يبنيه، فاضطر عليه الصلاة والسلام لإبعادهم. وإلا فإنه قد أعذر من أنذر. ويأتي فلهاوزن ليقول بأن النبي ﷺ "اضطر لاستعمال وسائل غير مقدسة في إخراج اليهود"[1]. إنه لم يصبر أحد على مكائد اليهود مثلما صبر رسول الله ﷺ، ولولا علمه الشريف بخطرهم المحدق على الرسالة الفتية بما كانوا يبرمونه من شر وكيد أخبر عنه القرآن الكريم ففضح أسرارهم وكشف سرائرهم الخبيثة، لما أبعدهم النبي عليه الصلاة والسلام. وقد سمح لهم رسول الله ﷺ رغم كل شيء - بأن يحملوا معهم ما يشاؤون من الأمتعة والأموال إلا السلاح، فحملوا ما استطاعوا، حتى قلعوا من بيوتهم الأبواب والشبابيك، والأوتاد وجذوع السقف، وحملوها فيما حملوا، وهذا الذي قال عنه الله تبارك وتعالى: ﴿**يُخَرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، فَاعْتَبِرُوا يَأُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾[2]. ونزل أكثرهم وأكابرهم بخيبر، ونزلت طائفة منهم بالشام.

الشبهة الرابعة: محمد ﷺ والطموح الشخصي.

يتمثل المنحى الإسقاطي في نظرة فلهاوزن للرسول ﷺ باعتباره صاحب طموحات شخصية يريد أن يحققها إرضاء لنزوات داخلية مثلما هو شأن من يركبون السياسة في كثير من الأحيان ولا تكون لهم رسالة سماوية تربوية أو حضارية إلا أن يسيطروا على عقول الناس وأموالهم وثرواتهم، ويتحكموا في مصائرهم بتعبئتهم تعبئة تدجينية تفرغهم من طاقاتهم وقدراتهم النقدية ليصيروا كالعجين في أيدي أصحاب القرار، وفلهاوزن لا يعنيه من سيرة الرسول الأكرم صلوات ربي وسلامه عليه إلا أن يرى من خلالها طموحات شخص يريد أن يهيمن ويحكم على جزيرة العرب، يقول: "لكنه كان يرمي إلى ضم الجماعة كلها، فكان يطمح إلى أن يجعل أمته العربية كلها جماعة دينية له[3].

(1) فلهاوزن: **تاريخ.د.ع**، 22.

(2) سورة الحشر، الآية 2.

(3) افلهاوزن: **تاريخ.د.ع**، 5.4.

"وقد يتناسى فلهاوزن أن الرسول ﷺ قد عُرِضَ عليه الحكم والمال وكل ما تصبو إليه النفوس الطبيعية في سعيها ودأبها حين قالوا له : "إن كنت إنما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا[1]. إلا أنه رفض كل هذا، ورده في موقف إنساني مليء بالمعاني والدلالات عن التمسك بالحق والإصرار على المضي في طريق إكمال الرسالة : " والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه" [2].

الشبهة الخامسة : محمد والتمييز العنصري.

يذهب فلهاوزن إلى أن دولة النبي محمد ﷺ الثيوقراطية، لم تطبق المساواة السياسية بين المسلمين على النحو الذي من شأنه أن يمحو الفوارق التي كانت موجودة بالفعل. فبقي المكيون الذين جاءوا مع النبي وهم المسلمون المهاجرة على حدتهم، وبقيت إلى جانبهم قبائل العرب التي تسكن المدينة، وهم المسلمون الأنصار في المدينة على حدتها. وكذلك بقيت اليهود في المدينة على حدتها. وبقي التابع تابعا والمولى مولى والنزيل نزيلا، وإن كانوا قد اعتنقوا الإسلام جميعا[3].

وإبطال هذه الدعوى يأتي من ثلاثة طرق :

الطريق الأول : أن النبي ﷺ رسخ مبدأ المساواة منذ الوهلة الأولى، لأنها رسالة الإسلام إلى العالم في قوله : « الناس سواسية كأسنان المشط الواحد، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى»[4].

الطريق الثاني : أن النبي ﷺ أسس بصحيفة المدينة التي تعتبر اليوم من الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان دستورا للمسلمين وغيرهم يجمعهم ويضعهم أمام القانون بمنزلة واحدة،

(1) ابن هشام: **سيرة النبي ﷺ**،1/313.

(2) أخرجه ابن إسحاق في السيرة 1/329، والبيهقي في الدلائل:2/186، وابن جرير في التاريخ 2/220.

(3) فلهاوزن: **تاريخ.د.ع**،11.

(4) السيوطي: **الدر المنثور**، 6/98.

حقوقا وواجبات. وفي صحيفة المدينة اعتبر اليهود " أمة مع المؤمنين، ولهم دينهم وللمسلمين دينهم، وعليهم نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وعلى من دهم يثرب، كل يدافع من جهته، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، إلخ"[1].

الطريق الثالث : أن النبي ﷺ جعل يؤاخي بين الأنصار والمهاجرين بعقد المؤاخاة، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، فآخى بينهم على المؤاساة، وأنهم يتوارثون فيما بينهم بعد الموت، دون ذوي الأرحام، ثم نسخ التوارث وبقيت المؤاخاة، وكانت قد عقدت في دار أنس بن مالك ـ رضي الله عنهم أجمعين[2].

الشبهة السادسة : محمد ﷺ والإرهاب.

يتوقف فلهاوزن عند بعض الأحداث التي وقعت بعد بدر مع المنافقين فيتهم الإسلام بالإرهاب، يقول : "لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر، بل شرع في الأخذ بسياسة الإرهاب داخل المدينة، وكانت إثارة مشكلة المنافقين علامة على ذلك التحول"[3].

وفي هذا الكلام مغالطتان، نجيب عنهما بعد تحديدهما بما يلي :

المغالطة الأولى : وتتعلق بمفهوم التسامح

إذ يتصور كثيرون أن التسامح تساهل إلى غير غاية، والحق أن الحدود بين ما يتسامح فيه وما لا يتسامح فيه غير بينة، بحيث لا يعرف إلى أي حد يمكن أن يصل التسامح، هل يكون هذا الحد هو عدم الإخلال بمبادئ عقلية مخصوصة أو يكون هو عدم الإخلال بمبادئ أخلاقية معينة؟ ثم لم كانت هذه المبادئ دون غيرها لا تقبل أن نتسامح فيها؟ كل هذه الأسئلة وغيرها تختلف الأمم في الجواب عنها[4].

(1) المباركفوري : **روضة الأنوار**، 104.

(2) المباركفوري : **روضة الأنوار**، 102.

(3) فلهاوزن : **تاريخ**، د.ع 15.

(4) طه عبد الرحمن : **الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري**،147.

وإذا رجعنا إلى واقع المنافقين في المدينة، وجدنا أفعالهم ليست من الصنف الذي يدخل في نظرنا تحت نطاق المسامحة، لأن خطرهم على تماسك المجتمع كان واضحا، إذ كانوا بمنزلة السوس الذي ينخر عماد البيت، وكان لابد من أخذ موقف صريح منهم بعد أن كشفهم الله لنبيه ﷺ. فالمنافقون طاقات هائلة لو تركت لأفسدت الإسلام بكل قوة وكل أسلوب، ولذا تطلب الموقف حذرًا شديدًا من الرسول ﷺ ويقظة واستعدادًا لصدهم قولاً وفعلاً، لاسيما وأنهم كانوا هم السباقين إلى الهجوم والغدر، ما وجدوا إليه منفذًا.

المغالطة الثانية : وتتعلق بمفهوم الإرهاب

وهو مفهوم يعكس رؤية الغرب لسياسة الإسلام إزاء أعدائه وخصومه، وقد بات اليوم من المصطلحات المبتذلة في سوق الإعلام الدولي يهاجمون به كل من أرادوا تصنيفه ومحاصرته، والإرهاب في الواقع رد فعل طبيعي جاء في القرآن الكريم وصفا متعلقا بالاستعدادات الدفاعية لأمة الإسلام ضد الطامعين في اجتثاثها وحرمانها حقها في الوجود، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]. فهذه الآية الكريمة نص في أنه يجب على المسلمين أن يبذلوا قصارى جهدهم في التسليح وإعداد القوة وتدريب الجيوش حتى يَرهبهم العدو ويحسب لهم ألف حساب، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين سواء كان الجهاد جهاد دفع أو جهاد طلب. وهذا اللون من الإرهاب المنصوص عليه في الآية هو عمل وقائي ذو دلالات إيجابية، وهو من وسائل الردع العسكري وأدوات الحرب الباردة، ولا دلالة له على الإرهاب بمعناه المتداول المعرّف في القانون الجنائي، بل هو خطوة نحو السلام، لأنه يمنع العدو من ممارسة عدوانه.

الشبهة السابعة : الجماعة المحمدية والنزوع المادي

يصور فلهاوزن ما آلت إليه الأمة الإسلامية بعيد وفاة النبي ﷺ قائلاً : " وهكذا نشأت من الدول العربية التي كان قد أسسها محمد عليه السلام إمبراطورية بعد موته، أعني دولة تيوقراطية سادت العالم، وكانت هذه الدولة تشتمل على طبقتين من المواطنين، متمايزتين من الناحية السياسية ومن الناحية الدينية. وكان سادة هذه الدولة هم العرب من حيث هم مسلمون، وفي الوقت نفسه من حيث هم محاربون

(1) سورة الأنفال. الآية 60.

وفاتحون، وتحولت الجماعة المحمدية إلى جيش تحولا تاما، وصارت الصلاة والصيام وبقية الشعائر الدينية في المرتبة الثانية بعد الجهاد، وأشرق في نفوس أهل البادية على هذه الصورة، فكان بمثابة الراية التي تقودهم إلى النصر والغنيمة، وعلى أسوأ الاحتمالات إلى الجنة" [1].

ويقول أيضاً عن المواطنة التي يصورها غائبة إلا في معسكرات ضيقة : "ولم يكن يستطيع الإنسان في الإسلام أن يتمتع بما للمواطن من حقوق كاملة، إلا في الجيش وفي المدن ومعسكرات الجيش الكبرى. أما الأعراب الذين بقوا لا يعملون شيئا، في ديارهم ومع قطعانهم، فلم يكونوا يعتبرون مواطنين على الإطلاق"[2].

والجواب أنه لا معنى للتفاوت إذا تساوى القادر والعاجز، وتساوى العامل والكسلان، وأصبح الكسلان يكسل ولا يخاف على وجوده، والعامل يعمل ولا يطمح إلى رجحان، واطمأن المجردون من المزايا كاطمئنان الممتازين عليهم بأشرف المزايا وأعلاها ـ فإن القدرة تكاليفها ثقيلة، وأعباؤها جسيمة، ومطالبها كثيرة[3].

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن دعوى غياب المواطنة بين المؤمنين أو تفاوتهم فيها وفي الأخذ بأقساط الحقوق فيها، دعوى لا تصمد أمام جيش الأدلة التي تؤكد حرص الإسلام على المساواة بين أفراده إلا ما كان من حظوظهم القلبية (التقوى)، وهو أمر لا سبيل إلى العلم به أو الاطلاع عليه من قبل بني البشر، إذ استفرد بالإحاطة به واجب الوجود وحده.

الشبهة الثامنة : الجهاد تعلة للحرب والتسلط

يتحدث فلهاوزن عن الجهاد كما لو أنه وسيلة استراتيجية توسعية وضعية لا علاقة لها بنصوص الوحي ولا بالأمر الإلهي، وهكذا نجده وهو يتحدث عن حروب الردة يقول : "وبدا أن خير وسيلة لرأب الصدع هي التوسع نحو الخارج، هذا التوسع الذي أعقب إخضاع التمرد الداخلي على الفور. وكان الجهاد وهو الحرب في سبيل الله، وسيلة إلى جعل القبائل المتمردة تحرص على مصلحة الإسلام وجعلها ترضى به. ولم يكن

(1) فلهاوزن،24.

(2) فلهاوزن،25.

(3) العقاد : القرآن والإنسان، ضمن الموسوعة الإسلامية، 534.

الجهاد لنشر الدين أكثر من ذريعة وتعلة للحرب، كما لم تكن دعوة أعداء الله إلى الدخول في الإسلام قبل محاربتهم إلا مسألة شكلية، لأنه لم يكن ينتظر منهم أن يلبوا هذه الدعوة حقيقة"[1].

وهذا الرأي فيه ما فيه من التجني، إذ من المعلوم أن الإسلام قد أجاز للأمم أن تبقى على دينها مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة، وهو أهون ما يطلبه غالب من مغلوب.

وإنني أحب أن أسوق في هذا الموضع كلاما كان ذكره العقاد في "عبقرية محمد"، يقول :" الواقع أن الإسلام في بداءة عهده كان هو المعتدى عليه ولم يكن من قبله اعتداء على أحد، وظل كذلك حتى بعد تلبية الدعوة المحمدية واجتماع القوم حول النبي عليه الصلاة والسلام، فإنهم كانوا يقاتلون من قاتلهم ولا يزيدون على ذلك : ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهَ يُقَتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[2]. وقد صبر المسلمون على المشركين حتى أمروا أن يقاتلوهم كافة كما يقاتلون المسلمين كافة، فلم يكن لهم قط عدوان ولا إكراه. وحروب النبي عليه السلام كانت كلها حروب دفاع. ولم تكن منها حرب هجوم إلا على سبيل المبادرة بالدفاع بعد الإيقان من نكث العهد والإصرار على القتال، وتستوي في ذلك حروبه مع قريش وحروبه مع اليهود أو مع الروم.. والحقيقة الثانية، أن الإسلام إنما يعاب عليه أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والإقناع.. ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف "سلطة" تقف في طريقه، وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للإصغاء إليه..لأن السلطة تزال بالسلطة، ولا غنى في إخضاعها عن القوة[3].

الشبهة التاسعة : محمد ﷺ والإسلام الوثني.

في حديث فلهاوزن عن التطورات التي عرفتها مسيرة الرسول ﷺ بعد الفتح، وفرض الحج على المسلمين، نجد هذا المستشرق يتيه بعقله بعيدا في إسقاطات تفسيرية لا يقره عليها إلا نظراؤه من ضعفاء النظر، يقول :"وأصبح الحج إلى الكعبة، بل تقبيل

(1) فلهاوزن، 23.

(2) سورة البقرة، الآية 190.

(3) العقاد: **عبقرية محمد، ضمن الموسوعة الإسلامية**، 2 /45.

الحجر المقدس من الشعائر الدينية المفروضة، وبذلك دخل في الإسلام مركز للشعائر وعيد وثني شعبي"[1]. والواقع أن موقف فلهاوزن من قضية استلام الحجر الأسود ليس فيها مبدعا بل نكاد نجد كل المستشرقين يقصر نظرهم حتى لا يمتد بهم إلا إلى اختزاله في صورة إسقاطية على ما يحملونه من تصورات عن الشعوب الوثنية، فهذا بروكلمان يقول : "قدس العرب القدماء ضروبا من الحجارة في سلع وغيرها من بلاد العرب، كما يقدس المسلمون الحجر الأسود القائم في زاوية من الكعبة في مكة"[2]. ويعتبره بروكلمان أقدم وثن عبدته العرب the oldest idol worshiped there، وعندما بلغ النبي الكعبة طاف بها سبعا على راحلته لامسا الحجر الأسود بعصاه في كل مرة، وبذلك ضم هذا الطقس الوثني إلى دينه[3].

ويمكننا أن نقف على تهافت نظريته من خلال مسألتين شرد فيهما:

الأولى : شروده في اعتباره تقبيل الحجر الأسود من المفروضات، وهو أمر لم يقل به أحد من الأئمة ولا الفقهاء. فقد كان سنة، وبقي إلى يومنا هذا كذلك. روى البخاري والترمذي وقال : حديث حسن صحيح عن عامر بن ربيعة قال : "رأيت عمر بن الخطاب يقبل الحجر ويقول : "إني أقبلك وأعلم أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لم أقبلك". قال ابن رشد :"وكذلك أجمعوا على أن تقبيل الحجر خاصة من سنن الطواف إن قَدِرَ، وإن لم يقدر على الدخول إليه قبل يده"[4].

الثانية : شروده في اعتباره هذا الفعل ـ أي تقبيل الحجر في الحج ـ مركزا للشعائر وعيدا وثنيا شعبيا أخذه المسلمون عن العرب، وذلك لأنه لم يعرف عن العرب عبادتها للحجر من جهة، كما أن الحجر قديم وهو جزء من بناء الكعبة من لدن سيدنا إبراهيم، ومنزلته عند المسلمين سبقت منزلته عند غيرهم، وهو على منزلته باعتباره حجرا من الجنة كما تحكي بعض الروايات لا ينبغي للمسلم أن يتزاحم فيؤذي المسلمين حتى يستلمه لأن حرمة المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة كلها وليس الحجر الذي هو جزء منها.

(1) فلهاوزن، 18.

(2) بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، 8.

(3) بروكلمان: 31.

(4) ابن رشد: **بداية المجتهد**، 1/508.

وقد استمر فلهاوزن على رأيه في أن الإسلام إنما هو استمرار للوثنية أو تطور لها، إذ نجده يقول: "وكانت خاتمة إدماج جزيرة العرب كلها في الإسلام تلك البراءة التي كانت في السنة التاسعة من الهجرة وأيضا حجة الوداع في السنة العاشرة، فأعلن أن الحج إلى مكة وأن العيد الذي يقام إلى جوارها أشياء إسلامية خالصة، فلا يصح للمشركين أن يحجوا إلى مكة، وبذلك أبعدوا عن ميراثهم الخاص، وهو الميراث الوثني الخالص"[1].

وهذا الرأي لم يقبله منه مترجمه كما لا يقبله كل ذي نظر، وقد كتب يقول : "لا يزال المؤلف يتكلم على أساس نظريته، وهي أن التوحيد العربي تطور عن الوثنية، وهذا عكس الواقع في مكة، فالتوحيد هو الأصل والوثنية طارئة، وكما قلنا من قبل لا يعقل أن يبقى دين إبراهيم أو التوحيد السامي دون أن يتسرب إليه داخل جزيرة العرب في العصور القديمة، كما أن اليهودية والمسيحية بعدها، تسربت في عصور تالية، وهذا إلى أن في مأثور العرب أنفسهم ما يدل على أن الوثنية التي كانت في مكة جاءت قبل الإسلام بقرون قليلة، بل إن اسم من جلب الأصنام معروف. والمؤلف نفسه يعرف ذلك كما يدل عليه ما يذكره عن كتاب الأصنام لابن الكلبي، وهو قد ذكر ذلك في كتابه: "**بقايا الوثنية العربية**" والعرب هم الحجة في معرفة تاريخهم، وكل الفروض والاستنتاجات مهما كان فيها من الحذق لا تقوم حجة على العرب"[2].

الشبهة العاشرة : محمد ونقله عن اليهودية والنصرانية

يعتقد فلهاوزن ومعه كثير من المستشرقين، أن نبي الإسلام محمدا ﷺ لا يعدو أن يكون ناقلا عن الديانتين السابقتين، اليهودية والنصرانية، وقد تمحل في عدد من الشرائع التي نقلها عن هاتين الديانتين وأظهر المخالفة لهما حتى لا يتهم بالنقل والاستنساخ. وفي قولهم هذا ضربوا حقائق علمية صريحة، وجاوزا حدود العقل فيما توفره الوثائق التاريخية والاستدلال الخالي من كل عسف، يقول فلهاوزن مثلا وهو يتحدث عن خصومة اليهود للنبي محمد ﷺ: "وعلى هذا خاب أمله في اليهود خيبة مريرة، ولما كانوا لم يعتبروا اليهودية مثل الإسلام، بل جعلوا منها خصما له، فإنه من جانبه جعل الإسلام خصما لليهودية، ثم خصما للنصرانية أيضاً، فجعل لدينه علامة

(1) فلهاوزن:21.

(2) أبو ريدة: هامش(1) **من فلهاوزن** : 21.

تبدو لنا غير ذات معنى وإن كانت في الحقيقة عظيمة الأهمية، وهي لا تعبر عن الاتفاق بين الإسلام وبين الشريعتين المؤاخيتين له، بل تعبر عن تمايزه عنهما. فجعل يوم الجمعة بدلا من يوم السبت أو الأحد، يوم الصلاة الجامعة، وجعل نداء المؤذن بدلا من الأبواق والأجراس، وألغى صيام يوم عاشوراء الذي هو يوم صوم الغفران عند اليهود، وأحل صيام شهر رمضان محل صيام الأربعين Quarantana عند النصارى. وهو إذ جعل الإسلام يقوم على أسسه الخاصة متعمدا نبذ المظاهر اليهودية والنصرانية، قد أخذ يقترب بالإسلام في نفس الوقت من دين إبراهيم اقترابا إيجابيا [1].

والجواب عن هذه المغالطات في النقط الأربعة التالية :

أولاً : القول باقتباس أو أخذ محمد ﷺ من اليهود أو النصارى ديانتهم، لم يقم عليه دليل صحيح، ومدار هذه الشبهة المكررة عند عدد كبير من المستشرقين على ما يروونه من اتصاله بورقة بن نوفل أو بحيرا الراهب أو غيرهما هنا أو هناك، لهؤلاء الذين لم يجتمع بهم أكثر من دقائق، وهي لا تقوم دليلا على شيء مما يريدون.

ثانياً : الدفاع عن هذه الشبهة، إنما يخفي وراءه الرغبة في إفراغ الإسلام من كل قيمة وإبداع وقوة خاتمة، بحيث يرجع أصلها لما سبقها. ومرجع هذه الشبهة إلى طبيعة المنهج الاستشراقي الذي ينظر في الأديان بسؤال من أخذ ممن ؟ وماذا أخذ المتأخر من المتقدم؟ وأين هي أدلة التأثير؟"فحالات التشابه بدلا من أن تكون عامل توحيد للديانات، وتأكيدا على وحدة منبعها وغايتها، تحولت في المنهجية الاستشراقية إلى أدلة سطو فكري[2].

ثالثاً: ورد في كلام فلهاوزن أن النبي ﷺ من باب حرصه على مخالفة اليهود الذين يومئ إلى أخذه عنهم عددا من الشرائع، قد ألغى صيام يوم عاشوراء، والصحيح أن صيام عاشوراء سنة جرى فيها النبي على ما كانت تصومه عليها قريش واليهود، فقد جاء عند البخاري من حديث بن عباس أن النبي ﷺ قدم المدينة واليهود تصوم عاشوراء فقالوا : هذا يوم ظهر فيه موسى على

(1) فلهاوزن:17.

(2)عبد الله محمد: **الاستشراق في السيرة النبوية**، 39.

فرعون، فقال النبي ﷺ لأصحابه «أنتم أحق بموسى منهم فصوموا»[1]. والأمر هنا محمول على الندب لانحصار الفرض في رمضان كما يعرفه أهل الفقه والأصول.

رابعاً : تُفْهِم عبارة فلهاوزن أن هذه الأعمال الشعائرية هي من تدبير محمد وإنشائه، فهو الذي أحل وهو الذي وضع وهو الذي جعل، وهذا الأسلوب ليس بريئا إذ يكشف عن إيمان وعقيدة بأن محمدا ﷺ اختلق هذا الدين ووضعه من عنديته، ولا أصل له من السماء، بل هو نقل محض لما بين يديه من أديان سماوية. وهو أمر بالغ الخطورة، لا لقاء فيه مع المستشرقين ما بقوا على إنكارهم وتكذيبهم برسالة محمد ﷺ. ويكفي أن نذكر أن صيام رمضان لا مدخل لتشريع النبي فيه، بل الأمر نزل من السماء بقول الباري جل في علاه : ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾[2].

وعلى هذا يتحصل مما ذكرنا، كيف أن فلهاوزن وأضرابه غابت عنهم حقائق كثيرة نتيجة إعمالهم المنهج الإسقاطي في تفسير مجريات السيرة العطرة لسيد الخلائق أجمعين، ويتبين معها أن النظر في تاريخ الإسلام بعامة يحتاج إلى أكثر من أدوات ومناهج مادية وتقنية لفهم أحداثه ووقائعه التي يتداخل فيها عالم الغيب بعالم الشهادة، إنه يحتاج من دون شك لفاعلية الإيمان التي تسمح بالاستبصار والاكتشاف والتحليل والتفكيك؛ لأن فاعلية الإيمان تنفع صاحبها من جهتين، إذ تفتح عينيه على آفاق أوسع من المعرفة غير المادية الفاعلة في الواقع المادي، وتمنعه من السقوط في آفات التكذيب والإنكار لما لا تستسيغه حويصلته العقلية والتي هي نتيجة حتمية للعقل المجرد الأصم. ونحن لا نستغرب إذ ذاك أن يبلغ عند المستشرقين من دارسي التراث العربي والإسلامي، التهاون بهذا المبدأ إلى درجة الاستخفاف به ونبذه بالمرة، لأن أغلبهم هو ممن لا يقيم للإيمان وزنا، ولا يرى له فائدة في أية نظرية تبحث في التراث. وهو العطب بعينه؛ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(1) البخاري: الجامع الصحيح، 4/2271، حديث رقم4403.

(2) سورة البقرة ، الآية 183.

المراجع والمصادر

ـ أسعد رزق : **موسوعة علم النفس**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1987،3.

ـ أحمد حسن عبد السلام، **تاريخ الاستشراق الألماني**، ضمن مجلة الفكر العربي، ع31. السنة 1983، ص 188. 202.

ـ بدوي عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين بيروت، ط3، 1993، ص 3.

ـ الديب عبد العظيم: **المنهج عند المستشرقين**، ضمن حوليات كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ع7، الدوحة. 1409.

ـ ابن سيد الناس : **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، بيروت مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1986.

ـ ابن رشد أبو الوليد : **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، تحقيق علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط 2، 2000.

ـ طه عبد الرحمن : **الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري**، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005، ص 1.

ـ عبد الحليم محمود : **أوربا والإسلام**، بيروت، المكتبة العصرية.

ـ عبد الله محمد الأمين النعيم : **الاستشراق في السيرة النبوية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، ط 1، 1997.

ـ العقاد عباس محمود: **الموسوعة الإسلامية**، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1971.

ـ فلهاوزن يوليوس: **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، ومراجعة حسين مؤنس، القاهرة، ط 2، 1968.

ـ المباركفوري صفي الرحمن: **روضة الأنوار في سيرة النبي المختار**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، ط2، 1427.

- مقبول إدريس: **الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم في رؤية إسلامية**، ورقة قدمت للندوة الدولية التي نظمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت شعار "**القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية**" بالمدينة المنورة، 2006.

- ابن هشام : **سيرة النبي** ﷺ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة حجازي، نشر المكتبة التجارية.

Brocklmann, Carl: **History of the Islamic Peoples**, (London.1964).

يوسف فان إيس (المعراج وبداية علم الكلام)

د. أحمد بوعود[*]

اهـتـم الاسـتـشـراق الألماني بـالتراث الإسـلامـي فـانبرى لحفـظ المخطـوطـات وتحقيقها، وتأليف الكتب والدراسات حول الفكر العربي والإسلامي، وكذا نشر اللغة العربية بألمانيا، فضلاً عن ترجمة هذا التراث إلى اللغة الألمانية.

والمتتبع لحركة الاستشراق الألماني يلحظ اختلافا كبيرا في منهج تعامله مع التراث الإسلامي والإسلام عموما، عن باقي الاستشراق العالمي. ويرجع المؤرخون هذا الاختـلـف إلى عدم انهمـاك الألمان في بنـاء إمبراطورية خـارجيـة مثل البريطـانـيين والـفـرنسـيين، واتـخـاذهـم مـوقـف الحيـاد من الأطمـاع الاسـتـعمـاريـة... من هـنـا كـان الاسشتراق الألماني في معظمه استشراقا علميا. لكن هذا لم يمنع من وقوع الاستشراق في أخطاء علمية بسبب المناهج المستخدمة ذات الأصول الغربية الغريبة عن الإسلام وعن تراثه.

ويعتبر يوسف فان إيس الذي و لد سنة 1934 واحدا من المستشرقين الألمان الذين اهتموا بدراسة التراث الإسلامي مستخدما المنهج الفيلولوجي[1] ومخصصا له كل مؤلفاته :

1. فكر الحارث المحاسبي الذي كان موضوع رسالته لنيل الدكتوراه سنة 1959.
2. مجادلات سنية في مواجهة المعتزلي عمرو بن عبيد.

(*) أكاديمية تطوان.

(1) الفلولوجيا : علم يهتم بدراسة الوثائق المكتوبة، خصوصاً الأعمال الأدبية من حيث بناء النصوص وهويتها وعلاقتها بمؤلفها، كما يهتم بدراسة أصل الكلمات ومسالكها.

3. بدايات الزندقة المعتزلية.. نشر وتحقيق نصين للناشئ الأكبر.

4. كتاب النكت للنظام وأثره في كتاب "**الفيئة**" للجاحظ.

5. إبستيمولوجيا عضد الدين الإيجي.

6. بين الحديث والكلام.. مشكلة القدر وكيفية معالجتها في الحديث.

7. الصفدي والوافي بالوفيات.. نشر وتحقيق قاموس تراجم الصفدي.

8. بداية علم الكلام الإسلامي.. نشر وتحقيق نصين عن القدرية.

9. توقعات ألفية وقضية ادعاء الألوهية .. حول الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله.

10. طيلسان ابن حرب.. ترجمة وتفسير بعض أشعار الحمدوني.

11. نصوص لم تنشر حول الكرامية.

12. الوزير وعلماؤه.

13. اللاهوت والمجتمع في القرنين الثاني والثالث الهجريين.. في ستة مجلدات تناول فيه نشأة التفكير الكلامي خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين.

14. بدايات الفكر الإسلامي.. الأنساق والأبعاد، وهو مجموعة دروس ألقيت بالدار البيضاء سنة 1998 باللغة الفرنسية... وفيه زبدة ما كتبه في موسوعته الضخمة السالفة الذكر.

لقد عالج يوسف فان إيس في هذا الكتاب قضية معراج الرسول ﷺ باعتبارها بداية علم الكلام، لما أثير حولها من نقاش بين مصدق ومنكر لإمكان رؤية رسول الله ﷺ لربه عز وجل، فكيف تعامل مع الموضوع ؟.

يؤكد فان إيس بداية أن المعراج أمر مشترك بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، غير أن عيسى عليه السلام قد صعد إلى السماء لكونه اتحد مع الله ! في حين أن محمدا ﷺ بقي كائنا بشريا، فهو لم يمكث إلى الأبد في السماء، بل نزل إلى الأرض... .

1. المعراج ورؤية الله تعالى[1].

يفحص فان إيس هنا الآيات لمعرفة إمكانية دلالتها على رؤية الله تعالى، ويبدأ بالآية الواردة في سورة المعارج التي يستشهد بها المسلمون: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[2]. ويستدرك عليهم أن النص المستشهد به ليس به إشارة ما إلى الرسول ﷺ.

أما الآية الواردة في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير﴾[3]، فيعلق عليها قائلاً: "الآية هنا وردت مفردة، قائمة بذاتها دون أن نضيف ما ورد بعدها شيئاً يوضح المعنى منها. غير أن عبارة ﴿مِنْ آياتِنَا﴾ يمكن أن تؤخذ منها إشارة إلى المعراج أو إلى الرؤية"[4]. وخلاصة الأمر بعد أن يحلل مفردات هذه الآية أن محمدا ﷺ أسري به ليلاً. وينبه هنا إلى أننا لسنا أمام معراج، وإنما أمام رحلة أفقية ﴿إسراء﴾ قام بها محمد ﷺ.

ويصل فان إيس إلى آيات سورة النجم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى(7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى(9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى(10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى(11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى(12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى(14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى(15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى(16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى(17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى(18)﴾[5]، ويخبرنا أن هذا الاستشهاد غير واضح، لكن أهميته تكمن في كونه متضمنا لإشارة تخص لقاء النبي ﷺ مع الله تعالى، من غير إشارة إلى مكان، بخلاف الرؤيتين المثبتتين بكيفية واضحة.

إن صيغة الغائب الموجودة في هذه الآيات تثير انتباه فان إيس، مما يجعله يفترض أن الله عز وجل خاطب الرسول ﷺ بذات صوته وأطلعه فيما يبدو على سر لا يمكن أن يطلع عليه غيره.

---

(1) العناوين من وضع الباحث.

(2) سورة المعارج، الآية 4.

(3) سورة الإسراء، الآية 1.

(4) فان إيس. **بدايات الفكر الإسلامي... الأنساق والأبعاد**، ص 45.

(5) سورة النجم، الآيات 18.1.

ويبقى الموضوع المهم في نظر فان إيس هو ذلك الثقل الكبير لمسألة رؤية الله، ويستدرك أن هذا قد أيقظ مجددا ردود فعل كثيرة بسبب ما تثيره مشكلة الرؤية من القول بالتشبيه. ويرى أن هذا هو المشكل الذي أقلق الإسلام منذ بداية التفكير عبر المصطلحات والمفاهيم الكلامية. ويؤكد أن إيجاد تفسير عقلي لها ليس بالأمر السهل.

إن البنية اللغوية لسورة النجم ترجح تأويلا لصالح إثبات رؤية الذات الإلهية، وذلك اعتبارا لما ورد في نهاية وصف الرؤية الأولى من قوله تعالى : ﴿ **فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** ﴾، وهو ما قد يفهم منه الإشارة إلى ﴿ **عبد الله** ﴾ الذي هو محمد ﷺ، غير أن الضمير في قوله ﴿ **عبده** ﴾ إنما يعود على فعل ﴿ **أوحى** ﴾، وإنما هو نفسه الفاعل في قوله ﴿ **تعالى** ﴾: ﴿ **وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى** ﴾ أي أنه هو الله[1].

وينبه فان إيس إلى أن الرسول، كما يروى في القرآن، لم ير الله أثناء وجوده بنفسه في السماء، بل حدث ذلك في مكان ما من الأرض، ويستشهد لذلك بقوله عز وجل ﴿ **وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى** ﴾.

بعد دراسة هذه الآيات يخلص فان إيس إلى أن كل تفسير مهما كانت طبيعته يضمر موقفا كلاميا، ومع ذلك فهو ليس مجرد إنتاج تصوري محض وتفكير طليق دون قواعد، فلكل تفسير ضوابطه الموجهة والمستقاة من الحقل الثقافي المحيط. ويستطرد موضحا، أنه حينما يكون هناك جمهور يميل إلى الابتعاد عن التشبيه وينفر منه فإنه سرعان ما يتم الاعتقاد بأن ما رآه الرسول ﷺ كان هو جبريل وعلى هذه الأرض.

2. المعراج وبداية الكلام

يبين المستشرق الألماني فان إيس أنه وجد في بدايات عصر التفسير من كان يعتقد، اعتمادا على ما ورد في سورة النجم، أن محمدا ﷺ لم ير جبريل، بل إنه رأى ربه عز وجل. وفي هذا ما يتعارض مع الصورة التي رسمتها السيرة النبوية المعتمدة. وهنا يكتفي بالقول بأن ابن كثير في تفسيره يحتفظ بجملة من عناصر تندرج ضمن ذلك التصور، وهي واردة هناك دون مراجعة أو استغراب من قبل المؤلف. والشاهد الأكبر هنا هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي يرى يوسف فان إيس أن اسمه أضفى طابعاً شرعياً.

(1) فان إيس : بدايات الفكر الإسلامي... ص 49.

في المقابل كانت هناك أحاديث ناتجة عن النزعة القائمة على التنزيه، وهنا يذكر فان إيس حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها التي تنفي نفيا قاطعاً أن يكون الرسول قد رأى ربه، بالإضافة إلى مجموعة من الأقوال المتباينة.

وضمن هذا الموقف/ التصور يحيلنا فان إيس إلى حديث عبد الله بن شقيق العقيلي، قال : "قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول الله لسألته. قال : عم كنت تسأله ؟ قال : إذن لسألته هل رأى ربه؟ فقال : قد سألته أنا. قلت فما قال ؟ قال : «**نور أنى أراه**».

ثم يعلق على العبارة الأخيرة من هذا الحديث قائلاً : "إن الله تعالى لا يتجلى في أية صورة، والرؤية تنحل إلى نوع من الانبهار، وذلك ما مثل الحل الأمثل للمشكل المطروح : إثبات رؤية لا تتعارض مع التنزيه"(1).

ويبالغ فان إيس فينشد ضالته عند الزنادقة، ويختار ابن المقنع ، الثائر ضد العباسيين. لكن رغم ما جاء به هذا العباسي من اختراع فإنه خال من أي انطباع مقنع؛ ذلك أن عيبه يكمن في فكرة التجسيد ذاتها.

هذا، ويرى فان إيس من الصعوبة تأكيد فرضية أن محمدا رأى ربه جالسا على العرش. وهنا يستوقفنا عند السيوطي في كتابه "**اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**" مع نص منسوب إلى الضحاك بن مزاحم، حيث يقتطف بعض المقاطع أسوق منها ما يلي : "فنظرت إليه بقلبي حتى أثبته وأثبت رؤيته، فإذا هو حين كشف عنه حجبه مستو على عرشه في وقاره وعزه ومجده وعلوه... فلما مال إلي من وقاره سبحانه وضع إحدى يديه بين كتفي، لقد وجدت برد أنامله على فؤادي حينا ووجدت عند ذلك حلاوته وطيب ريحه..." أما فان إيس فإنه لا يتفق مع هذا الكلام.

إن هم يوسف فان إيس لا علاقة له بالواقع الفعلي، وإنما محاولته تندرج ضمن مجال التفسير. أهل رأى محمد الذات الإلهية أم أنه فقط رأى ملكا؟ فهذه مسألة خاصة بمحض الإيمان، وليس بالإمكان أن نجد لها حلا اعتمادا على النصوص المتوفرة.

---

(1) نفسه، ص 49.

3. خلاصة

يقيم يوسف فان إيس خلاصة بحثه بعرض ما جاء في القرآن والسيرة، ويوضح مواقف الصحابة رضي الله عنهم التي يرى أنها اتسمت بالتباين، وأن نقض أطروحات المشبهة بدأ على عهدهم، وأخبارهم تتطلب الحذر، والشك سيد الموقف!

أما الأحاديث والأخبار التي كتبت حول المعراج إنما ترجع، في نظر فان إيس، إلى عصر متأخر، وإن مصدرها كان العراق الذي عرف فيه الموضوع انتشارا أوسع مما عرفه في شبه الجزيرة العربية. وبعد العراق انتشر في بلاد فارس، مشيرا إلى أن النص الأكثر انتشارا يرجع إلى منطقة بلخ.

ويستخلص فان إيس بعد تحليله ومناقشاته أن أحدا لم يعتقد أن الرسول قد رأى ربه؛ بل إنه قد سمع صوته فحسب من وراء حجاب، مثلما لم يعد أحد يعتقد أن حادث المعراج كان محض حلم رآه الرسول، بل إنه حادث حقيقي، معجزة!.

4. ملاحظات :

أولاً : قد لا نتفق مع المستشرق الألماني فان إيس في كثير من النقط، لكون الرجل ليس مسلما، وليس عربياً.

ثانياً : إن قيمة المعراج بالنسبة للمسلمين لا تكمن في رؤية الله تعالى من عدمها، وإنما تكمن فيما تدل عليه من معجزة وبواعث على العمل. وهذا ما جزم به فان إيس في ختام كلامه.

ثالثاً : إن المنهج الذي استخدمه فان إيس في بحث قضية المعراج منهج مهم وجدير بالاهتمام والاعتبار، لأنه يحلل الوثائق والنصوص الموجودة، ويكشف عن انسجامها، فضلاً عن صحتها... وهذا منهج مهم في دراسة التراث وقضاياه لأنه بعيد عن توظيف الإيديولوجيات.

رابعاً : إن هذا المنهج يستخدم جميع الوثائق المتوفرة، وقد رأينا استدعاء نصوص الزنادقة، وهذا يمكن أن يشكل عيب المنهج الفيلولوجي عموما، لأن هذه الوثائق خارج الإجماع الإسلامي من جهة، ويحكم أصحابها الهوى من جهة أخرى.

خامساً : نلاحظ من خلال هذا الموضوع أن المستشرقين يخوضون في قضايا دقيقة جداً، وهذا ما يغيب عن الفكر الإسلامي المعاصر الذي يكتفي بالسطحية والتعميم، وهو أولى من غيره بالتدقيق والتنقيب.

سادساً : أراد يوسف فان إيس أن يجعل المعراج بداية لعلم الكلام، لكن المسار الذي اتبعه في التحليل لا يرتقي إلى ذلك، وإن كان يثبت أن قضية المعراج، ومن ضمنها رؤية الله تعالى، ولدت قضية كلامية فيما بعد. والله أعلم.

الجلسة العلمية الثانية

البحث والكتابة في السيرة النبوية عند المستشرقين الألمان

المتحدثون :

- د. عبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي
- د. محمد عبدو
- د. سعيدة العلمي
- د. محمد آيت الفران
- د. حنان السقاط

جهود المستشرقين الألمان في التصنيف
في السيرة النبوية عرض وتحليل

د. عبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي(*)

الحمد لله رب العالمين

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة

فقد اهتم الباحثون الألمان بالدراسات العربية الإسلامية منذ عهد مبكر، ومن تلك الدراسات التي أولوها عناية واهتماما ما يتعلق بسيرة النبي ﷺ.

وقد تمثلت تلك الاهتمامات بدراسة السيرة النبوية وتحليل أحداثها، ومناقشتها، وتحقيق كتبها ونشرها وترجمتها إلى اللغة الألمانية.

وقد رأيت من المناسب أن يكون موضوع مشاركتي في هذه الندوة الميمونة، والملتقى العلمي الكريم بعنوان : "**جهود المستشرقين الألمان في التصنيف في السيرة النبوية عرض وتحليل**".

ويأتي هذا البحث في محاولة لإنصاف ظاهرة الاستشراق الألماني في ميدان التصنيف في السيرة النبوية، ووضعه في الموضع المناسب، وذلك من خلال ذكر من كتب فيها، وبيان الجهود والمآثر التي امتازوا بها، والمآخذ والأخطاء التي وقعوا فيها، رغبة في النظرة العادلة لتلك الظاهرة الاستشراقية.

(*) جامعة الإمارات العربية المتحدة.

وإن أي دراسة عن الاستشراق الألماني أو غيره ينبغي أن تنطلق من الرؤية الإسلامية في الحكم على الأشياء : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين** ﴾[1].

وقد جاءت هذه الدراسة في مبحثين :

المبحث الأول : استعرضت فيه إسهامات المستشرقين الألمان في خدمة السيرة النبوية من خلال التصنيف فيها، وذكر أسمائهم، ونبذ مختصرة عن نشأتهم، وأهم مصنفاتهم العامة، وما وقفت عليه من مصنفاتهم في السيرة النبوية.

وأما المبحث الثاني : فقد خصصته للكلام عن المنصفين والمتعصبين من المستشرقين الألمان الذين صنفوا في سيرة النبي ﷺ، وبيان منهجية الفريقين في تناول أحداث السيرة النبوية.

ولابد من الإشارة في هذا المقام إلى أنني لم أعمد في هذه الدراسة إلى حصر كل ما أسهم به المستشرقون الألمان في التصنيف في سيرة النبي ﷺ، ولكنني عرضت بعض النماذج التي استطعت الوقوف عليها من خلال البحث والتتبع والاستقراء.

داعيا المولى عز وجل أن يوفقنا جميعا لما فيه خدمة دينه، وإعلاء كلمته، والذود عن سنة نبيه ﷺ وسيرته، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

المبحث الأول : المستشرقون الألمان الذين صنفوا في السيرة النبوية

لعبت المدرسة الاستشراقية الألمانية دورا هاما في مد جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي وأوربا، وقدمت مساهمات كثيرة في مجال الدراسات الإسلامية، وقد كان لهذه المدرسة فضل السبق في نشر كثير من المخطوطات وتحقيقها، وطباعة كتب التراث، وترجمة القرآن الكريم[2].

وإن من المكابرة ـ كما يقول العلامة أبو الحسن الندوي ـ أن لا ينطلق اللسان بمدح تلك الجهود والثناء عليها، فبفضلها برز كثير من نوادر كتب العلم والمعارف، وكم من المصنفات القيمة قد صدرت لأول مرة بفضل نشاطهم وهمتهم، وقرت بها عيون العلماء والمتعلمين[3].

(1) سورة النساء، الآية 135.

(2) انظر ذلك بالتفصيل : **الاستشراق الألماني ودوره في نقل الثقافة العربية** للدكتور محمد أبو الفضل بدران.

(3) **الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين** لأبي الحسن الندوي 17.16.

ويختلف الاستشراق الألماني عن بقية مدارس الاستشراق الأوربية الأخرى، سواء أكان ذلك من حيث النشأة أم من حيث الاهتمام بالدراسات المرتبطة بالعصر الحاضر[1].

وقد أولى المستشرقون الألمان سيرة النبي ﷺ اهتماما كبيرا، وذلك من خلال التصنيف والكتابة فيها، وترجمة كتبها، وتحقيقها، ونشرها، وسأتناول في هذا المبحث تلك الجهود المبذولة، مقتصرا على ميدان الكتابة والتصنيف في السيرة النبوية مرتبا ذكر هؤلاء المستشرقين على حسب حروف المعجم :

1. أنَّا ماري شيمل Annemarie Schimmel 1922-2003

ولدت ماري شيمل عام 1922م، وكان هذا اليوم يوما مباركًا وميمونا للاستشراق والمستشرقين ـ كما تقول هي عن ذلك.

وقد كانت شيمل تهتم في دراساتها بنقد أعمال المستشرقين وتقويمها، وقبل ذلك كانت تهتم بالتصوف والمتصوفين، والعلاقة الشديدة بالشعر والأدب وبخاصة جلال الدين الرومي، والاهتمام بالآداب الإسلامية كالعربية والفارسية والتركية.

وكانت لها علاقة خاصة بالقرآن الكريم، لأنها كانت تؤمن بأنَّ المنبع الأصيل لفهم الإسلام هو القرآن الكريم، لذلك فإنها كانت تحب القرآن حبًّا جمًّا، وقد حفظت قسما منه، وكانت قد ترددت أنباء عن إسلام شيمل، غير أنها لم تشهر إسلامها حتى وفاتها.

ويصفها المفكر الإسلامي عبد الحليم خفاجي بـ " مؤمنة آل فرعون "، "ومن شدة اعتقادها بالقرآن وعمق رؤيتها فإنها افتتحت كل فصل من فصول كتابها "**الشمس المنتصرة**" **The Triumphal Sun** عن أفكار جلال الدين الرومي بآية من آيات القرآن الكريم حسب سياق موضوع كل فصل[2].

ومن كتاباتها عن سيرة النبي ﷺ **كتاب"محمد نبي الله"** أو "**الرسول في الإسلام**".

وعلى الرغم من أن السيدة شيمل تقاعدت عن العمل في عام 1982م، إلاّ أنها لم تترك البحث والدراسة والكتابة حتى آخر لحظة من حياتها عندما وافاها الأجل في بون في يناير عام 2003 عن عمر يناهز الثمانين عاماً.

(1) انظر **الاستشراق الألماني**، للدكتور أحمد محمد هويدي 10.9.

(2) صادق العبادي، مجلة الفيصل، العدد 322، ص 116. 1424 هـ.

وقد شهد بفضل تلك المستشرقة الشرقيون والغربيون على حد سواء[1].

2. أوتو برتسل Otto Pretzl

وهو مستشرق ألماني، ولد في العشرين من أبريل عام 1893 في ميونخ، وتتلمذ في جامعة منشن، حيث درس معظم اللغات السامية، وتخصص ابتداء في علم العهد القديم من الكتاب المقدس، ثم ما لبث أن صرف كل اهتمامه إلى اللغة العربية ولهجاتها، والقراءات القرآنية بصورة خاصة، ووضع مشروعا لنشر المؤلفات الرئيسة في القراءات، وتولت رعايته والإنفاق عليه أكاديمية بافاريا للعلوم، وحقق كتاب التيسير في القراءات السبع ونشر في اسطنبول عام 1930، وكتاب "**المقنع في رسم مصاحف الأمصار**" مع كتاب "**النقط**" كما اهتم أيضاً بعلم الكلام في الإسلام، وقد شارك في الحرب العالمية الثانية، وقتل وهو يؤدي واجبه العسكري في حادث سقوط طائرته، وذلك في الثامن والعشرين من أكتوبر عام 1941، وهو في الثامنة والأربعين من عمره.

ومن كتاباته **في سيرة النبي ﷺ بحثه الموسوم "محمد بوصفه شخصية تاريخية".**

Muhammed als geschichtlic personlichkeit in hisetorische zeitschrift

وقد طبع عام1940[2].

3. أوجست فِشر : (1865-1949) August Fischer

وهو مستشرق ألماني اختص باللغة العربية : نحواً وصرفاً ومعجماً، مواصلاً الدرب الذي بدأه أستاذه اللغوي هينرش ليبرشت فليشر مؤسس ما يعرف باسم مدرسة ليبتسك في الاستشراق الألماني.

ولد أوجست فشر عام 1865، وتوفي في الرابع عشر من شهر فبراير عام1949. وقد حصل على شهادة الدكتوراه الأولى نهاية عام 1889 من جامعة هلّه، وكان عنوان رسالته : "تراجم حياة الرواة الذين اعتمد عليهم ابن إسحاق" وقد نشرت تلك الرسالة عام 1890.

---

(1) المصدر السابق، 119.

(2) انظر : المصدر السابق 54.53، **المستشرقون والإسلام للطفي حداد**، بحث منشور في مجلة الحوار المتمدن، العدد 1190، بتاريخ 7/5/2005.

وقد اعتمد فيها على كتب الجرح والتعديل، وبخاصة كتاب الإمام الذهبي الموسوم: "**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**" ولم يكن قد طبع بعد، واعتمد على بعض نسخه الخطية في برلين وجوتا[1].

وقد عمل مدرسا للغة العربية وأمينا لمعهد اللغات الشرقية في برلين بدءً من عام 1896 إلى ربيع 1900، ثم شغل بعدها كرسي اللغات الشرقية في جامعة ليبتسك، وقد استطاع أن يجعل من تلك الجامعة مركزاً مرموقاً للدراسات الشرقية، فأمها دارسو العربية وعلومها من سائر أنحاء ألمانيا.

وكان أول اتصال له بالعالم العربي رحلته إلى المغرب عام 1898.

وقد عني بدراسة تاريخ اللغة العربية من أقدم نصوصها وحتى لهجاتها المحلية المعاصرة، وحرص على تحليل لغة الشعر بوجه خاص.

ومن كتاباته حول النبي ﷺ بحث بعنوان : "**محمد وأحمد اسمان للنبي العربي**" وقد نشر عام 1932م.

4. رودولف اشتروطمن 1877-1960 Rudolf Strothmann

وهو مسستشرق ألماني ولد سنة 1877 في مدينة لنجريش غربي ألمانيا، وتعلم في جامعتي "هلّه" و"بون"، وكان من أبرز تلاميذ كارل بروكلمان، وتخصص في اللاهوت، وصار مدرسا في "مونستر" عام1905، وقسيسا ومرشدا للدراسات في "شولبفورتا" من عام 1907، حتى عام 1923.

ودعي عام 1923 ليكون أستاذا للدراسات الشرقية في جامعة جيسن، ثم في عام 1927، عين أستاذا للدراسات الشرقية في همبورج، واستمر في عمله حتى تقاعده عام 1947م.

وقد عني اشتروطمن بدراسة المذاهب الإسلامية المغمورة، والفرق الدينية المحدودة الانتشار. فعني بدراسة الزيدية، وصنف عدة كتب عن تلك الفرقة، ثم انكب بعد ذلك على دراسة سائر فرق الشيعة الأخرى.

(1) موسوعة المستشرقين: 280.

وعند النظر في قائمة مؤلفاته نجد له بحثا بعنوان : "بدر أحد وكربلاء" وقد نشره في مجلة ZLO سنة 1926م.[1]

ولم أقف على ذلك البحث وطبيعته، وهل له صلة بغزوتي النبي ﷺ تلك، أم أن حديثه تركز حول موقعة كربلاء، واستشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه؟

5. ريسكه : Johann jakob Reiske 1716-1774

ولد ريسكه في الخامس والعشرين من ديسمبر عام 1716، وتوفي سنة 1774م، وكان أبوه دباغا وتوفي وهو صغير فأودع في ملجأ للأيتام في مدينة هلّه، وأتقن اليونانية واللاتينية وهو في المدارس الابتدائية والثانوية.

ويُعَد هذا المستشرق واحداً من عباقرة علماء اللغة العربية في عصره، وأول مستشرق ألماني جدير بالذكر، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكانة بارزة للدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا، والغرب عموما[2].

وريسكه هو أول من تمرد على النظرية الضيقة التي حكمت عقول المستشرقين وقررت أن وظيفة دراسات علم الاستعراب يقتصر على خدمة علم اللاهوت المسيحي.

وأعلن بجرأة تامة بأن "اللغة العربية يمكن أن تكون مفيدة جداً للتاريخ والشعر، وهذا ما يقوي رغبتي في أن تكون اللغة العربية، عندنا أكثر شهرة وذيوعاً، ولا يهمني ما يسمى بعلم (اللغة المقدسة)؛ يمكن أن يبنى على أساسها. وإذا أردنا أن نساعد اللغة العربية فإنه ينبغي ألا تدرس كما يدرس علم اللاهوت، فبمساعدة اللغة العربية يجب العمل على تفسير وإغناء التاريخ والجغرافيا والرياضيات والفيزياء والطب"[3].

ويعود الفضل لريسكه في تصحيح صورة الإسلام والنبي محمد ﷺ، التي شوهها من سبقوه في الكتابة في ميدان الدراسات العربية والإسلامية. ففي مؤلفاته امتدح المستشرق ريسكه الدين الإسلامي الحنيف، ورفض وصف النبي محمد ﷺ بالكذب أو التضليل، وكان يرى أن ظهور النبي محمد ﷺ وانتصار دينه من الأحداث التاريخية التي لا يستطيع العقل الإنساني إدراك مداها، ويرى في ذلك برهانا على تدبير قوة إلهية

(1) موسوعة المستشرقين: 19.

(2) انظر ترجمته المفصلة في المصدر السابق، 203-209.

(3) مع المخطوطات العربية، كراتشكوفسكي : 321.

قديرة. كما رفض تقسيم تاريخ البشرية إلى تاريخ مقدس وتاريخ غير مقدس، ووضع العالم العربي في قلب التاريخ العالمي.

وفضلاً عن هذا عبّر عن آرائه بأعظم قدر من الصرامة، لذا حاربه رجال اللاهوت واتهموه بالزندقة.

لقد عاش هذا العالم المنصف في ظروف قاسية وعن تجربته المريرة وشغفه بالأدب العربي وفضله في تعريف الغرب به، وجحود أبناء قومه وعدم تقديرهم لهذا العمل الجليل، يقول : لقد أصابني السوء من هذا، وكان يجب علي أن أدفع غالياً وغالياً جدا، ثمن حماقتي! لقد أصبحت صريع الأدب العربي، يا ليت ظمئي الملتهب آنذاك، إلى هذا الأدب، هذا الظمأ الذي لم يجلب علي إلا التعاسة بسبب أنه جاء إلي في وقت مبكر، في وقت لم يكن أحد محتاجاً إليه، وبالأحرى لم يكن أحد يقدر ذلك أو يشجعه أو يكافئ عليه؛ ليت هذا الظمأ اهتدى إلى نفس تستطيع في وقت ما أن تحيى في أزمنة أكثر سعادة! إذا جاءت هذه الأزمنة في وقت ما، وإن كان ليس هناك أمل في هذا، فعندئذ يقدر الأدب العربي، ويدرس باهتمام أكثر مما هو الآن[1].

6. شبرنجر : 1813-1893 .

وهو مستشرق ألماني بارز، كرس نفسه للدراسات الآسيوية كما أعلن هو عن نفسه وزار الشرق، وأقام اثني عشر عاما في الهند.

قام بإعداد كتاب : "**فهرست كتب الشيعة**" للطوسي للطبع، كما قام بطبع كتاب "**الإتقان في علوم القرآن**" للإمام السيوطي في سلسلة المكتبة الهندية، وغيرهما.

ومن مصنفاته في السيرة النبوية : "**حياة محمد وتعاليمه حسب مصادر لم تستخدم غالبيتها إلى الآن**" ويقع في ثلاث مجلدات[2].

7. فايل "جوستاف" Gustav Weil.1808.1889م.

وهو مستشرق ألماني، يهودي الديانة ولد في أبريل 1808 في سالزبورج Sulzburg وهي مدينة صغيرة في جنوب ألمانيا، ومات في برسيجاو.

---

(1) المصدر السابق.

(2) **المستشرقون والتاريخ الإسلامي** للدكتور علي حسني لخربوطلي، 119.

أقام زمناً في باريس يأخذ العربية عن علماء المستشرقين، وانتقل إلى الجزائر ثم إلى مصر حيث اشتغل مدرّساً ومترجماً.

ولما عاد إلى بلاده عمل في مكتبة «هايدلبرج» ثم عين أستاذاً للتاريخ الشرقي في جامعتها سنة 1837م.

نشر باللغة العربية "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" للأنباري. وترجم إلى الألمانية عدة كتب، منها "**السيرة النبوية** " لابن هشام في مجلدين، و" **أطواق الذهب**" للزمخشري، و" **ألف ليلة وليلة** ".

وله باللغة الألمانية عدة كتب في تاريخ الشعوب الإسلامية، وفي تاريخ الخلفاء.

ويعد كتابه الأخير هذا استمرارا لكتابه عن حياة النبي ﷺ، حيث بدأ المجلد الأول بالحديث عن وفاة النبي ﷺ[1].

ويعد المستشرق فايل من الأسماء المشهورة التي كتبت عن سيرة النبي ﷺ، وتمثلت تلك الكتابات فيما يأتي :

أ) رسالة إلى رينو عن واقعة تتعلق بالنبي ﷺ في بدء رسالته، ونشرت في المجلة الآسيوية، عدد مايو 1843م.

ب)"النبي محمد : حياته ومذهبه" "Mohammed der prophet : Sein leben und seine lehre" وقد نشره عام 1843م.

وقد اعتمد فايل في هذا الكتاب على "**السيرة النبوية**" لابن هشام، و"إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون" المشهور بالسيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي، و"السيرة النبوية" لحسين الديار بكري.

ويعد كتاب فايل هذا من أوائل الكتب التي كتبها المستشرقون المحدثون عن سيرة النبي ﷺ ورسالته.

كما يعد هذا الكتاب كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي من أشد الكتب تحاملا وبعدا عن الموضوعية العلمية، والدقة التاريخية.

(1) انظر: **موسوعة المستشرقين**: 271 ـ 272، الموقع الإلكتروني لمركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق: http: www.madinacentre.com

وقد زعم جوستاف فايل مع بعض المستشرقين أن محمداً كان يعاني من داء الصرع، واستشهد بأنه ولد وبصره شاخص إلى السماء، وإذا جاء المولود وبصره شاخص إلى السماء، وهو عكس الوضع الطبيعي للمولود، تتعثر عملية الولادة وتطول وغالباً ما يحدث نزيف بسيط في عدة أماكن من الدماغ تؤدي في بعض الحالات إلى حدوث الصرع في الشخص عندما يكبر.

ج) نشر مقالاً في "المجلة الآسيوية" (يوليو 1842م) جمع فيه عدة مواضع لمؤلفين مسلمين تتعلق بأحوال نفسية كانت تنتاب النبي ﷺ على حد زعمه[1].

8. كارل بروكلمان 1868ـ1956. Carl Brockelman.

هو مستشرق ألماني بارز بل يعد شيخ المستشرقين المحدثين. ولد في السابع عشر من سبتمبر عام 1868 في مدينة روستوك، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، ودرس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق نولدكه.

ومن مؤلفاته المشهورة التي لاقت رواجا وانتشارا واسعا : كتاب "**تاريخ الأدب العربي**" الذي ترجم في ستة مجلدات، وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات، ووصفها، ومكان وجودها، ويعد كتابه هذا فتحا في بابه[2].

وقد اهتم بروكلمان بدراسة التاريخ الإسلامي، وله في هذا المجال كتاب مشهور بعنوان " **تاريخ الشعوب الإسلامية** " وقد ترجمه إلى اللغة العربية : منير البعلبكي، ونبيه أمين فارس، وكانت أولى طبعاته العربية عام 1948م، ثم توالت الطبعات، ومن آخر تلك الطبعات التي وقفت عليها طبعة دار العلم للملايين عام 1993م.

ويقع هذا الكتاب في تسعمائة صفحة، تحدث فيه بروكلمان عن تاريخ العرب قبل الإسلام حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وكرس فيه كل جهوده لدراسة أحوال المسلمين السياسية والحضارية طوال تلك الحقبة الزمنية، إلا أنه مع هذا الجهد الكبير لم يخل من المآخذ العلمية عليه، وعدم توخي الصدق في أقواله وتحليلاته، ومن

---

(1) **موسوعة المستشرقين** لعبد الرحمن بدوي: 272 ـ273.

(2) انظر : ترجمته بالتفصيل في : الأعلام للزركلي 5/211، 212، **المستشرقين الألمان تراجمهم**، جمع صلاح الدين المنجد : 153ـ162؛ **موسوعة المستشرقين** : 57ـ65؛ **الاستشراق الألماني** للدكتور أحمد محمد هويدي : 34.

يطالع الكتاب يجد أن بروكلمان عند حديثه عن القرون الإسلامية المبكرة قد عمل كل ما في وسعه لتشويه الحقائق وتزييفها والافتراءات[1].

وقد تحدث بروكلمان عن سيرة النبي ﷺ في خمسين صفحة تقريبا من هذا الكتاب[2].

وقد جاءت كتاباته عن سيرة النبي ﷺ مليئة بالمغالطات والافتراءات. ومن أعظم افتراءاته ومغالطاته في السيرة ما يأتي :

أولاً : ادعاؤه اتصال النبي ﷺ باليهود والنصارى وتأثره بهم :

حيث يتحدث بروكلمان في كتابه "**تاريخ الشعوب الإسلامية**"، ص 34 عن بعثة النبي ﷺ، ويبدأ حديثه بالقول : وأغلب الظن أن محمدا قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جداً، وهو أمر لم يكن مستغربا عند أصحاب النفوس الصافية من معاصريه الذين قصّرت العبادة الوثنية عن إرواء ظمئهم الروحي.

وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد.

وفي صفحة 46-47 يتحدث عن موقف النبي ﷺ من اليهود واتصاله وتأثره بهم حيث يقول : "وتأثرت اتجاهات النبي الدينية في الأيام الأولى من مقامه في المدينة بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود".

وأغلب الظن أنه كان يرجو عقب وصوله إلى المدينة أن يدخل اليهود في دينه، وهكذا حاول أن يكسبهم من طريق تكييف شعائر الإسلام بحيث تتفق وشعائرهم في بعض المناحي فشرع صوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم على غرار الصوم اليهودي في يوم الكفارة الذي يقع عندهم في العاشر من شهر تشرين، وبينما كان المؤمنون لا يصلون إلا مرتين في اليوم، أدخل في المدينة على غرار اليهودية أيضا صلاة ثالثة عند الظهر ...كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت

(1) ممن رد على تلك المغالطات والافتراءات كل من عبد الكريم علي باز في كتابه " **افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي**"، ومحمد سرور بن نايف زين العابدين في كتابه": **دراسات في السيرة النبوية**"، والدكتور غيتان جريس. في كتابه: "**افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية**"، والدكتور لخضر شايب في كتابه" **نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر**".

(2) انظر **تاريخ الشعوب الإسلامية**، 31 ـ 82.

اليهودي، ولكنه خالف اليهود حين سمح للمؤمنين بأن ينصرفوا في ذلك النهار، إلى شؤونهم الدنيوية قبل أداء الصلاة وبعدها.

ثانياً : زعمه أن النبي ﷺ قد اعترف بآلهة الكعبة الثلاث:

وفي ذلك يقول ص34، ومع الأيام أخذ الإيمان بالله يعمر قلبه ويملك عليه نفسه، فيتجلى له فراغ الآلهة الأخرى، ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، ولقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله : (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتضى).

ورأي بروكلمان هذا كرأي غيره من المغرضين الحاقدين الذين وضعوا هذه الفرية بغية الطعن في أعظم دعائم هذا الدين **القرآن الكريم** وبالتالي يتسرب الشك في قلوب المسلمين حتى يضعف إيمانهم ويتزعزع[1].

وقصة الغرانيق هذه قصة باطلة ومكذوبة على رسول ﷺ، وقد تناقلتها بعض كتب التفسير من أنه ﷺ كان يقرأ في الصلاة بالناس سورة ﴿**النجم**﴾: فلما وصل ﷺ إلى قوله تعالى : ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾؛ قال : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. ثم استمر ﷺ في القراءة ثم سجد وسجد كل من كانوا خلفه من المسلمين، وتضيف الروايات أنه سجد معهم من كان وراءهم من المشركين !!

ثالثاً : دعوى الوحي النفسي :

يقول المستشرق بروكلمان، ص 36 ، مصوراً لنا الوحي النفسي الذي يزعمه - هو ومن قال بقوله - : "بينما كان بعض معاصري النبي، كأمية بن أبى الصلت شاعر الطائف، وهى بلدة بحذاء مكة، يكتفون بوحدانية عامة، كان محمد يأخذ بأسباب التحنث والتنسك ويسترسل في تأملاته حول خلاصة الروحي، ليالي بطولها في غار حراء قرب مكة، لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج في نفسه هذا السؤال، إلى متى يمدهم الله في ضلالهم، مادام هو عز وجل قد تجلى، آخر الأمر، للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، ولكن حياءه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة، ولم تتبد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء.

---

(1) أنظر: **افتراءات المستشرق** كارل بروكلمان على **السيرة النبوية** للدكتور غيثان جريس،25.

ذلك بأن طائفاً تجلى له هنالك يوماً، هو الملك جبريل، على ما تمثله محمد في ما بعد، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة، وآمنت زوجه في الحال برسالته المقدسة، وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التي ناداه فيها الصوت الإلهي وتكاثرت. ولم تكد هذه الحالات تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من عند الله".

وبالتأمل في هذه المزاعم، ترى أنها مع طعنها في الوحي المنزل على رسول الله، تطعن في عصمته فيما بلغه من الوحي عن ربه عز وجل.

ويجاب عن هذه المزاعم بما يلي :

أولاً : هذا الذي يروجه كارل بروكلمان ومن يدور في دائرته اليوم باسم الوحي النفسي زاعمين أنهم بهذه التسمية، قد جاءونا برأي علمي جديد، وما هو بجديد، وإنما هو الرأي الجاهلي القديم، لا يختلف في جملته ولا في تفصيله، فقد تصوره أهل الجاهلية، رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق، فهو إذن شاعر، ثم قالوا إن وجدان النبي يطغى كثيراً على حواسه، حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه؛ وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخليته ووجد آناته، فهو إذن الجنون أو أضغاث الأحلام.

ثانياً : إن صورة الوحي النفسي كما صوروه مبنية على وجود معلومات وأفكار مدخرة في العقل الباطن، وأنها تظهر في صورة رؤى ثم تقوى فيخيل لصاحبها أنها حقائق خارجية.

وإني أتساءل : هل كان الدين الذي جاء به خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام بعقائده وتشريعاته في العبادات والمعاملات، والحدود، والجنايات، والاقتصاد، والسياسة، والأخلاق والآداب، وأحوال السلم والحرب، مدخراً في نفسه؟.

وهذا ما تنكره العقول بداهة، لأن ما جاء به وبلغه من وحي الله في العقائد: يعتبر مناقضاً لكل ما كان سائداً في العالم حينئذ، من عقائد، كالوثنية، والمجوسية، والتأليه، والتثليث، والصلب، وإنكار البعث، واليوم الآخر.

ثالثاً : ليس كل ما في الوحي الإلهي مما يستنبطه العقل والتفكير ومما يدركه الوجدان والشعور.

ففي الوحي جانب كبير من المعاني النقلية البحتة التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعليم، أو المعاصرة.

ومن هذه الجوانب. ما جاء في الكتاب والسنة، من أنباء ما قد سبق، وما فصله من تلك الأنباء، على وجهه الصحيح كما وقع.

أيقولون إن التاريخ يمكن وضعه أيضاً بإعمال الفكر، ودقة الفراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى فيقولون: إن محمداً قد عاصر تلك الأمم الخالية، وتنقل فيها قرناً قرناً، فشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان أو أنه ورث كتب الأولين، فعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها؟.

إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذاك، لأنهم معترفون مع العالم كله بأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن من أولئك ولا هؤلاء.

رابعاً : إن الوحي الذي حدث للنبي فجائي طارئ لا يمكن إحضاره واجتلابه، وبالتالي لا يمكن دفعه ورده.

ومن أوضح الأدلة على ذلك، ما يعتريه من أعراض جسدية لا سيطرة له عليها، كاحمرار وجهه، وتتابع أنفاسه، وسماع غطيط منه، وما يتقاطر منه من عرق في اليوم الشديد البرد، وثقل جسمه، وما يسمعه الصحابة عند وجهه من صوت كدوي النحل، وقد سبق ذكر الأحاديث الدالة على ذلك.

ومما يدل على ذلك أيضاً، ما انتابه من أحوال تمثلت في خوفه من ملك الوحي في مبدأ أمره عندما قال ﷺ : «لقد خشيت على نفسي» وقوله : «زملوني زملوني، حتى ذهب عنه الروع».

خامساً : النبوة ليست أمراً كسبياً يناله المرء بسعيه وكسبه، ولا تخضع لجهد فكري، أو ترقي روحي وأخلاقي، ولا تنال بالقيم الدنيوية، ولا الاعتبارات المادية، فليست باباً مفتوحاً يلج من خلاله من سمت نفسه، بل هي اصطفاء إلهي يختص به من يشاء من عباده.

وقد جعل الله تعالى النبوة في محمد وفي الرسل قبله، واصطفاه لذلك؛ فأي غرابة وعجب في ذلك؟ .

إن قدح بروكلمان ومن شايعه في إثبات الوحي لمحمد، وعصمته فيما بلغ، هو قدح في ديانته وفي رسوله الذي يؤمن به، ولكن لعل بروكلمان يرى كما يرى غيره من أهل ملته، أن الوحي هو حلول روح الله في روح الموحى إليه.

ولأجل ذلك ألهوا رسولهم، وهذا تعريف خاطئ للوحي، وقول فاسد، بل هو كفر وإلحاد، فالله لا يحل في غيره، ولا يحل فيه غيره.

وهكذا ترى أن ما زعمه من فرية الوحي النفسي، إنما هو اختلاق كان مبعثه الحقد على الإسلام والمسلمين وإرادة إبطال عصمته.

رابعاً : ربطه بين لغة القرآن وسجع الكهّان :

حيث يتحدث بروكلمان في صفحة 36-37 عن نزول القرآن على النبي ﷺ، ثم قراءته على الناس مشيرا إلى أنه لم يكن بعيدا عن أقوال الشعراء والكهان في الجاهلية، وهذا كما يعتقد أمر مألوف عند العرب في أن يظهر الواحد منهم، فيذيع أقواله في الناس "نثرا مسجوعا كما فعل النبي فيما نزّل عليه من وحي، ومن هنا كان على محمد أن يحتاط مرة بعد مرة، من أن يضعه مواطنوه في مصف هؤلاء الكهان ومرتبتهم.

وهذه المقارنة التي يذكرها بروكلمان بين الشعراء والكهان مع رسول الله ﷺ ليست بغريبة ولا حديثة العهد، وإنما ذكرها مستشرقون آخرون، وكلهم لم يخرجوا من دائرة كفار مكة أيام رسول الله محمد ﷺ، فقد قالوا أنه كاهن وشاعر ومجنون، وقد رد القرآن الكريم على تلك الافتراءات فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون** ﴾[1].

وقال سبحانه : ﴿**إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون**﴾[2].

خامساً : أكاذيبه حول حادثة الإسراء والمعراج:

حيث يقول، ص 44 : "ومن الجائز أن تكون هذه الرحلة السماوية التي كثيراً ما أشير إليها بعد في الأساطير الشعرية التي خلفتها لنا الكتب الإسلامية جميعها أقدم عهدا من ذلك، ولعلها ترجع إلى الأيام الأولى للبعثة".

وتعبير بروكلمان "الأساطير الشعرية" يفهم منه أنه غير مصدق بحادثة الإسراء التي ذكرت في سورة ﴿**الإسراء**﴾، والمعراج الذي ذكر في سورة ﴿**النجم**﴾، وثبتت بالأحاديث الصحيحة.

(1) سورة القلم، الآية 51.

(2) سورة الحاقة، الآية 40-41.

سادساً: أكاذيبه حول غزوة بني قينقاع وغزوة بني النضير وغزوة بني قريظة وغزوة تبوك:

حيث يقول عند حديثه عن غزوة بني قينقاع، ص50ـ 51. "وكان موقف النبي من اليهود أقسى وأعنف، وأن على بني قينقاع، وهم من الصاغة، أن يستشعروا قبل غيرهم قوته وحزمه، فلم يكد ينقضي شهر على معركة بدر حتى وجّه محمد رجاله عليهم لقتلهم. في الظاهر، رجلا مسلما قد قتل يهوديا إثر خلاف جرى بينهما. فاضطرهم إلى الاستسلام، بعد أن حاصرهم في حيهم عدة أسابيع".

وعند حديثه عن غزوة بني النضير وبني قريظة، ص 52، يقول : "وكان على محمد أن يعوّض هذه الخسارة التي أصابت مجده العسكري من طريق آخر، ففكر في القضاء على اليهود، فهاجم بني النضير لسبب واهٍ، وحاصرهم في حيهم، وإذ لم يجرؤ إخوانهم في الدين من بني قريظة على أن يسعفوهم، فقد اضطروا إلى الاستسلام بعد حصار دام بضعة أسابيع".

وعند حديثه عن غزوة تبوك، ص 65. يقول : "ولم يقدّر لمحمد نفسه أن يخوض غمرات القتال من جديد إلا مرة واحدة، وذلك بأن الهزيمة التي أنزلها البيزنطيون بجيوشه في مؤتة ظلت على كل حال بلا ثأر، ومن هنا أمر أصحابه في أشد أيام الصيف قيظا من سنة 630، بأن يحملوا على البيزنطيين، ولسنا نعرف على اليقين ما الذي دعاه إلى انتهاج هذه السبيل في ذلك الوقت بالذات، فقد يكون قصد إلى أن يشغل أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون في حال من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين، ولعله كان يرجو إخضاع ما بقي من نصارى العرب الذين كانت بيزنطة من ورائهم تمدهم وتساندهم".

وأما عن فتح مكة والحج، فيقول، ص 65 . "وكان على الوثنية أن تخسر وشيكا آخر معاقلها. فبعد فتح مكة، تحمل النبي صابرا أول الأمر الاحتفال بموسم الحج على الطريقة الوثنية القديمة".

ويقول، ص 80 ـ 81. "ولم يجز النبي لأحد غيره أن يتزوج عددا غير محدود من النساء".

وغير ذلك من الأكاذيب والافتراءات التي أراد من خلالها الإساءة إلى شخصية النبي ﷺ.

9. نُولْدِكِه " تيودور" Theodor Noldeke 1836 ـ 1930م.

وهو مستشرق ألماني، بل يعد شيخ المستشرقين الألمان بغير مدافع، ولد في هاربورج بألمانيا عام 1836، وتعلم في جامعات غوتنجن وفينّة وليدن وبرلين.

وانصرف إلى اللغات الساميّة، والتاريخ الإسلامي، فعُين أستاذاً لهما في جامعة غوتنجن سنة1861، فجامعة كيل سنة 1864 ثم في جامعة ستراسبورج عام 1872، وتوفي في كارل سروه Karl sruhe سنة 1930.

له كتب بالألمانية عن العرب وتاريخهم منها: "**تاريخ القرآن**" و"**دراسات لشعر العرب القدماء**" و"**النحو العربي**" و"**خمس معلقات**" ترجمها إلى الألمانية وشرحها. ونشر في مجلات الغرب وموسوعاته بحوثاً كثيرة، منها رسالة في أمراء غسان ترجمها إلى العربية قسطنطين زريق وآخر.

وله بالعربية : "منتخبات الأشعار العربية"، واشترك في الإشراف على طبع «تاريخ الطبري» وترجمته إلى الألمانية.

ومن كتاباته في السيرة النبوية : "**حياة النبي محمد**" وقد كتبه باللغة الألمانية[1].

وقد زعم أن الرسول "كانت تنتابه نوبات عنيفة من الانفعال جعلته يظن أنه تحت تأثير إلهي، ويظن أنه يتلقى وحيا."[2].

10. هورفتس 1874 -1931 JOSEPH HOROVITZ

وهو مستشرق ألماني يهودي، ولد في لاونبرج، وتعلم في جامعة برلين، ثم عين مدرسا فيها عام 1902م، وعمل مدرسا للغة العربية في الهند في الفترة 1907 حتى 1914، وعاد إلى ألمانيا وعين مدرسا للغات السامية في جامعة فرانكفورت من عام 1914 وحتى وفاته عام 1931.

وكانت رسالته للدكتوراه عام 1898عن كتاب "**المغازي**" للواقدي. كما تولى تحقيق المجلدين اللذين يتحدثان عن غزوات النبي ﷺ من "الطبقات الكبرى" لابن سعد[3].

---

(1) انظر "**الاستشراق الألماني**" : 25؛ وانظر أيضا : الموقع الإلكتروني لمركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث المستشرقين، محور طبقات المستشرقين.

(2) **الاستشراق لمحمد عبد الله شرقاوي**، 136.

(3) **موسوعة المستشرقين**: 433.

وقد كان هورفتس من المستشرقين المتخصصين بمرويات الأخباريين والمؤرخين العرب والمسلمين، واعتمد على النصوص التي أوردها رواة السيرة والمغازي، حيث درس روايات المؤرخ الطبري في كتابه "**تاريخ الرسل والملوك**" المستمدة من روايات الأخباري عروة بن الزبير المتعلقة بهجرة المسلمين إلى الحبشة، ومن ثم الهجرة إلى المدينة، وموقعة بدر الكبرى وغيرها.

وقد أوضح المستشرق "هورفتس" طريقة عروة بن الزبير في نقل النصوص ـ وإن كانت مجردة عن الأسانيد ـ فيقول: إن الإسناد في هذه المرحلة قد ظهر بصورته البسيطة، وهذا أمر طبيعي خاصة أن الراوي هو أحد أبناء الصحابة فإنه يروي عن أبيه بصورة مباشرة أو أحد الصحابة المعاصرين للنبي، فإن الطريق سوف لا يشمل سوى راوٍ واحد وعليه فإن الإسناد يكون هنا بسيطاً[1].

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي اهتمام هورفتس في فترة أستاذيته في جامعة فرانكفورت 1914 ـ 1931 بالدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، والسيرة النبوية، وبين أن من أهم كتاباته في هذا المجال: "**مباحث قرآنية**" وقد نشره عام 1926م، ولكن لم يذكر لنا شيئا عن كتاباته في السيرة النبوية[2].

11. يوليوس فلهاوزن: 1918.1844.

وهو مستشرق ألماني، يعد من أبرز المستشرقين الذين كتبوا في التاريخ الإسلامي، ولد عام 1844م، ومن أبرز أعماله ترجمة كتاب "**المغازي**" للواقدي إلى اللغة الألمانية عام 1882م، وصنف كتاب "**آثار من الجاهلية العربية**" و"**المدينة قبل الإسلام**".

ومن كتاباته عن **سيرة النبي** ﷺ: "**تنظيم محمد للجماعة في المدينة**" و"**كتب محمد والسفارات التي وجهت إليه**"[3].

المبحث الثاني: المنصفون والمجحفون المتعصبون من المستشرقين الألمان

وبعد هذا العرض لنخبة من المستشرقين الألمان الذين كتبوا عن سيرة النبي ﷺ، يمكن أن نقسم هؤلاء المستشرقين إلى قسمين:

---

(1) المرويات التاريخية الأولى عن المستشرق هورفتس ـ حسن لحكيم، الموقع الإلكتروني Alefyaa.com.

(2) **موسوعة المستشرقين**، 433.

(3) انظر: "**المستشرقين والتاريخ الإسلامي**" للدكتور علي حسني الخربوطلي 106؛ **الاستشراق الألماني**، 26.

القسم الأول : المستشرقون المنصفون.

لا ينكر منصف أن مسيرة الاستشراق في ألمانيا قد عرفت من بين المنخرطين فيها، مَن أبت عليه عقليته العلمية أن ينقاد بفكره لنزعات تنصيرية أو أحقاد شخصية أو تاريخية، فتراه يحاول أن يكون موضوعياً صادقاً، يجهر بما يصل إليه من حقائق دون أن يعير أي اعتبار لمؤثرات خارجية، وهذا الصنف من المستشرقين اكتفوا بالوصف الموضوعي لسيرة النبي ﷺ من خلال ما وقفوا عليه من مصنفات في هذا الميدان، ولهم من وراء ذلك أهداف علمية خالصة لا يُقصَد منها إلا البحث العلمي، والتمحيص، وحب الإطلاع وتقديم الحقائق كما هي دون تغيير أو تحريف أو تبديل.

وهذا النفر من المستشرقين كثيرا ما يتهمهم غيرهم من المستشرقين بالانحراف العلمي، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة العرب والمسلمين والتقرب إليهم، كما فعلوا مع المستشرقة ماري شيمل عندما رُشّحت لاستلام جائزة السلام للنّاشرين الألمان عام 1995م، بدأت بعض الدوائر الصهيونية المناوئة للعروبة والإسلام في ألمانيا بانتقاد موقفها من سلمان رُشدي، الكاتب الذي أهان الإسلام والرسول الأكْـرَم ﷺ، في كتابه "**آيات شيطانية**".

وقد صرحت شيمل حينها: "بنظري أنَّ الكاتب الذي يتجاسرُ على النبي، وسلمان رشدي يعرف جيدًا ما هو الشأن المقدس للنبي عند المسلمين، فإنَّه قطعا قد أهان وتجاسر على مقدسات الإسلام... وإنّني سأنتقد هذا الموقف حتى الموت"(1).

ومن المنصفين في كتاباتهم أيضاً : المستشرق الألماني رايَسْكِه REISKE ذلك الرجل الذي كان ثمن تفانيه في دراسة الأدب والتاريخ العربيين أن تعرض لاضطهاد فكري وعلمي من المتعصبين الذين ليست لدراستهم قيمة علمية.

ولا بد أن نسجل ها هنا أن المستشرقين الألمان أحسن حالا من غيرهم لأنهم في الغالب لم يخضعوا لغايات سياسية ودينية واستعمارية بسبب عدم تورط ألمانيا بالاستعمار.

وكذلك غلب على الاستشراق الألماني الروح العلمية، والموضوعية والتجرد والإنصاف، ومرد ذلك إلى خصال الألمان المجبولة على الدقة والصبر والمنهج العلمي الصارم.

---

(1) انظر : موقف المستشرقين من السنة للدكتور محمد علي مكي، محاضرات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، المنعقد بالجزائر في سنة 1392هـ/1972م، ص 19، صادق العبادي، مجلة الفيصل، العدد 322، 1424هـ، ص 116.

القسم الثاني : المستشرقون المتعصبون المجحفون عن قصد.

ومن هذا القسم فئة من المستشرقين أساءت إلى النبي ﷺ، وسجلت في كتاباتها افتراءات على الإسلام، ونبيه عليه الصلاة والسلام، عن قصد وعمد بغية تشويه الحقائق، والإساءة، وتنفير الغربيين من الإسلام.

ومن الملاحظ أن بعض هؤلاء المستشرقين الذين اتصفوا بالجحود والإجحاف كانوا على قدر كبير من الدهاء والمكر، فقد بذلوا جهودا علمية كبيرة، وتعمقوا في الدراسات العربية والإسلامية، وقدموا إنتاجا علميا قيما، حتى يغروا المسلمين بقراءته أو الاستفادة منه، ودسوا إساءاتهم وافتراءاتهم على النبي ﷺ في سطور قليلة متناثرة بين صفحات الكتاب الكثيرة، فكانوا كمن يضع "السم في العسل" فأصبحت كتبهم كوبا من العسل الرائق اللون الحلو المذاق، وفيه قطرات قليلة من السم كافية للقضاء على الحياة.

وهذا النوع من المستشرقين لا يسوقون الافتراءات جزافا، فهم يعمدون إلى تقليب صفحات المصادر ليجدوا ثغرات ينفذون منها إلى أغراضهم الخبيثة، وقد يجدون بغيتهم في رواية موضوعة أو ضعيفة واهية.

ومن هؤلاء المستشرقين :

المستشرق كارل بروكلمان الذي ذكر بعض المغالطات والافتراءات حول السيرة النبوية في كتابه "**تاريخ الشعوب الإسلامية**" الذي قام بترجمته إلى العربية منير البعلبكي ونبيه أمين فارس، وقد عرضت كثيرا من تلك المغالطات والافتراءات في المبحث السابق.

والمستشرق يوليوس فلهاوزن، حيث يقول في إحدى أكاذيبه وافتراءاته : "لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر، بل شرع في الأخذ بسياسة الإرهاب داخل المدينة، وكانت آثار مشكلة المنافقين علامة على ذلك التحول ... أما اليهود فقد حاول محمد إظهارهم بمظهر المعتدين الناكثين للعهد، وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة حيث كانوا جماعات متماسكة كالقبائل العربية، وقد التمس لذلك أسبابا واهية[1].

---

(1) **تاريخ الدولة العربية** ليوليوس فلهاوزن: 15-16.

وهناك فئة أخرى من المستشرقين وقعوا في الخطأ والزلل، وأساءوا إلى سيرة النبي ﷺ وحاول البعض تبرير خطئهم بأنه من غير قصد ولا عمد.

ومن هؤلاء المستشرقين شبرنجر الذي صنف كتابا كبيرا بعنوان : "**حياة محمد وتعاليمه حسب مصادر لم تستخدم غالبيتها إلى الآن**".

وقد تحدث المستشرق الألماني المعاصر بارت عن جهود شبرنجر في ميدان الدراسات الإسلامية، وعبر عن حيرته وتعجبه من كتابه عن محمد ﷺ فقال : "وكان المتوقع أن يتمكن شبرنجر بما لديه من مصادر كثيرة من كتابة سيرة لمحمد لا تدع مجالا للنقد أو الأخذ، ولكن السيرة التي ألفها خيبت الظنون في أكثر من ناحية، ولم ترع شروط ومتطلبات التقرير العلمي، فقد ضلله اتجاهه إلى النظر إلى الإسلام باعتباره وليد روح عصره، وحمله على التقليل من شأن شخصية النبي، ومن أهمية جهوده التاريخية"[1].

ومن مغالطاته في السيرة النبوية أن اسم "محمد" لم يكن اسم علم للرسول ﷺ قبل الهجرة إلى المدينة، وقد استنتج ذلك - على حد زعمه - من أن اسم النبي قد ورد في أربع سور قرآنية هي آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح، وكلها سور مدنية، ومن ثم فإن لفظة محمد لم تكن اسم علم للرسول قبل الهجرة، وإنما اتخذه بتأثير قراءته للإنجيل واتصاله بالنصارى[2].

ويمكن أن نلخص منهج هؤلاء المستشرقين في كتابة السيرة النبوية، في النقاط الآتية:

1. الانتقائية في اختيار المصادر ونقل الروايات عنها، فلا يعتمدون منها إلا على ما يساير أهدافهم.
2. التحيز السافر الذي ينم عن روح العداء والحقد المتأصل على الإسلام.
3. تضخيم بعض الحوادث والمبالغة فيها، والتقليل من حوادث أخرى.
4. إطلاق الأحكام الخطرة في حق النبي ﷺ وأصحابه وفي حق الإسلام وشريعته وتاريخه وحضارته دون أي دليل.
5. الإسراف في استخدام المنهج المادي ومعاييره في بحث حياة النبي ﷺ والأحداث المتعلقة بها.

(1) **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**: 120.

(2) انظر : **تاريخ العرب في الإسلام** لجواد علي : 78/1؛ **المستشرقون والسيرة النبوية** للدكتور عماد الدين خليل: 258.

6. تأويل الأحداث والوقائع وتحليلها بطريقة غير موضوعية.

7. الاعتماد في جمع المعلومات على مصادر غير علمية، وتجاهل المصادر الصحيحة، والاستدلال بالروايات الواهية الساقطة، وإغفال الروايات الصحيحة الثابتة.

8. المبالغة في الشك، والافتراض، والنفي الكيفي، واعتماد الضعيف الشاذ.

9. إسقاط الرؤية الوضعيّة، العلمانيّة، والتأثيرات البيئيّة المعاصرة على الوقائع التاريخيّة.

10. ردّ معطيات السيرة النبويّة إلى أصول نصرانيّة أو يهوديّة.

11. التستر بالموضوعية من خلال التظاهر بالموضوعية في الكتابة، والتطوع بذكر بعض الجوانب الإيجابية المتعلقة بالإسلام وحضارته، مما قد يعطي انطباعاً لدى القارئ بأن الباحث موضوعي ملتزم بالخضوع لما يفرضه المنهج العلمي الصحيح، لكن النظر الثاقب والقراءة المتفحصة لدراسات هؤلاء، تكشف عن كثير من الأوهام والأباطيل.

12. مجافاة المنهج العلمي، وذلك بإهمال المبادئ الأولية لهذا المنهج، والانطلاق من مزاعم باطلة في دراسة الإسلام، مثل بشرية القرآن، وعدم صدق النبي ﷺ في نبوته.

13. التمويه والتلبيس في البحث، وذلك بالخلط بين الحق والباطل، وزرع الشكوك بدعوى الالتزام بالمنهج التاريخي الاجتماعي، والاستدلال بالأدلة على غير ما تدل عليه، وتحليل أحداث التاريخ الإسلامي تحليلاً مراوغاً، يخدم الأغراض والأهداف المرسومة للدراسات الاستشراقية.

وفي نهاية المطاف أرجو أن أكون قد وفقت للصواب فيما عرضته، مقرا بأن ما دونته في هذه الدراسة عن جهود المستشرقين الألمان في التصنيف في السيرة النبوية يعد غيضا من فيض، وذرة من عقد، أحببت أن أسهم بها في هذه الندوة الميمونة، ومعترفا بأن ما تركته أعظم مما كتبته، ولكن كما قيل ما لا يدرك كله لا يترك جله.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.

2. "**الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية**" للدكتور أحمد محمد هويدي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1420 هـ/2000م.

3. "**الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين**"، للشيخ أبي الحسن الندوي، بحث منشور ضمن أعمال الندوة العلمية عن الإسلام والمسشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، طبع عالم المعرفة جدة، الطبعة الأولى، 1405 هـ - 1985 م.

4. "**افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية**"، للدكتور غيثان علي جريس، إصدار نادي أبها الأدبي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1992م.

5. "**تاريخ الدولة العربية وسقوطها**"، فلهاوزن يوليوس، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة 1968م.

6. "**تاريخ الشعوب الإسلامية**"، لكارل بروكلمان، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية عشرة، 1993م.

7. "**تاريخ العرب في الإسلام**"، لجواد علي، مطبعة الزعيم، 1961م.

8. "**المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية**" ، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية، بيروت،1982م.

9. "**المستشرقون والإسلام**" للطفي حداد، بحث منشور في مجلة الحوار المتمدن، العدد 1190، بتاريخ 7/5/2005.

10. "**المستشرقون والتاريخ الإسلامي**" للدكتور علي حسني الخربوطلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م.

11. "**المستشرقون والسيرة النبوية**": للدكتور عماد الدين خليل، بحث منشور ضمن أعمال الندوة العلمية عن الإسلام والمسشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، طبع عالم المعرفة جدة، الطبعة الأولى، 1405 هـ - 1985م.

12. "**مع المخطوطات العربية**" - للمستشرق كراتشوفسكي، عالم الكتب، بيروت، 1999.

13. "**موسوعة المستشرقين**" للدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، 1984م.

14. "**موقف المستشرقين من السنة**"، لسعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الأولى، الكويت، 1994م.

15. "**نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر**" للدكتور لخضر شايب، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2002م.

المجلات والمواقع الإلكترونية :

- مجلة الفيصل السعودية، العدد 223 ، عام 1424 هـ .
- الموقع الإلكتروني لمركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق:
http://www.madinacenter.com
- الموقع الإلكتروني www.Alefyaa.com

عرض بيبليوغرافي لما ألف عن رسول الله ﷺ باللغة الألمانية

د. محمد عبدو(*)

أما بعد، حمد الله الذي هو فاتحة كل خطاب، والصلاة والسلام على رسول الله الذي هو خاتمة كل كتاب؛ فإن هذا البحث يشتمل على بعض الكتب المؤلفة في السيرة النبوية؛ منها ما هو مؤلف باللغة الألمانية، ومنها ما هو مترجم إليها. والغالب الأكثري من هذه الكتب لمؤلفين مسلمين، وقد أشرت إلى أسماء بعضهم، كما ذكرت عنوان الكتاب باللغة الألمانية، وملخصا موجزا لمضمونه.

وقد قسمته إلى قسمين :

القسم الأول : يشتمل على كتب لمؤلفين عرب، وآخرين من باكستان وتركيا؛ وهي 21 كتاباً :

- **كتاب السيرة النبوية (العطرة)**[1] Das Leben des Propheten من تأليف ابن إسحاق، ترجمه وصححه الأستاذ الدكتور Gernot Rotter، وهو أقدم سيرة للنبي ﷺ.
- **كتاب من سيرة النبي**[2] ﷺ Mohamm Aus dem Leben des Propheten

من تأليف Ayseul Aydin وهو في جزأين: ويشتمل على مواقفه ﷺ، معاملاته، ومعجزاته.

(*) كلية الآداب ـ المحمدية.

(1) دار النشر Spohr Verlag.

(2) دار النشر Esik Verlag.

- **كتاب سيرة نبينا** ﷺ Das Leben unseres Propheten من تأليف Uysal Yayinevi، يتحدث فيه عن مضايقات القرشيين للنبي ﷺ بعد موت عمه أبي طالب، وما تعرض له في الطائف، وخروجه من مكة.

- **كتاب نبي الرحمة محمد ﷺ مشاهد من سيرته المطهرة**[1]:
Der Prophet der Barmherzigkeit Muhammad Szenen aus seinem Leben
من تأليف عصمان ناري طوباس، وفيه يدعو الكاتب إلى اتباع خطوات النبي ﷺ، من أجل صقل وتكميل الأخلاق النبيلة.

- **كتاب النبي محمد ﷺ: موجز لتاريخ الثقافة الإسلامية**[2]:

Der Prophet Mohammed. Eine kleine Kulturgeschichte des Islam

من تأليف Gabriel Mandel Khan، وهو عبارة عن قصة قصيرة للثقافة الإسلامية.

- **كتاب النبي محمد ﷺ زعيما :**

Der Prophet Muhammad als Befehlshafber

من تأليف M.Fethullah Gülen، اشتمل على بيان كون النبي محمد ﷺ أرسل لخير البشرية جمعاء، وأن رحمته وسعت كل الخلق، إضافة إلى كونه كان قائدا ورجل دولة لا مثيل له.

- **كتاب الهجرة إلي يثرب**[3] : Der Weg nach Yathrib من تأليف Muhammad Ibn Ahmad Abu r -Rida، وهذا الكتاب كما يظهر من عنوانه، يروي هجرة النبي ﷺ من مكة إلى يثرب.

- **كتاب معجزات محمد** ﷺ[4]: Die Wunder Muhammeds من تأليف isruN diaS namazzüideB، وهو عبارة عن مقارنة بين معجزات الأنبياء السابقين ومعجزة النبي ﷺ.

(1) دار النشر، Erkam Verlag.

(2) دار النشر، Parthas Verlag.

(3) دار النشر، Islamische Bibliothek.

(4) دار النشر، Sozler Verlag.

❁ **كتاب محمد ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم**[1]:
Muhammad, mit den Gläubigen gutig, barmherzig
من تأليف Amr Khaled، يتحدث فيه عن محبة المؤمنين للنبي محمد ﷺ، وكونها جزءا من الإيمان... .

❁ **كتاب محمد رسول الله ﷺ..سيرة النبي ﷺ**[2]:

Muhammad. Der Gesandte Gottes. Das Leben des Propheten

من تأليف Fethullah Gülen، يقدم هذا الكتاب السيرة الطاهرة للنبي ﷺ وآياته بأسلوب لا مثيل له، مفندا الأكاذيب والأفكار التي تحول دون نشر الإسلام، وفيه بيان لسبب تشبث أهل السنة بالنبي ﷺ وبالقرآن الكريم... .

❁ **كتاب محمد ﷺ القدوة**[3] : Muhammad, das Vorbild من تأليف Mehmed Paksu، وفيه بيان كون النبي ﷺ هو الشخص الوحيد الذي لم يختلف فيه أتباعه وأعداؤه بشأن كمال أخلاقه.

❁ **كتاب كنز الحكمة**[4]: Perlen der Weisheit من تأليف Fethullah Gülen.

❁ **كتاب قصص الأنبياء من القرآن الكريم**[5] Prophetengeschchten aus dem Koran من تأليف Abu l-Hasan An-Nadawi، ويشتمل على تأويل قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم.

❁ **كتاب قدوتنا الوحيدة. نبينا**[6] Unser einziges Vorbild-Unser Prophet ﷺ من تأليف Yusuf Özaslan، وفيه بيان كون النبي ﷺ مثالاً يحتذى في الأمور كافة.

❁ **كتاب ماذا يعني لنا نهج النبي**[7]ﷺ؟ Was sagt uns die Lebensweise des Propheten من تأليف Sayyid Abul A la Maududi.

(1) دار النشر Andalusia-Verlag Karlsruhe.
(2) دار النشر Fontane Verlag.
(3) دار النشر Nesil Verlag.
(4) دار النشر Fontane Verlag.
(5) دار النشر Edition Minarett.
(6) دار النشر Marifet Verlag.
(7) دار النشر Dar-us-Salam.

❁ **كتاب معجزة محمد**[1] ﷺ Wunder Mohammeds (ASM) من تـأليـف Bediüzzaman Said Nursi.

❁ **كتاب سيرة محمد** ﷺ[2] Mohammad.Biographie من تأليف: Essad Bey

❁ **كتاب سيرة النبي محمد** ﷺ Das Leben Propheten Muhammad من تأليف O.Keskioglu

❁ **كتاب النبي محمد ﷺ ومعراجه:**

Der Prophet Muhammad und die Himmelfahrt des Propheten

من تأليف M.A.El-Mahgary، وهو عبارة عن محاضرات حول سيرة النبيﷺ.

❁ **كتاب نبي الرحمة**[3]**:** Muhammad, Prophete der barmherzigkeit من تأليف M.Rassoul.

❁ **كتاب أحاديث عن سنة النبي**ﷺ[4].

Nachrichten von Taten und Aussprüchen des Propheten Muhammad

مقتبس من كتاب صحيح البخاري.

القسم الثاني: ويشتمل على كتب لمؤلفين من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا؛ وهي 10 كتب:

❁ **كتاب سيرة آخر الأنبياء**ﷺ[5]. Das Leben letzten Propheten من تأليف يوسف إسلام Cat Stevens، ويشتمل على المراحل الأساسية من حياة النبي ﷺ.

❁ **كتاب ميلاد الإسلام**[6] Die Geburt des Islam من تأليف Ludwig Ammann، وفيه يجيب الكاتب عن عدة أسئلة منها: كيف يمكن لجماعة أن تستجيب لدعوة فرد بالتوبة ؟.

❁ **كتاب محمد ﷺ سيرته (الطاهرة) حسب أقدم المصادر**[7]:

Martin Lings. من تأليف Muhammad. Sein Leben nach den frühesten Quellen

(1) دار النشر Verein Fur Famolien- Judendh.

(2) دار النشر Aufban TB Verlag.

(3) دار النشر Islamische Bibliothek.

(4) دار النشر Reclam Verlag.

(5) دار النشر Islamische Zentrum.

(6) دار النشر Vullstien Verlag.

(7) دار النشر SpohrVerlag.

* **كتاب محمد صلى الله عليه وسلم** [1] Mohammed

من تأليف Hartmut Bobzin، وفيه يشير الكاتب إلى أن النبي ﷺ، بلا منازع، من أكبر رموز العالم تأثيرا في تاريخ البشرية، وأنه ظل في رأي الغرب إلى زمن غير بعيد رجلا مخادعا وكاذبا.

* **كتاب محمد ﷺ: سيرته وعقيدته**[2]: Mohammed - Sein Leben und sein Glaube
من تأليف Tor Andrae، ويبحث في مسألة كيف أن النبي ﷺ لا يزال إلى يومنا هذا القائد الروحي لقرابة 800 مليون مسلم في العالم...

* **كتاب محمد ﷺ والقرآن**[3]: Mohammad und der Koran. Geschichte und Verkündigung des arabischen Propheten من تأليف .Rudi Paret.

* **كتاب محمد ﷺ**[4]: Muhammad: من تأليف Annemarie Schimmel، وهو عبارة عن وصف ملخص لمؤسس ديانة الإسلام، وكيف كان يأتيه الملك بالوحي... .

* **كتاب ميراث محمد ﷺ**[5]:

Muhammad Erben. Die unbekannte Vielfalt des Islam

من تأليف Lerch Wolfgang G.، ويتناول هذا الكتاب تاريخ الإسلام منذ نهضته زمن النبي محمد ﷺ إلى يومنا هذا.

* **كتاب سيرة النبي ﷺ** :Muhammad El-Emin-siyer Nebi - Das Leben des Propheten من تأليف Dr. Zakai Konrapa، يشير فيه الكاتب إلى أن من أراد أن يستوعب ما يحدث اليوم وسلوك الدرب المناسب؛ يجب عليه تقصي الماضي واستلهام الدروس.

---

(1) دار النشر Beck Verlag.

(2) دار النشر Vynx Verlag.

(3) دار النشر Kohlramer Verlag .

(4) دار النشر Diederichs Verlag.

(5) دار النشر Patmos Verlag.

❁ كتاب عالم الإسلام، تاريخ وثقافة تحت تأثير النبي ﷺ[1]

Welt des Islam. Geschichte und Kultur im Zeichen des Propheten

من تأليف Bernard Lewis، ويتحدث فيه عن الإسلام منذ زمن النبي ﷺ إلى اليوم... .

وأكتفي بهذا القدر، فإن فيه مقنعا للناظر، أما الاستقصاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا. والحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده المرسلين.

(1) دار النشر Orbis Verlag.

الاستشراق الألماني ومخطوطات السيرة النبوية

د. سعيدة العلمي[*]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين

من المعلوم أن السيرة النبوية أول تطبيق عملي للدين الإسلامي عقيدة وشريعة وأخلاقا وسلوكا، وقد أورد كتاب الله كثيرا من وقائع السيرة النبوية مما لا يمكن لأحد علمه إلا هو سبحانه الذي يعلم السر وأخفى، لذا كان محط الدارسين قديماً وحديثاً شرقاً وغرباً.

ومن هؤلاء الدارسين : كان الاستشراق والمستشرقون، وكانت دراسات متعددة ومختلفة تعددت فيها الأهداف والغايات والوسائل[1]. وإن الكثير من هذه الدراسات ما تزال في حاجة إلى إعادة النظر وخاصة ونحن أمام ظاهرة العولمة العالمية : كظاهرة لا مفر من الإقرار بوجودها، ولابد من الاستفادة من جوانبها الإيجابية.

(*) كلية الآداب ظهر المهراز- فاس.

(1) يرى بعض الدارسين" أن للاستشراق دوافع وأسبابا وأهدافا يأتي في مقدمتها الدافع الديني بألوانه المتعددة، ثم تأتي في الدرجة الثانية الدوافع السياسية والاستعمارية والاقتصادية والتجارية، ولعل الأهداف السامية الوحيدة هي الأسباب العلمية النزيهة التي لم يخل الاستشراق منها بأي حال، بل إن هذا الدافع يزداد مع ضمور الدوافع الأخرى ثم تأتي في المرتبة الثالثة : البواعث النفسية والشخصية والخاصية والتاريخية والإيديولوجية غير الدينية، كالمستشرقين الشيوعيين الذين تدفعهم إيديولوجيتهم إلى الاتجاه إلى الاستشراق.

انظر : **الاستشراق في الأدبيات العربية**، ص9. د. علي إبراهيم النملة. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض 1414 /هـ 1993م.

وفي هذا الإطار لن نخوض في تلك الجدلية القائمة بين الدارسين حول إنصاف الاستشراق لتراثنا الإسلامي الحضاري من جهة وإجحافه وتجاهله من جهة أخرى[1]، لأن الاستشراق بصفة عامة لا يخلو من محاذير كثيرة ومتشعبة في كل جوانبه، لذا تعرض لكثير من النقد والسهام؛ وخاصة عند مقاربتنا له بالجذور التاريخية التي انبثق منها وما رافقها من أحداث وتغيرات في الشرق والغرب[2].

---

(1) هناك دراسات عدة في هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية للسامرائي.
- نقد الخطاب الاستشراقي: ساسي سالم الحاج، دار المدار الاسلامي، طرابلس ليبيا ـ
- الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف: عبد الله علي العليان، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، ط 2003/I.
- الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقويمه: د. محمد الدسوقي ط. 1995/I.

وهناك العديد من المقالات والملتقيات الدولية الهامة.

(2) تعددت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق بعضها يغطي تاريخا بعينه والآخر يغطي حقبة أو عصرا من العصور التي مر بها العالم، والبعض الآخر لا يعطي زمنا وإنما يعتمد حوادث أو غايات أراد الاستشراق الوصول إليها فجعلت هي البدايات. انظر: علي إبراهيم النملة: **الاستشراق في الأدبيات العربية**، ص13ـ14، وص23، وما بعدها.

وقد ذهب البعض إلى أن بداية الاستشراق تعود إلى صدر الإسلام بسبب احتكاك الرومان بالمسلمين في غزوة "مؤته" وغزوة "تبوك"، ومن ثم وقف المسلمون والنصارى موقف خصومة سياسية. في حين يرى آخرون أن الباعث على نشوئه: الحروب الصليبية التي كانت نتيجة الاشتباك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية الغربية في فلسطين.

وهناك من يرى: أن الاستشراق قد بدأ مع الحروب التي نشبت بين المسلمين والنصارى في الأندلس إثر سقوط طليطلة عام 334هـ/1058م. انظر: **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، السامرائي**، ص19-21. في حين يرى آخرون : "أن للاستشراق ارتباطا وثيقا بالإصلاح الديني في ق: 16م، وهو عصر بداية الهجوم على العالم العربي الإسلامي، فكان أول عالم مبرز في الاستشراق هو: "وليم باستيل 1510-1531 وكان من المخلصين للكنيسة كل الإخلاص" انظر: **الاستشراق في الأدبيات العربية: علي النملة**، 232.

أما أولئك الذين يريدون إعطاء الاستشراق صبغة علمية، فيحددون نشأته في 712 هـ 1312م، حينما عقد مؤتمر فيينا، ونادى بإنشاء كراسي في اللغات: العربية والعبرية، واليونانية والسريالية في الجامعات الرئيسية في أوروبا: باريس اكسفورد وبولونيا وسلانتكا ثم في جامعة خاصة في البلاط البابوي، وهذا رأي كثير من أولئك الذين كتبوا عن نشأة الاستشراق. انظر:

- الاستشراق لإدوارد سعيد (تعريب : كمال أبو ديب) مؤسسة الأبحاث العربية بيروت 1984. ص19.
- الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ـ نذير حمدان، ص34، دار المنارة، جدة 1406هـ.
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حميد زقزوق، ص19.
- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر: عدنان محمد وزان، ص 2928. دار المنار جدة، 1406هـ.
- المستشرقون: نجيب العقيقي: 122/1، دار المعارف. القاهرة 1980.

والسؤال المفتوح : هل أصبح الاستشراق اليوم لونا من التعاون الثقافي بين الأمم؟ هل يمكن مد الجسور بين هذه الثقافات على أسس الشراكة والتفاعل فيما هو أساسي في سلوك المثقف الحقيقي الذي يستلزم على الدوام تجديد وصقل الأدوات والأسلحة الفكرية لإبراز دور المثقف الحديث بغض النظر عن لونه أو جنسه أو عقيدته؟ وأن يتعهد ذوو الصنعة التاريخية باستعمال الأدوات المناسبة دون حفر في أدبيات الشعوب ونصوصها التي صنعت روعة الإسلام، لأن هناك جسورا بيننا متعددة[1] لا يمكن أن تتم على الإبادة والغلبة؛ لأن المجتمعات البشرية مركبة، ومسارات الثقافة معقدة، ومن الخطأ الشنيع اختزالها في مقولات تختزل الفكر والتواصل، وتضع هوة سحيقة بين الشرق والغرب[2].

ولعل هذا ما حدا ببعضهم إلى المساءلة: هل يجوز شرعا توجيه الدعوى إلى المستشرقين خاصة أولئك الذين طعنوا في الإسلام ـ للتدريس أو إلقاء المحاضرات في بلد إسلامي؟[3] ولعل ذلك كان في مواجهة الأديب الإنجليزي "كيبلنج" الذي أطلق في القرن التاسع عشر عبارته الشهيرة : "الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان أبدا"، وفي القرن نفسه رفع الشاعر الألماني "جوته" صوته قائلاً: "إن الشرق والغرب لله وليس لهما أن يفترقا بعد الآن". ومن هذا المنطلق نقول: إن الاستشراق منظومة عامة تسير على هداها الشعوب القوية من العالم الغربي، والاستشراق الثقافي كان هو المصدر الذي نهلوا منه ... ومن الأسهل تغيير اسمه وإطلاق مصطلحات تناسب أي وضع جديد: وهذا الاستشراق في أسه قام على وسائل وأدوات تتشكل في مجموعها كلا واحدا :

1. التدريس الجامعي : القائم على تعلم اللغات السامية (وغير السامية) وحضارتها.
2. جمع المخطوطات وفهرستها.
3. التحقيق والنشر.
4. الترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية.
5. التأليف في شتى مجالات الدراسات العربية والإسلامية.

---

(1) منها ما هو ثقافي وماهو اجتماعي وماهو اقتصادي... .

(2) لأن المثقف الحقيقي هو من يختار الهامشية والإقامة خارج اللعبة بعيداً عن شراء الذمم وامتهانها... وهذا يكسبه شخصية الزاهد الممتنع عن متاع الدنيا، والزهد أن تملك شيئاً وألا يملكك شيء.

(3) انظر الإسلام في مواجهة التحديات : أبو الأعلى المودودي، تعريب : خليل أحمد الحامدي ، ط III/1978م.

هذه العناصر بأكملها، هي التي شكلت مجلات الاستشراق ومهدت لانعقاد المؤتمرات الدولية. فقد احتضنت فرنسا أولها عام 1873م وصارت "باريس عاصمة الاستشراق" ونمت جمعيات علمية ومؤسسات خاصة، وكراسي الأستاذية في الدراسات الشرقية عبر عدد من دول الغرب، مما أتاح مجالا واسعا لنشر الدراسات الأكاديمية[1].

إن الجذر الفيولوجي لعمل الشرق هذا بزغت غصونه في فرنسا وليس في ألمانيا - مهد التاريخانية -[2]على يد رجل واحد سعى إليه كل المستشرقين الألمان الأوائل في الربع الأول من القرن : 19، هو سلفستر دي ساسي[3] (1758-1838)؛ الذي تولى إدارة مدرسة اللغات الشرقية التي أنشأتها الثورة الفرنسية عام 1795م. فعلى منهجه سار أوائلهم، وبه اقتدوا[4].

التدريس الجامعي :

احتضنت الجامعة الألمانية العديد من المعاهد الخاصة بالدراسات العربية والإسلامية وفي فترات تاريخية متفاوتة. من أهم هذه المراكز :

1. جامعة هايدلبرج (788 هـ - 1386م).
2. جامعة كولن (790هـ - 1387م).
3. فورزبورج : (508هـ - 990).(1302-1582).
4. جامعة بون (1021هـ - 1320م) (1786هـ - 1902م).
5. جامعة برلين (1224-1809)[5].

---

(1) انظر **الاستشراق** : إدوارد سعيد، ص 74.

(2) تعد معرفة فقه اللغات السامية وغير السامية الأساس الموضوعي للمعرفة التاريخانية لأمة من الأمم.

(3) هو عالم الألمان له كتابان: الأول (**النحو العربي**)، والثاني (**منتخبات من أدب العرب**). وقد ظل كتاباه معتمد الدراسين لمدة نصف قرن، حتى حلت محلها كتب **تلامذته الألمان** - انظر مقال (نشوء الاستشراق الألماني وتطوراته المبكرة/ رضوان السيد/ جريدة الشرق الأوسط/ 06 رمضان 1425 هـ 20 أكتوبر 2004/ ع : 9458) .

(4) منهم " فلا يشير " و"إيفاد" اللذان عدا من مؤسسي الدراسات الاستشراقية في ألمانيا- انظر : **الاستشراق والمستشرقون**: وجهة نظر، عدنان محمد وزان/ دعوة الحق/ س : 3/ ع24/ 1404 هـ - 1984، ص 107-108 / مكة المكركة.

(5) المصدر السابق، ص 108.

جمع المخطوطات وفهرستها :

قدم المستشرقون بصفة عامة، خدمات جليلة في مجال الحفاظ على المخطوطات العربية وفهرستها وتحقيقها ونشرها وترجمة المئات من الكتب العربية والإسلامية.

ولو قارنا بين جهودهم في هذا المجال وبين جهودنا، لوجدنا البون الشاسع بين ما قاموا به وما قمنا به نحن.

لقد طلبوها بالأسفار الطويلة والنفقات الباهضة في مختلف الأصقاع، وبهمة لا تعرف الكلل، اقتنوا بعضها بثمن بخس في أحيان كثيرة، بل منها ما حمل إليهم حملا في عز دارهم. ولم يكتفوا بترتيبها في مكتبات الغرب التي تعد بالمئات، بل تعاونوا على ترتيبها في مكتبات الشرق الأقصى والأوسط وشمال إفريقيا[1].

لقد نقل الأوربيون آلاف المخطوطات من العالم الإسلامي، وسلكوا في سبيل ذلك طرقا متباينة، منها: السرقة، والتودد إلى بعض القائمين على المكتبات بالهدايا، والتظاهر باعتناق الإسلام[2].

وكان مساندهم في ذلك حكوماتهم التي خصصت أموالا طائلة لذلك، كما خصص هؤلاء ردحا من أعمارهم في جمع هذه المخطوطات.

ولقد كانت فرنسا من الدول الأولى التي اهتمت بجمع المخطوطات، وكانت المحاولات الأولى مع "غيوم برستل (1510م ـ 1583م)، وتقديمها إلى الكنيسة لمعرفة العرب والإسلام ولأسباب تبشيرية. كما أرسل "لويس 14" رسله إلى جميع بلدان الإسلام لشراء المخطوطات العربية، وزود مبعوثيه بأوامر شريفة إلى جميع القناصل الفرانسوية ليضعوا رجالهم وأموالهم في خدمة هذه الغاية[3].

وبعد الثورة الفرنسية نشر "فهرس دوسلان" للمخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس وعددها : 650 مخطوطة. وبعد حملة نابليون على مصر سنة 1798م، كانت الحصيلة ما يزيد عن 3000 مخطوطة.

---

(1) "**الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف**" : عبد الله العليان، 45.43.

(2) "**الفكر الاستشراقي" : تاريخه وتقويمه** : محمد الدسوقي، ص 30.29.

(3) "**الاستشراق والاستعمار الفكري**" عبد المتعال محمد الجبري، ص 23، مكتبة وهبة القاهرة، ط 1995/ I.

وبعد احتلال الجزائر 1830م، كان التوجه أكثر إلى جلب المخطوطات العربية ودراستها، وكانت الجزائر مصدرا خصبا للحصول على المخطوطات[1].

كما أن للاستشراق الألماني مجهودات في جمع المخطوط وتحقيقه ونشره ... مجهودات تستحق التقدير. إذ ارتكزوا على المعرفة المعمقة باللغة العربية، بل باللغات الشرقية عموما. وقد أثبتوا تفوقهم لسبقهم في الاهتمام بالمجال العلمي الإنساني، قبل الحرب العالمية الأولى.

ومن أقدم المستشرقين الألمان الذين جمعوا بين الرحلة والدرس والتحقيق:

❁ "ريسكه"[2] .

الذي يعد من الرعيل الأول للاستشراق. تعلم العربية في مدينة "ليتسك" الألمانية عندما كان يدرس في جامعتها في ثلاثينيات القرن: 18 (1733م)، ثم سافر إلى هولندا وإلى مكتبة "ليدن" الغنية بالمخطوطات العربية، حيث تمكن من نسخ العديد منها ونشرها، خاصة بعدما عهد إليه بترتيب مخطوطات مكتبة جامعة ليدن.

❁فلوجيل (1802- 1870م)،

وهو أحد المهتمين بالمخطوطات العربية، قضى فترة في فيينا بين التدريس وقراءة المخطوطات في مكتبة: "هامر ـ بورجشتال"، ثم سافر إلى باريس فقضى فيها فترة بين المكتبة الوطنية والتدريس، وعندما عاد إلى ألمانيا عينه الإمبراطور أستاذا للغات الشرقية في معهد "ميسان" الملكي، ثم عهد إليه بوضع فهرس للمخطوطات العربية والفارسية والتركية في ثلاثة مجلدات.

قضى خمسا وعشرين عاما في جمع مخطوطات كتاب الفهرست لابن النديم، من مكتبات: فيينا، وباريس، وليدن، لكنه توفي ولم يتم تحقيقه[3].

---

(1) **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**: محمود المقداد، كتاب : **عالم المعرفة**، ع 167، ص 62-63 سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت : نوفمبر 1992م.

(2) انظر **موسوعة المستشرقين**: عبد الرحمن بدوي، ص 203-206، ط I، دار العلم للملايين، بيروت 1984. من أهم تحقيقات " ريسكة، كتاب " **المعارف**" لابن قتيبة، و"**تاريخ أبي الفدا**"، و" **البلدان**" لأبي الفدا، وتاريخ حمزة للأصفهاني، ومقتطفات من " **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**" لابن أصيبعة ـ انظر : المصدر السابق، ص ن.

(3) فتولاه بالتحقيق "رويدجر" و "أوجيست موللر" فنشراه في 260 صفحة، ثم ألحقا به ذيلاً في 279 صفحة، تتضمن التفاسير والاستدراكات بالعربية والألمانية، وختماه بفهارس الأعلام.

كما نشر فلوييل " **مخ مؤنس الوحدة** " للثعالبي متنا وترجمة، وأيضا مع كتاب " **كشف الظنون** " متنا وترجمة لاتينية مع فهارس وملاحق في سبعة مجلدات، قضى فيه ما يقرب من ثلاثة عشر عاما بين دراسة ورحلات إلى أشهر مكتبات أوربا. إلى غير ذلك من التحقيقات والدراسات ـ انظر : المستشرقون لنجيب العقيقي/ دار المعارف القاهرة 3/352 ـ 353.

❁ فيستنفلد (1808-1899م).

ومن الأعلام الألمان الذين اهتموا أيضاً بالمخطوط دراسة وتحقيقا وترجمة: فيستنفلد (westenfeld 1808-1899م). تخرج باللغات الشرقية من "برلين" و "جوتنجي" على يد "إيفالد"، ثم أصبح من مشاهير أساتذتها. إذ قضى فيها ستين عاما منكبا على اللغة العربية وآدابها وتاريخها، إلى أن كف بصره. حقق مخطوطات نادرة بخطه الجميل. آثاره تربو على مائتي مصنف، منها :

تحقيقه لسيرة ابن هشام مع تعليقات بالألمانية في ثلاثة أجزاء ط: جوتنجين (1858-1860م).

وهو أول من زود نشراته بالفهارس المفصلة، مما سهل على الباحثين الإطلا ع عليها دون عناء يذكر[1].

❁ فيلهلم الفارت (1838-1909م)

وأيضا من المتخصصين في جمع المخطوطات وفهرستها بما فيها السيرة النبوية، "فيلهلم الفارت" (1838-1909م)، الذي أصبح في سكون عزلته واحدا من عظماء المستشرقين الألمان المختصين بالعربية باعتكافه في صومعة الدرس والتحصيل. فقد بلغ الذروة بوضعه فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الوطنية في عشر مجلدات جسيمة[2]، ووصف ما يربو على عشرة آلاف مخطوط عربي تحوي كنوز الثقافة العربية وصفا علميا دقيقا. وقد اعترف كارل بروكلمان أنه ما كان بمقدوره تأليف كتابه، لولا بيان الفهارس الذي أعده "الفارت[3].

❁ تيودورنودلكه (1836-1930).

أحد تلاميذ "إيفالد الجبار": كان صديقا لوالده الذي استحوذ عليه كليا لدراسة الاستشراق وحده، وبالإضافة إلى تعلمه اللغات السامية انكب على دراسة الفارسية والتركية، ثم تعلم السنسكريتية بإشراف الأستاذ "بنفاي".

(1) **المستشرقون** : نجيب العقيقي، 713/2.

(2) هذه المكتبة فيما بعد أصبحت المكتبة البروسية الحكومية، وكان في مكتبة برلين سابقا ما يقارب ال 600 مجلد من المخطوطات العربية، أضيف إليها، ثم توالت هذه الإضافات من مصادر متعددة يطول ذكرها، إلى أن بلغ ما في حوزة مكتبة برلين (6450) مجلدا. وقد حصل (الفارت) على التكليف بترتيب هذه المخطوطات وفهرستها، وكان يكرس لهذا العمل كل يوم عشر ساعات على الأقل ولمدة عشرين عاماً ـ انظر : كتاب: **المستشرقون الألمان**، 101/1، ط 1982.

(3) انظر المصدر السابق : 101/1.

وفي الفترة الممتدة ما بين (1856 -1860) كانت أعوام تجواله وترحاله، اتجه إلى فيينا للتعرف على مخطوطات المكتبة الملكية هناك.

ثم في 1857م انتقل إلى "كايدن" حيث قضى شهورا في العمل المجد على المخطوطات العربية الموجودة هناك، وعقد أواصر صداقة عميقة مع "ميشائيل يان دي خويه" المستشرق الهولندي العظيم.

فاز بجائزة أكاديمية المخطوطات الباريسية في مسابقة موضوعها "تاريخ القرآن"، مناصفة مع الألماني المعروف "شبرنجر"، والإيطالي "أماري" وهو لم يتجاوز سنه الاثنين والعشرين عاما ثم قام بترجمة كتابه الفائز من اللغة اللاتينية إلى الألمانية عام 1860م.

كان "نولديكه" سيد الأسلوب العلمي والأسلوب الشعبي معا، من كتبه، له:

I. كتاب حياة محمد ﷺ.

II. نشوء وتركيب السور القرآنية: موضوع الدكتوراه (باللغة اللاتينية) طبعه في 1856م.

وله أيضاً: مقالات في التاريخ الفارسي، وفي اللغات السامية وغيرها، بلغت عدد منشوراته العلمية ما يقارب السبعمائة بحث غاية في الدقة والتمحيص والتفصيل(1).

❁ يوليوز فيلهاوزن (1844-1918):

له محاضر عامة عن النبي محمد ﷺ، أولاً في "غرايسفالد" خلال زيارته لإنجلترا. اقتبس من مخطوط كتاب: المغازي للواقدي، أقدم وأرصن رواية متوارثة عن النبي ﷺ في المدينة. كما اقتبس من ابن سعد الوثائق الهامة، كانتشار الإسلام، وكان له قصب السبق في تحقيقها ونشرها. وهذه الوثائق، تظهر كيف توصل النبي ﷺ(2) إلى إحلال السلام في البلاد بتوجيه طاقات الشعب الفتية المتدفقة إلى الخارج، بدلا من تضاربها الواحدة ضد الأخرى.

❁ ألويس شبرنغر (1813-1883)

ولد في قرية بجبال التيريب، وذهب عام 1836م إلى لندن وعام 1842م إلى الهند، حيث عمل رئيسا للمعهد العالي في "دلهي" و"كالكوتا" حتى عام 1851م. وحين عاد إلى أوربا، أصبح أستاذا في "بيرن" من 1858م حتى 1881م.

---

(1) **المستشرقون الألمان** : 1/115-124.

(2) **المستشرقون الألمان**، صلاح الدين المنجد، 1/109-101.

آثاره : نشر مخطوطات عربية وفارسية، وألف كتابا عن "حياة الرسول ﷺ وتعاليمه، وآخر عن جغرافية الجزيرة العربية.

* بولس برونله Brunilp.

من آثاره : شروح السيرة، أطروحته في الدكتوراه 1895م. تحقيق شرح السيرة لأبي ذر الخشني عن مخطوطات برليني وجوطا والأسكوريال ـ طبع بالقاهرة،1911م.

كما له : "التنبيهات على أغلاط الرواة"[1].

* ماكس مايرهوف (1864 بعد 1944).

المستشرق الألماني اليهودي "ماكس مايرهوف"، المبرز في تاريخ الطب والصيدلة (1864 وفي 1944 كان ما يزال حيا) : له تحقيق "الكاملية في السيرة النبوية" لابن النفيس الطبيب مع "يوسف شاخت"، كما له تحقيقات لمخطوطات عربية بمقدمات مسهبة وتعليقات مفيدة وقيمة[2].

* شاده (Shaad.A 1883ـ1952).

ترجم كتاب "**التنبيه في فقه الشافعية**" بعنوان "**الشريعة الإسلامية**"، (ليدن 1910). وله كتاب عن سيبويه، ليدن 1911. ونشر شرحي السهيلي وأبي ذر الخشنى لأشعار غزوة بدر في سيرة ابن هشام، ليبزيج 1920م[3].

* جوزيف شاخت (ولد عام 1902م):

من مشاهير المستشرقين الذين اهتموا بالمخطوطات العربية وتحقيقها، والعمل على نشرها، ودرس العديد منها في القاهرة وإستنبول وفاس وتونس. ففي مجلة الساميات، نشر منها تحت عنوان : "**من مكتبات في إستنبول وما حولها**". وفي "مجلة أعمال الأكاديمية البروسية للعلوم"، نشر بحثا بعنوان "**من مكتبات شرقية في إستنبول والقاهرة**". وفي "المجلة الإفريقية": "**مكتبات ومخطوطات إباضية**". وفي "مجلة دراسات استشراقية"، نشر بحثا بعنوان "**في بعض المخطوطات الموجودة في مكتبة القرويين في فاس**". وفي "المجلة العربية": "بعض المخطوطات الموجودة في القيروان وتونس"، و(بحث في بعض المخطوطات الموجودة في مكتبات مراكش)[4].

(1) **المستشرقون**: نجيب العقيق، 2/801.

(2) وعندما بلغ " ماكس مايرهوف " السبعين من عمره في 1944م، أصدرت الجامعة العبرية في القدس تبثا بمؤلفاته ـ انظر : **الاستشراق بين الإنصاف والإحجاف** : عبد الله العليان، ص 70.

(3) **المستشرقون لنجيب العقيقي** : 2/775.

(4) انظر **موسوعة المشترقين لعبد الرحمن بدوي** : 152ـ154 ؛ والمشترقون للعقيقي، 2/803.

وله في التحقيق كتب كثيرة. منها كتاب : "**اختلاف الفقهاء للطبري**". تحقيق وترجمة: الحيل في الفقه لابن حاتم القزويني.

كما اشترك مع "ماكس مايرهوف" في تحقيق كتاب "**الكاملية في السيرة النبوية**" لابن النفيس مع ترجمتها إلى الإنجليزية[1].

❁ هلنزفير rhewsnaH :

ولد سنة 1909م. من آثاره :

"**فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الجمعية الشرقية الألمانية**"، (ليبزيج 1940). وقاموس العربية اليوم، ليبرنج 1952.

ونشر بحثا بالمجلة المشرقية النمسوية (1948-1952)، عن النبي محمد ﷺ.

إننا ومن خلال استعراضنا لمجموع الأعلام والمصنفات التي تناولها المستشرقون، وليس الهدف استعراض هذه الأسماء بقدر ما الهدف التنبيه إلى أمرين:

أحدهما : جهودهم في التحقيق: تحقيق النصوص القديمة، وخاصة ما يتعلق بالسيرة النبوية وشروحها، والعمل على ترجمتها.

والثاني : إن هذه الأعمال أصبحت جزءا من كتاباتهم وآثارهم، والمسؤولية الواجبة علينا الآن والتي تطرح مشكلا أساسيا، هي الترجمة العلمية الدقيقة لهذه الأعمال حتى نستطيع الحكم لها أو عليها. فما ترجم كان يسيرا ولا يعكس النظرة العميقة والترجمة الدقيقة التي طالت مقدمات الكتب المحققة، بل إن الكثير من مكتباتنا تخلو من النصوص الأصلية، ولذا فكل حكم على نظرة الاستشراق والمستشرقين إلى تراثنا ومقوماتنا وحضارتنا تبقى حاسرة غير عادلة، تنصرف إلى النسبية ومجردة من الموضوعية.

(1) **موسوعة المستشرقين** : 373-377؛ الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف. وله مقال حول" محمد ﷺ"، نشرة دائرة معارف العلوم.

مدرسة لايبسيغ الألمانية والكتابة في السيرة النبوية
(هرمان ريكندورف مثالا)

د. محمد آيت الفران (*)

إن متابعة سيرة النبي محمد ﷺ في كتب الاستشراق الألماني هي نفسها متابعة هذا النشاط العلمي المتصل بالدراسات الإسلامية عامة والعربية بوجه خاص، منذ أن قدر لأعلام الجامعة الألمانية، قبل أزيد من قرنين زمانا، أن يبحثوا وأن يكتبوا في تاريخ العرب والمسلمين لغات وحضارات ومواقع ورجالات. وليس من العجب في شيء أن يكون شخص نبي الإسلام وسيرته مع قومه هدفا سعى إلى تطويقه والبحث فيه فريق هائل منهم، ما دام صاحب هذا الدين، وبكل هذه الميزات التي يمتلكها، لابد أن يحمل في داخله سرا يجب كشفه للناس.

ويمكن القول باطمئنان إن بداية البحث في سيرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام هي نفسها بدايات التأسيس لهذا النوع من الدراسات، وبمثل ما يمكن الحديث عن مدارس التفت حولها أسماء معلنة عن نهج في الرؤية ومسلك في التعامل مع المادة المعرفية والنصوص يمكن الحديث أيضا عن نمط آخر في طرح حياة نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام. وليس من اللازم أن تتوحد مصادر الرؤية ومتكآتها، كما أنه ليس من الأكيد أيضا أن تتطابق النتائج ومستخرجاتها.

وإذا كان من الجائز اليوم أن نتحدث، بكثير من التجاوز، عن مدرستين مركزيتين في دراسة الإسلام وقضاياه، شخصيات وموضوعات، في ألمانيا هي جامعة برلين بقيادة الأستاذة انجليكا نويفيرت Angelika Neuwirth وفريق من الباحثين والزملاء

---

(1) كلية الآداب، مراكش.

والطلبة، ثم جامعة ايرلنغن بقيادة الأستاذ هارتموت بوبتسين Hartmut Bobzin المتخصص في وجوه تداول النص القرآني الكريم تاريخا وترجمة وتأويلا ـ أقول إذا كان علينا أن لا نغض الطرف عن ما يجري في الجامعة الألمانية الحديثة متصلا بموضوع الكتابة في السيرة النبوية، فلابد أن نتذكر ليس دائما بالإعجاب المجاني ولكن أيضا بما يستلزمه هذا منا من تأمل وتقليب في وجوه وأسماء مرحلة التأسيس وما بعد التأسيس ـ مرحلة كبرى أساسية رسمت مسيرة الدراسات الاستشراقية في ألمانيا وبلورت خططها وراكمت رصيدها في المعرفة والإنتاج. إن الأمر يتعلق هنا بمدرسة لايبسيغ Leipzig الألمانية صاحبة قصب السبق أسماء وعناوين وإصدارات انطلقت من هناك مشذبة منقحة عن أصولها أو ذات صيغة اجتهادية وعلمية موثقة.

إن هرمان ريكندورف ـ صاحب سيرة محمد ﷺ التي بين أيدينا اليوم ـ قد خرج من منعطف هذه المدرسة وتغذى على طعومات رجالاتها المؤسسين الأوائل. ولكي نقف على صيغة العمل الذي سيضطلع به ريكندورف في إطار هذا الرصيد الهائل من الكتابات الأخرى التي سابقته أو عاصرته قبل أن ينجز عمله ثم للوقوف على مساق كتابه منهجا وسندات معرفية، يحسن بنا أولا أن نقف عند خطوط المعرفة الكبرى التي رسمتها لنفسها مدرسة الاستشراق الألماني في لايبسيغ. فما هي، إذن، ملامح الصورة الكبرى لهذه المدرسة التي تعتبر مركزا طليعيا في الدراسات العربية في ألمانيا؟

وجهت هذه المدرسة، ممثلة في أعلامها المرموقين مثل هاينريش فلايشر Heireinrich Fleicher (1801-1888)، اهتمامها نحو الوقائع الإيجابية للاستعمال اللغوي الملموسة عقليا وأعرضت عن كل ما هو تأملي نظري. ويمكن تلمس ملامح هذه المدرسة أيضا في أعمال أوجست فيشر (1865-1949) Augest Fischer الذي يعتبر حاملا لمشعل أستاذيه فلايشر وسلفستر دو ساسيه(1758-1838) Silvestre de Sacy .

وربما كان استدعاء التاريخ محكا آخر تفرك على جنباته مظاهر النص وتخرج باستنطاقه معانيه رافدا آخر غذى ملامح هذه المدرسة. لقد بدأ هذا المنحى، أولا، تويودور نولدكه Theodor Noeldeke (1836 -1930) صاحب تاريخ القرآن الصادر في ترجمة عربية كاملة مؤخرا، كما سار على نفس الخطى أيضا تلميذه برجشتراسر Gotthelf Bergstrasserفي جمعه للقراءات القرآنية وأنواعها في مصر خاصة. وعلى نفس المساق سار هانز شتومه Hans Stumme (1864-1936) المهتم باللهجات العربية والعارف بلغات الأمازيغ في المغرب خاصة.

وفي الوقت الذي انصرف فيه معظم اهتمام مريدي مدرسة لايسبيغ إلى القضايا المتصلة بالنص في بحوثهم اللغوية والتاريخية اتجه أحد تلامذة نولدكه الذي هو هرمان ريكندورف (1863-1923) إلى مطلب تقديم عرض شامل عن النحو العربي. وقد كان عنوان مؤلفه الرائد في هذا الشأن دالة على نهجه أسلوبا جديدا في التأليف يغاير سابقيه، وربما لاحقيه أي "العلاقات التركيبية للعربية". وقد نحا ريكندورف منحى فسر به الظواهر اللغوية انطلاقا من النظريات اللغوية الحديثة مستندا إلى طروحات تاريخية ونفسية دون منطقية مجانبا ما فعله أستاذه فلايشر. واستكمل ريكندورف مشروعه بإصدار مؤلف آخر سنة 1921 (النحو العربي) ضرب فيه بعيدا في الوصف والتحليل والحديث عن بناء الجملة في العربية. وقد شدد في كلي المؤلفين على ضرورة الفصل الكامل بين خصوصيات لغة الشعراء وأضراب الأسلوب وأقاليم اللغة وأزمنتها. ويرى يوهان فيك في كتابه عن الدراسات العربية في أوربا أن عمل ريكندورف هذا سيبقى فريدا في بابه في غياب العرض التاريخي للقواعد اللغوية في العربية.

أخذ ريكندورف موقفه من سلم الاستشراق الألماني باحثا في النحو العربي وعارفا بخباياه. ويعتبر كتاباه المشار إليهما قبلا دليلا قويا على تفرده في هذا الباب تنظيما ومادة معرفية ورؤيا في الطرح. وربما استطاع أن يجد مكانه اللائق بين زملائه مكتفيا بهذين الكتابين لولا أن مجرى النهر ونمطية البحث في بيئته العلمية أبت عليه إلا أن يطلب مسلكا آخر في تحقيق الذات وتبليغ الرسالة العلمية المرجوة. ولم يكن هذا الطريق إلا طريق الكتابة عن سيرة نبي الإسلام محمد ﷺ.

وتدلنا سنة إصدار مؤلفه عن محمد ﷺ 1907 أن شغف التأليف عن شخصية محمد ﷺ مشغلة أخذت باهتمام ريكندورف لفترة طويلة في مسيرته العلمية، وفي زمن اهتمامه بالنحو العربي الذي استغرق حياته العلمية كليا تقريبا. وربما أحس صاحبنا أن قيمته بين زملائه، مشاركا في بابه، ما كان عليها أن تكتمل في غياب هذا العمل عن رجل شغل الناس دون أن يقولوا في حقه الكلمة الفصل.

أول ما يلفت انتباهنا ونحن نتناول هذا الكتاب عن محمد ﷺ لريكندورف هو عنوانه قياسا على العناوين الأخرى التي ألفت في سيرة نبي الإسلام ﷺ في ألمانيا أو في غير ألمانيا.

Mohammed und die Seinen. وهو ما يمكن نقله إلى عنوان تقريبي في معنى: محمد وصحبه أو محمد وخاصته أو محمد وأتباعه. وربما وقفنا على مفتاح نظرة

ريكندورف إلى موضوعه إذا قارنا عنوان مؤلفه بعناوين أخرى دارت في سياق من قبيل: محمد في مكة ومحمد في المدينة أو محمد وتعاليمه ومحمد والقرآن. إن رؤية ريكندورف لرسالة محمد ﷺ تريد أن تقول، منذ البداية، إن رسالة نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام قامت على التشارك والتعاضد وأن محمدا ﷺ كان عارفا بقضيته وقومه ومدركا لخصوصيات مجتمعه وبيئته وأنه ما كان عليه أن يبلغ الهدف في غياب مؤازرة خاصته وأتباعه. إن سيرة محمدﷺ عنده هي سيرة الآخرين الذين التفوا حوله، بل هي سيرة أولئك الذين جانبوه أو عادوه. كيف وضب، إذن، ريكندورف هذا الكتاب؟ وما هي عناصره التي بناه عليها؟.

يقع الكتاب الصغير في 134 صفحة. وقد جعله صاحبه في خمسة عناوين وكتبه بأسلوب مبسط مباشر لا يعتمد كثيرا على التصنيفات أو الإحالات المعقدة وكأنه يريد بذلك مخاطبة قارئ ليس من اللازم أن يكون صاحب خبرة بموضوعه.

- ماذا تقول عناوين الكتاب : "**السيرة**"؟.

1. تأثيرات محمد - آثاره.

لم يتكون الإسلام عنده من عدم، إنه قريب من الديانيتين الأخريين اليهودية والمسيحية، والكتب السماوية ماثلة باحترام وتقدير في النص القرآني.. والإسلام عنده يشكل حلقة كاملة من التطور على درب المعتقد الإنساني، كما أن كلمة الله التي أوحى بها إلى آخر وأعظم مرسليه محمد ﷺ هي منطوق الخالق الأعظم إلى الناس جميعا. وسنكون هنا - كما يقول ريكندورف - أمام آخر الكتب السماوية التي أوحي بها إلى محمد عليه الصلاة والسلام. والإسلام هو الحلقة المحكمة الكبرى التي اجتمعت على كمالية الدين وتطوره في مرحلته الأسمى.

ويلاحظ ريكندوف أن محمدا ﷺ كان يتعامل في دعواه مع قومه وكأنه يذكرهم بمعالم دين عايشوا ملامحه، بوجه أو بآخر، في ماضيهم. ويرى أن حروب النبي محمد ﷺ على أعداء دينه ومناوئيه لم تكن إلا صورة عن نمط سلوك عايشوه في أيامهم الماضية ربما بشكل أكثر شراسة.

2. غزوات محمد.

لم يكن سكان مكة يميلون بطبعهم إلى الجري وراء الحروب أو الدخول من تم في عناد مع النبي ﷺ، لأنهم أصلا أناس حضريون (سكان حضر). كما أن طبيعة المدينة التي كانت

تقوم على التجارة كانت تأبى على السكان أن يفعلوا ذلك (34). وقد عرج ريكندورف واصفا استراتيجيا حروب النبي ﷺ وكيف كانت تجري وما سر انتصاره في غزواته. وقد وقف محللا وواصفا معركة أحد. ويشير كاتب السيرة هنا إلى وعي النبي محمد ﷺ بمواقع قومه خصوصا البسطاء منهم ومن يدعوهم إلى دين الإسلام، كما يشير إلى تحركاته مستجيبا لقناعة قومه وعاداتهم وأنماط سلوكهم الثقافي التي صارت عادات وأنماط سلوك يومي (ص12). ومع هجرة محمد ﷺ من مكة إلى المدينة سيتحول الإسلام إلى فعل سياسي (ص 16) وستنسحب الدعوة التبشيرية الدينية لترك الميدان للسياسة والجهاد، في إشارة إلى حروب النبي وغزواته. وسينتهي ريكندورف هنا، إلى أن محمدا ﷺ كان يتعامل في دعواه مع جماعة وكأنه يذكرهم بمعالم دين عايشوا ملامحه بوجه أو بآخر في ماضيهم (ص 21)، بل إن حروب النبي محمد ﷺ على أعداء دينه ومناوئيه لم تكن إلا صورة عن نمط سلوكي عايشوه في معاملاتهم الماضية ربما بشكل أكثر شراسة (ص 21).

3. محمد وأتباعه

بدأ ريكندورف هنا بالتساؤل عن أولائك الذين يفترض أن النبي محمدا ﷺ تلقى منهم المبادئ الأولى للتعاليم اليهودية والمسيحية، بعد أن أكد قربه من هذين الدينين. وسيلاحظ أن ضعف المنافذ الموثقة أو الدالة للإجابة عن هذا السؤال تبيح لنا أن نقول مطمئنين، إن النبي محمدا ﷺ لم يتلق خبرة دينية من أي أجنبي (يهودي أو مسيحي).

4. علية القوم وعامة الناس.

أثار ريكندورف هنا قضية محورية تنم عن ذكاء وحس كبيرين في التقاط خصوصيات شخص النبي محمد ﷺ ورسالته، هي مسألة "العقد الإلهي" الواقع بين من اختار الإسلام وخالقه. إن مسألة الدين أو الإيمان بالواحد الأحد هي صك التزام بين خالق ومخلوقه، وبهذا سيكون من الصعب جدا قبول الارتداد عن ذلك الصك لأنه من الله سبحانه. وقد عبر الكاتب عن وجه هذا العقد بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم، مقابل ذلك، الجنة خالدين فيها أبدا (ص90-91). وقد أفلح القرآن إلى حد بعيد عند ريكندورف، في رسم هذه العلاقة الفريدة بين الخالق وهذا البشر..

ويعرض هنا إلى سعي النبي ﷺ إلى المساواة بين الناس دون مراعاة أصولهم أو ما يملكون (ص69). وكيف نجح النبي ﷺ في تكوين أرستقراطية ممن لا يملكون جاها ولا متاعا بل يملكون إيمانا وإسلاما؟ (ص96). ويؤكد ريكندورف أن أولى التحديات التي كان على النبي محمد ﷺ أن يواجهها بعناية وتبصر، هي حمل الناس على القبول بجدوى انمحاء

الطبقات والفروق بين العشائر، سعيا وراء التقريب بينها بمراعاة أصول الإسلام وحده الذي يقوم على الإيمان بالله والتوحيد كمرجعية أولى في التفاضل بين الخلق دون الانتماء القبلي أو الثروة. وسيكون دين الإسلام الجديد هو المعبر الذي سيتخلى العرب به عن نزعتهم القبلية في الانتماء والمناصرة وصولا إلى وحدة المعتقد المشترك (الإسلام) كبناء قوي ووجهة عامة، يلتف حولها الناس بمن فيهم أولئك الذين لم تكن لهم قبيلة تناصرهم أو أصل يعتدون به (99).

5. كيف عامل النبي غير المسلمين؟.

يقرر ريكندورف في هذا القسم من عمله أن علاقة النبي محمد ﷺ بالمسيحيين واليهود في زمنه لم تكن علاقة عداء، لأنهم لم يشكلوا قوة مانعة في تكوين دولة الإسلام أيام الدعوة (ص501). كما أن التعايش مع الديانتين إلى جانب الإسلام كان من مزايا في فكر النبي محمد عليه الصلاة والسلام (ص107).

وقد سلك ريكندورف في تكوين عمادات كتابه، نفس مسلك من سبقه أو عاصره في التأليف عن سيرة النبي محمد ﷺ. ورغم أن رصيد الكتب والمصادر التي اعتمدها ريكندورف في إنجاز عمله قليلة ومتواضعة، إلا أنه سينشئ، في النهاية، عملا في مذاق جديد قد لا يغني عن قراءة أعمال سابقيه، ولكنه سيختلف عنها بأمور منها: الوضوح والمباشرة وبساطة الطرح وتعمق القضية الدينية الفكرية التي أراد النبي محمد ﷺ أن يوصلها إلى قومه، ثم وهذا ربما هو الأهم أن سيرته أراد بها في صورتها التي أنجزها أن تنتشر بين عامة الناس، وأن لا تشغل القارئ العادي بالتفاصيل المملة، وأن تنقل بهدوء ودون خلفيات خطاطات كبرى عن رجل عظيم يحمل رسالة عظيمة.

إن الوقوف على قيمة هذا الكتاب المشروط بسياق في التأليف والتداول المعرفي، تبيح للقارئ المتبصر أن يقف عند مجموعة من الملاحظات لابد من سوقها هنا تأطيرا لهذه السيرة كما أراد لها صاحبها أن تكون، وتقويما لها داخل مسلسل الكتابات عن شخصية نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام في تآليف الاستشراق الألماني. ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

1. كان مسلك ريكندورف، صاحب السيرة، مسلكا تعريفيا تغيى القارئ الألماني البسيط الذي يقنع بظاهر الأشياء ولا يبحث كثيرا في مصادر القول أو حيثيات التخريج. وربما لهذا السبب لم تعر كتب التصنيف الجامعي في ألمانيا أو غيرها اهتماما كبيرا لهذا النص الصغير، الذي بقي غفلا منطويا على نفسه، ولا تؤكده المرجعيات العلمية الموثقة.

2. لم يعرف عن ريكندورف أنه اهتم، في تكوينه أو تدريسه، بتاريخ الإسلام أو تراثه الديني، إلا على سبيل اقتناص الشواهد والأمثلة بغاية توظيفها، قصد استخراج قاعدة نحوية أو تأكيد رأي لغوي كما جاء ذلك في كتابيه عن النحو العربي. وبهذا جافته خاصته مؤلفا عن الإسلام ونبيه ﷺ، واحتضنته باحثا في علوم العربية وقوانين القول فيها. وبهذا قرأ الألمان الأستاذ المعلم ريكندورف باحثا جهبذا في النحو العربي، وتركوه مؤلفا في سيرة النبي محمد ﷺ، ما دامت السير عندهم كثيرة لا تخطئها العين ولا يعدمها الباحث.

3. اتكأ ريكندورف في إقامة محتوى كتابه على المتوافر أصلا من الكتابات الألمانية عن سيرة محمد ﷺ في زمانه. واعتمد بكيفية أولية على مؤلف شبرنجر

Aloys:Sprenger Das Leben und die Lehre des Mohammed (1893-1813)

الصادر في ثلاثة أجزاء (برلين1869).

ويعرف شبرنجر، حتى داخل قومه وعشيرته، بتحامله على شخصية محمد عليه الصلاة والسلام بكثير من النعوت التي يأباها البحث العلمي، فأحرى أن يوسم بها شخص غيّر معالم العالم في زمانه وبعد زمانه.

واعتمد ريكندورف، إلى جانب ذلك، أنتولوجيات عن كتابات أخرى عن الإسلام والقرآن لأسماء معروفة آنذاك، كفيلهاوزن Julius Wellhausen (1844-1914) خصوصا في كتابه "**البقايا الوثنية**" 1887) ثم (1897) وكتابه "**محمد في المدينة**". كما أصدر وترجم مختصرا لكتاب "**المغازي للواقدي**" (1882) دون أن ننسى معلمة نولدكه "**قصة القرآن**" وترجمات لوتمان 1862) وريكرت(1888) وهينينج للقرآن الكريم.

ولأن ريكندورف بهذا كله ـ لم يكلف نفسه، على غرار زملائه الآخرين ووفقا لمسلك البحث في الجامعة الألمانية ـ أقول لم يكلف نفسه مشقة التنقيب في المصادر الأولى أو إبداع جديد في بابه، فقد اعتبر عمله داخل المكتوب الألماني في السيرة، أشبه بالعمل الإبداعي الأدبي الشاعر، الذي لا يمكن الاطمئنان إليه عندما نطلب الحقيقة الدارسة.

4. ربما لهذا التخريج الذي ذهبنا إليه أخيرا، يمكن قرن عمل ريكندورف هذا عن سيرة النبي ﷺ بعمل ريكرت الذي أشرنا إليه قبل قليل، أي ترجمته للقرآن (1888) من حيث الميل إلى الشعرية ومحاولة الاقتراب من شخص النبي وقومه

ورسالته، باستعمال معبر الإحساس وعدم الدخول في مطلب الجدل العلمي الصارم، مما يذكرنا هنا بالترجمة المحاكية لنص مقامات الحريري سجعا، التي أنجزها روكرت أيضاً. غير أن مطلب الشعر عنده، فوّت عليه مرات معاني النص القرآني في الترجمة الأولى بل إنه ضحى ببعضها وتناساه عندما لم يسعفه المعنى في إقامة الشعر في ترجمته لمقامات الحريري. وهكذا بقيت ترجمة ريكرت للقرآن تصلح للقراءة واستشعار بعض حدود النص الخارجية، دون أن تصلح لتدبر النص المقدس ومعرفة منطوقه.

5. السؤال الأخير: ما جدوى سيرة ريكندورف وأضرابها عن شخص النبي محمد ﷺ اليوم، وما معنى أن يكتب شخص تخصص في النحو سيرة عن النبي محمد ﷺ، أو لنقُل: ما علاقة النحو بالسيرة؟.

للإجابة عن هذين السؤالين لابد من سلك السيرة التي كتبها ريكندورف في سياقها العام، بمعنى أنه يجب قراءة أعمال أغلب المستشرقين ألمانا وغير الألمان بكثير من الهدوء، وفي ضوء مستجدات البحث العلمي التي يقوم بها دارسون آخرون. قد نختلف معهم في نتائج أبحاثهم وقد نتفق، ولكن أكثرهم كانت تحركه حرارة الإيمان باحثا عن الحقيقة وإن تكن أخطأته حقيقة حرارة الإيمان بالدين الإسلامي في عمقه.

لقد أحس ريكندورف في خضم حركة الاستشراق وطبيعة توجهه الذي عايشه في زمانه، بأن البحث في علوم العربية والنحو خاصة، قد لا تكفيه لبسط نفوذه العلمي وتقديم مهارته بين زملائه الآخرين. لقد كانت الكتابة في"**سيرة النبي محمد** ﷺ"، هي مفتاح إثبات الذات علميا وترسيخ موقع الباحث في العربية وتاريخ الإسلام. وقد يكون ريكندورف من الذين أدركوا المعاني الكبرى التي تكشف عنها مظان البحث في النحو وقضايا العربية، التي هي لغة القرآن ولغة الإسلام الأولى. وربما ذكّرنا هذا التنقل الذي كشفت عنه مسيرة ريكندورف بين النحو والسيرة، بصلب العلاقة المتينة القائمة بين الإسلام وكل منظوماته، بما في ذلك شخص النبي ﷺ ومن تحرك إلى جانبه من أتباعه وخاصته، وبما في ذلك لغته التي تحدث بها ونزلت بها رسالته. إن البحث في رسالة النبي ﷺ عند ريكندورف، هي أيضا البحث في سيرة العربية ووجوه أدائها، والنحو بعض من ذلك.

ببليوغرافيا

- Andrae, Tor. Mohammed: Sein Leben und sein Glaube. Gttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1932.
- Bobzin, Hartmut: Mohammed. 2. Aufl. München: Beck, 2002.
- Denffer, Ahmad von: Ein Tag mit dem Propheten. Aachen 1983.
- Fück, Johann: Die arabischen Studien in Europa bis in den Anfang des 20. Jahrhunderts. Leipzig. 1955.
- Khoury, Adel Theodor: So sprach der Prophet. Worte aus der islamischen Überlieferung. Ausgewhlt und übersetzt. Von A.T.Khoury. Gütersloh 1988.
- Mangold, Sabine: Eine weltbürgerliche Wissenschaft Die deutsche Orientalistik im 19. Jahrhundert. Stuttgart : Steiner 2004.
- Nöldeke, Theodor, Geschichte des Qorans: Erster Teil, Über den Ursprung des Qorans, Zweite Auflage völlig umgearbeitet von Friedrich Schwally, Leipzig, Deutschland, 1909.
- Nöldeke, Theodor: Geschichte des Qorans: Zweiter Teil, Die Sammlung des Qorans mit einem literarhistorischen Anhang uber die muhammedanischen Quellen und die neuere christliche Forschung, Zweite Auflage völlig umgearbeitet von Friedrich Schwally, Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung, Leipzig, Deutschland, 1919.
- Nöldeke, Theodor: Geschichte des Qorans, Dritter Teil: Die Geschichte des Qorantexts, von G. Bergsträsser, Dieterich'sche Verlagsbuchhandlung, Leipzig, Deutschland, 1926.
- Nöldeke, Theodor: Das Leben Muhammeds. Hannover 1863. S. 55-56: stellt korrekt fest, 46 ass, noch längere Zeit nach seiner (Mohammeds) Ankunft ein Theil der Medinenser dem alten Götzendienst treu blieb-wie z.B. von einem groBen Geschlechte, den Aus-allah, berichtet wird, 46ass sie sich unter dem EinfluB des Dichters Abu Kais noch Jahre lang von dem Islam fern hielten.
- Julius Wellhausen: Muhammed in Medina. Das ist Vakidis Kitab al-Maghazi in verkürzter deutscher Wiedergabe. Berlin 1882.
- Paret, Rudi: Mohammed und der Koran. 9. Aufl. Stuttgart: Kohlhammer, 2005.

- Paret, Rudi: Die legendäre Magazi-Literatur: arabische Dichtungen über die muslimischen Kriegzüge zu Mohammeds Zeit. Tübingen 1930.
- Reckendorf, Hermann: Arabische Syntax, Heidelberg 1921.
- Reckendorf, Hermann: Die syntaktischen Verhältnisse des Arabischen, Leiden 1895 (Nachdruck 1967).
- Reckendorf: Uber Paranomasie in den Semitischen Sprachen: Ein Beitrag. Zur Allgemeinen Sprachwissenschaft. GieBen 1909.
- Schoeler, G.: Charakter und Authentie der muslimischen Überlieferung über das Leben Muhammeds, 1996.
- Sprenger, Aloys: Das Leben und die Lehre des Mohammed. Nach bisher grötenteils unbenutzten Quellen. Olms, Hildesheim 2003 (Repr. D. Ausg. Berlin 1861).
- WEIL, Gustav: Das Leben Mohammed's nach Muhammed Ibn Ishak bearbeitet von Abd el-Malik Ibn Hischam, übersetzt von Dr. G. Weil. Stuttgart 1864.
- WELLHAUSEN: Muhammed in Medina (Berlin, 1882); KREHL, Muhammad (Leipzig, 1884); GRIMME, Muhammad (2 vols., Munster, 1892-94).
- WELLHAUSEN, Julius: Muhammed in Medina. Das ist Vakidi's Kitab al Maghazi in verkürzter deutscher Wiedergabe herausgegeben, Berlin 1882.
- WELLHAUSEN, Julius: Reste arabischen Heidentums, Berlin 1887.2. Ausgabe Berlin 1897. 3. Aufl. mit einem Geleitwort von R. Hartmann, Berlin 1961.

تقديم كتاب طُورْ أندريه "محمد: حياته وعقيدته"

د. حنان السقاط(*)

Tor Andrae, Mohomet: sa vie et sa doctrine,
Paris, Librairie d'Amrique et d'Orient, 1984

تقر الحكمة الفقهية بأن ناقل الكفر ليس بكافر. وتؤكد القاعدة العلمية أن معرفة وعرض ومناقشة الآراء المضادة، خاصة المضادة بصحيح وبصراحة، غالبا ما يكون مفعوله إيجابيا لأنه يدفع بالاجتهاد في اتجاهات جديدة، خاصة ما له علاقة بالتفاصيل، علما بأن الاجتهاد يكون في التفاصيل وليس في المتون. والحقيقة أن هذه الدراسات في السيرة النبوية الشريفة من منطلقات استشراقية، أي مسيحية ويهودية، تفتح أفاقا واعدة أمام البحث العلمي، وهو فضلاً عن كونه همنا جميعا في الجامعة المغربية، يندرج في إطار التأصيل لثقافتنا القوية بمميزاتها الذاتية. أما ما دون ذلك من قبيل الاندفاع في الدفاع عن الإسلام وعن نبيه ﷺ كواجبات أخلاقية، فهي من دون أدنى تحفظ غايات نبيلة، ولكنني أعتبر أنه يحسن بنا أن نخضع مناهج الوصول إليها للازمة التحليل والتحقيق العلمي. ليس بالضرورة لكسب الصدام، وإنما أولا وأخيرا لنكون في سكينة روحية مع أنفسنا، وذلك من خلال جعل العلم نبراسنا ومحركنا. فالله لا يعبد عن جهل وتقليد أعمى. وإن انتصارا علميا على أنفسنا، أحسن لنا بكثير من ألف انتصار في معارك اللغط والمزايدة.

الكاتب الذي أود تقديمه للحضور متميز لأمور عديدة :

أولها : أنه ليس ألماني الجنسية ولا الإقامة، ولا العمل ولا مكان الدفن. كاتبنا سويدي، ولكنه ألماني لغة الكتابة والثقافة والإحالات. فالسويد كما لا يخفى على العديد منكم، بلد إسكندنافي تشبع أهله منذ بداية القرون الحديثة بالثقافة البروتستانية، التي

(*) كلية الآداب سايس ـ فاس.

- من دون شك ـ أقلموها مع بنياتهم الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية، ولكنهم في المقابل أبقوا على جوهرها الجرماني القائم على ركيزتين يبدوان ظاهريا متناقضتين، هما البساطة والتبسيط في الممارسة والتعامل، والتعمق والتحليل الدقيق في الأمور اللاهوتية والفلسفية. ويمكن تلمس التأثير الجرماني، بل الانخراط الكامل في منطقه منذ الجملة الأولى من المقدمة، حيث يقر الكاتب أن الإدعاء بوجوب وضع الظاهرة الدينية تحت المجهر العلمي لوحده، وتتبعها انطلاقا من خلفيات مادية اجتماعية واقتصادية وفكرية جماعية، لا يمكّن التحليل من استيفاء جميع أغراضه. فالحري بالباحث أن يعطي للعناصر المكونة لشخصيات الرسل عليهم السلام ما تستحقه، لأن الأديان طبعها الرسل والأنبياء بطابعهم الخاص، فهي نتاجهم، وفي العديد من تجلياتها انعكاسات لخياراتهم وميولاتهم. ومن دون شك، فإن محمدا ﷺ هو أكثر الأنبياء تأثيرا في الدين الذي أتى به؛ لأنه صنع بحق منظومة روحية تتلاءم وتصوره للعالمين المادي والغيببي. وطُورْ بهذا الطرح، يعني بوضوح أن منطق هيغل ما يزال ذا نفاذ وصلاحية، وأن المادية الماركسية ـ من دون شك ـ لها ما يبررها حين الاشتغال عن المجتمعات، ولكن حدودها تظهر جلية عند التفصيل في الروحانيات. ويتجلى التأثير الجرماني كذلك، من خلال اعتماد الكاتب لمناهج التحليل النفسي الفرويدي لتتبع التطور الروحي للرسول ﷺ وكيف ارتقى إلى درجة تقمص شخصيات عديدة ـ حسب رأيه ـ تمكّن بفضل كفاءاته الشخصية الفطرية والمكتسبة من الحد من درجة التناقض فيما بينها.

وثاني الأمور التي تجعل كاتبنا متميزا، هي أنه ليس بالمستشرق بالمعنى التقني للكلمة، أي أن موضوع اهتمامه الرئيسي ليس هو الإسلام ونبيه ﷺ، ولا الإسلام كتاريخ، ولا الإسلام كحضارة. صاحبنا مستشرق بالمعنى المجازي أو كما يقال بالفرنسية par extension. طُورْ أندريه هو مؤرخ أديان، ومسؤول عن الشؤون الدينية في بلاده، وهو كذلك فاعل ديني في الكنيسة السويدية. وما كان يهمه بالدرجة الأولى، هو تبيان أن الإسلام كما أتى به محمد ﷺ هو في حقيقة الأمر إقرار بصحة وصلاحية الدينين اليهودي والمسيحي، لأن محمدا ﷺ في نظره لم يقم بأكثر من رد الاعتبار للمعتقدات التي كانت رائجة حينئذ عند الأحبار والرهبان المسحيين في بلاد الشام. إن محمدا ﷺ ـ حسب الكاتب ـ لم يخلق دينا جديدا، إنه نجح بالأحرى في تكييف المعتقدات المسيحية وصهرها بشكل ذكي، وحتى زهده واستقامته يمكن اعتبارهما تقليدا للسيرة التي كان يتسم بها الرهبان في الأديرة. ويؤكد طُورْ منذ البداية، أنه من السذاجة اعتبار الإسلام مجرد إعادة صياغة للمعتقدات السابقة، فالإسلام حسب رأيه ـ حركية روحية

مستقطبة تعطي لحياة المرء معنى وغاية، وتحثه على أن يكون مندمجا وخلاقا وأصيلا، وهي في حقيقة الأمر العناصر التي تفسر استمرارية الدين وعنفوانه وتأثيره، وتفسر كذلك المكانة السامية التي يحتلها محمد ﷺ في نفوس المسلمين، بغض النظر عن الاختلافات الجوهرية بينهم.

أما ثالث الأمور، هي أن كاتبنا ينتمي لبلد على هامش الحركة الاستعمارية، التي مهما تجادلنا في شأنها، فهي الأصل في الاستشراق كعملية فكرية تفكيكية تهدف إلى تحقيق غايات عديدة، ليست جميعها شيطانية كما يعتقد العديد من مفكرينا. الاستشراق السويدي، هو كما أشرت إلى ذلك جرماني المنزع، ولكنه لم يخلق تراكما معرفيا مهما، ولا اصطنع تقليعة فكرية، ولم يعط أسماء وازنة أو جامعات متخصصة، وبالتالي فإن الكتاب له أهمية في حد ذاته ودراسته وتقديمه، لهما ما يبررهما، لأنهما تسمحان بمعرفة طبيعة النظرة للإسلام والعلاقة به وبأهله. للتذكير فقط فالنرويج والدانمرك، وهما بلدان مجاوران للسويد ويتقاسمان معها العديد من الخصائص والمميزات والعناصر المركبة، كانا منذ سنتين الأصل في إحدى أكبر الأزمات المعاصرة بين الإسلام والمسيحية، واعتبرت إحدى أبرز المحطات فيما أضحى يسمى بصراع الحضارات.

لا يخفي طُورْ إعجابه بشخصية الرسول الكريم، فهو يعتبره عبقرية بجميع المواصفات العلمية والأخلاقية والروحية والقيادية. وما شده بحق، هو أن محمدا ﷺ حرص طوال حياته، وخاصة وهو في قمة مساره، على أن يحافظ على تواضعه وأن لا يسقط في جنون العظمة. وهو ما يدل في نظره، على أن النبي ﷺ كان متشبعا بقيم مترسخة لا محيد عنها، لمن يريد أن يكون قدوة لتابعيه. لقد كان الرسول ﷺ - حسب طُورْ - قاسيا مع نفسه، وهو ما جعل أتباعه يؤمنون به، وجعل ملايين البشر تتبع تعاليمه وتقدسه وتعتبره خير البرية، والظاهرة تستحق الإشادة.

يؤسس طُورْ لعرضه لحياة الرسول ﷺ وعقيدته، انطلاقا من فكرة يعتبرها جوهرية، وهي أن فترات مهمة وحاسمة من حياته ما تزال غامضة ومشوبة بعناصر تستحق التدقيق والتمحيص، وهي في الحقيقة الأجدر بالاجتهاد. ويُرجع كاتبنا أسباب هذا اللبس، إلى غلبة الفكر الأسطوري على العقلية العربية الجاهلية؛ وهذا الفكر أضحى فيما بعد، من قبيل تحصيل الحاصل، حيث ضُمّ إلى حظيرة المقدس الذي يجب الإيمان به من دون أدنى تشكيك. فمثلا يأخذ نمودج معركة بدر، وهي كما يعرف الجميع حدث مؤسس للدولة الإسلامية، وكذلك لثقافة الجهاد والتضحية من أجل نصرة كلمة الله،

فطُورْ يشير إلى تكتيك اعتمده الرسول ﷺ حين أخذ حفنة رمل وألقى بها في اتجاه الأعداء، موهما أصحابه أن حبات الرمل تحولت إلى ملائكة تحارب إلى جانبهم، وهو بالضبط ما جعلهم يبلون البلاء الحسن، فكان النصر حليفهم. وحسب طُورْ، فإن هذه الطريقة في البدء بالحرب ليست مبتدعة، وإنما كان معمولا بها منذ القدم في بلاد العرب وكذلك في مناطق أخرى من المعمور، ومغزاها هو إلقاء اللعنة على العدو ليندثر وتذهب أشلاؤه مع الريح كما تتناثر حبات الرمل في الصحراء.

ويجد طُورْ تفسيرات متنوعة للعديد من الظواهر النبوية من خلال قراءتها قراءة مسيحية، وبالضبط المسيحية الشرقية الشامية التي كانت ممارساتها وتعاليمها معروفة عند عرب شبه الجزيرة العربية.

فالكتاب على طوله يشير إلى خلفية تصرفات الرسولﷺ، انطلاقا من هذا المعطى الذي يعتبره جوهريا وحاسما في التفسير.

وحين التطرق بالتفصيل لأمور العقيدة الإسلامية، يشدد طُورْ على الأثر الكبير للحنفيين الذين تعرف عليهم رسول الله ﷺ وكانت له بهم صلات مفتوحة، وأهمهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن حويرث. فالثلاثة تمسحوا وكان إيمانهم بعقيدة عيسى قويا، وشهد لهم بالعداء لمعبودات قريش إلى درجة أنهم لم يشاركوا أهلهم في قيمهم الروحية، وبالتالي فإن محمدا ﷺ لم يكن الوحيد الذي تبرأ من عبادات قومه. وفي تعامل محمد ﷺ مع هؤلاء الأقطاب، يجد طُورْ التفسير الذي ينشده لبعض سلوكات الرسول ﷺ، والتي يعتبرها مجرد شطحات سيكولوجية. فمثلا حين أتى الرسول ﷺ عند ورقة بن نوفل وهو في حالة نفسية قريبة من الانهيار ليعرض عليه تجربته الأولى مع الوحي، قال له ورقة ليخفف من روعه أن ما رآه يشبه الناموس العظيم الذي ظهر لموسى. والناموس هنا، هو التمثل الذي تعبر عنه الكلمة الإغريقية namos، وتعني القانون La Loi. وورقة حسب طُورْ، لا يعني أن ما وقع لمحمد ﷺ هو وحي رباني، وإنما تخيّلٌ يحصل في العادة لكل من يقضي وقتا طويلا منفردا وتائها. وحتى ما يتعلق بحياة وموت المسيح، فهي في القرآن مطروحة بنفس التصور الذي تؤمن به بعض الكنائس الشرقية المنفردة، مثل الغنوصية. ونفس الأمر يمكن قوله في موضوع التفرغ الليلي للعبادة، فالرهبان في بلاد الشام جعلوا من السهر لذكر الله والصلاة على المسيح وأمه ركنا مؤسسا لإيمانهم، واختلقوا للقيام بذلك طقوسا متطورة تجعل الجسم في حالة ارتخاء، مما يمكنهم من التواصل مع الله بسهولة وتركيز كبيرين، بل أن بعضهم جعل من سمة الصلاة مبتغى للدلالة على شدة الورع والشغف بالصلاة.

ويرى طُور أن تأثير الكنيسة النستورية التي كان يدين لها عرب الحيرة على الحدود بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين، يبدو واضحا في التصور الإسلامي لما تؤول إليه الروح بعد الموت، حيث أن الدين المحمدي يشدد على أن الجزاء يعقب الموت مباشرة. وهذه المسألة بالضبط فصل فيها رهبان الكنيسة النستورية، ودار بين أقطابها جدل مهم حولها. ويخلص طُورْ إلى أن محمدا ﷺ قد اقتبس عنها من دون أدنى شك، تصوره لمآل الروح بعد الموت. ودون الاستمرار في عرض مواطن التشابه بين ما أتى به محمد ﷺ وما كان معروفا ومتداولا قبله في الكنائس الشرقية المندمجة والمنفردة، فإن ما يود طُورْ إظهاره، هو أن محمدا ﷺ قد نقل عنها الكثير من العبادات والممارسات والأفكار، وأضاف إليها بعض معتقدات أهله بعد أن أفرغها من شحنتها الجاهلية، فأضحت دينا جديدا يبدو متكاملا وذا فاعلية.

أما ما يتعلق بالتدابير المعاملاتية التي بفضلها نجح محمد ﷺ في تأسيس الأمة الإسلامية والتأصيل لمؤسساتها الإدارية والقضائية والعسكرية والدينية والاقتصادية، فطُورْ يعتقد أن الرسول ﷺ اعتمد براغماتية مثالية جعلته يستغل كافة الفرص لتحقيق غاياته. ويستدل في ذلك على براعته في تخليص نفسه من الوضعيات الصعبة، بل وتحويلها إلى مشاهد ذات دلالات لاهوتية. ولعل أهم محطة في هذا المسار هو جعله أتباعه يعتقدون أن الإسلام هو الدين الأنقى، وأن ما دونه مشوب بالتحريف والتدليس وهي للتذكير، نفس الذريعة التي كان المسيحيون يرفعونها في جدلهم مع اليهود. ولقطع جميع السبل مع اليهودية والمسيحية والتميز بشكل واضح، جعل الرسول ﷺ من الكعبة ركنا مركزيا في المنظومة الروحية والمادية، على اعتبار أنها بيت الله، وأن الأصل فيها هو سيدنا إبراهيم عليه السلام، السابق لجميع الديانات والمكرم فيها قاطبة. وفضلا عن كل هذه الأمور الروحية، فالكعبة مقرها هو مكة عاصمة قبيلته، وهو- في نظر طُور- سعى من خلال الرفع من قيمتها، إلى استدراج قومه وإقناعهم بأن الدين الجديد لا يهدد مصالحهم، بل يضمنها إلى الأبد.

ونجد في الفصل الأخير من الكتاب، تأريخا للموقف الغربي من شخصية الرسول ﷺ. ويرى أن الصورة السلبية لمحمد ﷺ في أوربا، مردّها لأدباء عصر النهضة وليس لرجالات الدين المسيحيين واليهود. فرجال القلم الغربيين اعتبروا دوما أن محمدا ﷺ اصطنع ديانة غير صحيحة، وأن الدين الإسلامي مرادف للعنف والاستبداد والكره، وما إلى غير ذلك من الآفات المتناقضة والقيم الغربية المسيحية. فمحمد ﷺ - كما يصفه دانت وفولتير وديدرو- يبدو شخصا مرعبا متعطشا للدماء، لا هَمّ له سوى الرفع من

عدد حريمه. ويعتبر طُورْ أن الاستشراق لعب دورا مهما في تصحيح الصورة من خلال تعريف الغرب بالإسلام، وترتب عن ذلك أن تقلصت مساحة الجهل والاندفاع. وعلى الرغم من أن شخصية محمد ﷺ ظلت إجمالا غير محبوبة، فإنها على الأقل أفرغت صورته من العديد من الكليشيهات التي لا تستند إلا للعداء الفطري للآخر. ويختم طُورْ كتابه، بالاعتراف بأنه مهما تناقضت الآراء واختلفت عمليات تقييم شخصية الرسول ﷺ، فإنه طبع تاريخ الإنسانية وأعطى للتاريخ توجها لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهله. إن الرجل في نظره عظيم وفق جميع المعايير.

الجلسة العلمية الثالثة

الاتجاهات الحديثة عند المستشرقين الألمان في الكتابة في السيرة النبوية

المتحدثون

- د. حسين تايتاي
- د. نور الدين بن مختار الخادمي
- د. سعيد المغناوي
- د. عبد العزيز انميرات

الإسلام والسيرة النبوية في ألمانيا بين مناهج الاستشراق وواقع المسلمين (المستشرق بيتر شول لاتور نموذجا)

د. حسين تايتاي[*]

المحاور

1. مقدمة عامة.
2. معالم وتطورات الواقع الإسلامي في ألمانيا.
3. مناهج الاستشراق الألماني في دراسة الإسلام.
4. المنهج اللاتوري ـ المستشرق بيتر شول لاتور.
5. توصيات.

1. مقدمة عامة:

أصبح الإسلام خلال العقد الأخير يحتل أهمية كبرى في حياة المجتمعات الغربية، إذ أصبح في كثير من الدول الأوروبية ـ مثلاـ يحتل المرتبة الثانية بعد المسيحية. وصاحَب هذا التطور، ظاهرة ازدياد المؤلفات والدراسات والبحوث المختلفة الصادرة في الغرب حول الإسلام والحضارة الإسلامية. وازداد بشكل ملحوظ عدد المستشرقين والكتاب والدارسين، أو بما يسمى حديثا بـ "**خبراء الإسلام في الغرب**"، أي من نسميهم بـ "**المستشرقين الجدد**". فقد يختلف البعض حول تسمية بعض هؤلاء الدارسين والكتاب بالمستشرقين حسب التعريف الكلاسيكي للاستشراق، إلا أنه ونظرا للمعايير الجديدة التي يخضع لها البحث العلمي في الغرب عموما، واتساع دراسات هؤلاء الباحثين، وتنوع اهتمامات مراكز الدراسات والبحوث التابعة لمختلف المؤسسات العلمية والفكرية والإعلامية، جعلنا نصنف بعض هؤلاء ضمن فريق المستشرقين.

---

(1) جامعة فرانكفورت ـ ألمانيا.

إن الحديث عن الاستشراق في ألمانيا، يكتسي أهمية بالغة بالنسبة للعلاقات التاريخية القديمة بين ألمانيا والعالم العربي. والمؤرخون المسلمون يشيرون إلى بداية هذه العلاقة في عهد الخلافة العباسية أيام هارون الرشيد، الذي كان يتبادل الهدايا والسفراء مع الإمبراطور شارلمان. ويشير المقري خلال تأريخه للأندلس في كتابه "**نفح الطيب**"، إلى حادثة لقاء الخليفة عبد الرحمن الناصر بموفد ورسول ألماني.

وتميزت الدراسات الاستشراقية في ألمانيا، بتأخرها في الظهور عن جاراتها كفرنسا وهولاندا وإيطاليا وإنجلترا. ولم ينهض الاستشراق في ألمانيا إلا بعد القرن السادس عشر، وذلك لعوامل تاريخية وسياسية معروفة، بحيث أن ألمانيا لم تكن لديها مستعمرات في العالم العربي والإسلامي، بالمقارنة مع الدول الأوروبية الأخرى.

لهذا اقتصر اهتمامهم في البداية على تعلم اللغة العربية، والتعرف على الحضارة العربية والإسلامية، ونقل الكثير من المخطوطات والكتب العربية وترجمتها إلى اللغات الأوروبية المختلفة، خاصة إلى الألمانية، وعلى سبيل المثال تحوي مكتبة برلين حاليا على حوالي عشرة آلاف مخطوط عربي.

وفي القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عرفت الدراسات الاستشراقية في ألمانيا ازدهارا واسعا على يد عدد من المستشرقين، أمثال : إدوارد زاخاو (1845- 1930 Edward Sachau)م، وكارل هاينرش بيكر Carl Heinrich Becker (1876-1933)م، وكارل بروكلمان (1868-1956 Carl Brockelmann)م.

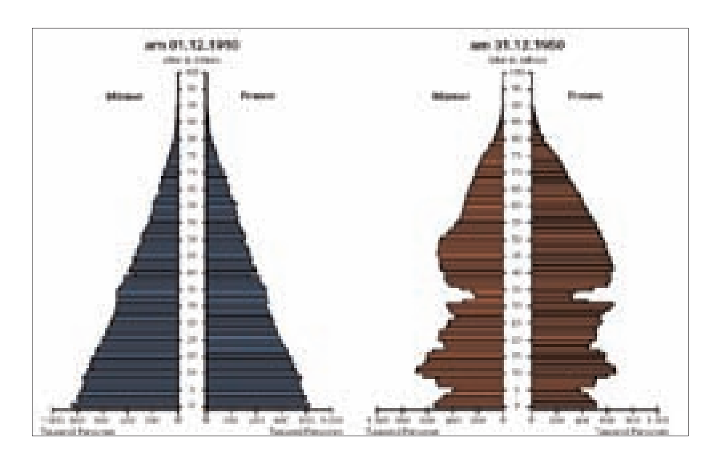
ومن أهم المستشرقين المعروفين : مارتن لوثر (1483-1546) -Martin Luther وكارل بروكلمان Carl Brockelmann (1868-1956) ـ وكارل هينريش بيكر Carl Becker (1876-1933) وجاكوب كريسمان Jakob Christmann (1554-1613) وغيرهم. ومن المعاصرين أودو شتاين باخ (Udo Steinbach– 1943) وبيتر شول لاتور Peter Scholl Latour (1924) وغيرهم... .

وهذه الفئة الأخيرة، اهتمت بدراسة الجاليات المسلمة في ألمانيا، أمثال الباحث بيتر شول لاتور.

2. معالم وتطورات الواقع الإسلامي في ألمانيا :

يرجع تواجد المسلمين في ألمانيا في أغلب الظن مع الحروب الصليبية؛ وتعاقبت عدة أجيال بعد ذلك وظهرت في بداية القرن السابق رحلات جماعية للمسلمين الأتراك

إلى ألمانيا، خاصة مع انهيار الإمبراطورية العثمانية؛ وتكثف هذا الوجود مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وتتابعت هجرة اليد العاملة المسلمة في الستينات والسبعينات من القرن العشرين بشكل ملحوظ، خاصة من تركيا ومنطقة جنوب البحر الأبيض المتوسط. ويصل عدد المسلمين في ألمانيا حسب إحصائيات 2006، إلى حوالي أربعة ملايين مسلم أغلبيتهم من أصل تركي.



الهرم السكاني للمجتمع الألماني

استقبال ألمانيا لهذه الهجرات المتتابعة، كانت رد فعل سياسي واقتصادي على اختلال توازن الهرم السكاني للمجتمع الألماني، الذي فقد خلال الحرب العالمية الثانية أكثر من اثني عشر مليون شخص، وبذلك عانت ألمانيا عجزا كبيرا في نقص اليد العاملة من جهة، ومازالت تعاني من شيخوخة المجتمع لكون النمو الديموغرافي يتميز بقلة الأطفال والإنجاب؛ وأصبح تواجد الأجانب يشكل بصفة عامة عامل توازن اقتصادي واجتماعي داخل المجتمع الألماني. وبذلك يكتسي تواجد المسلمين أهمية خاصة، لكونهم يشكلون غالبية الأجانب. ولهذا ركز معظم الدارسين والمستشرقين الألمان في العقود الأخيرة اهتماماتهم على الثقافة والحضارة الإسلامية، وغالبا بإيعاز من المؤسسات الرسمية للدولة، قصد إيجاد وسائل التعامل والتفاهم مع الأجيال المسلمة المختلفة، لاسيما وأن هذا التواجد الإسلامي يصادف رفضا كبيرا من طرف الشعب الألماني على غرار باقي الشعوب الأوربية الأخرى. إذ يعتبر المجتمع الألماني محافظا على العموم، فهو يدين بالديانة المسيحية ذات أغلبية كاثوليكية وأقلية بروتيستانتية. وكمعظم الدول الأوربية، تعاقدت الدولة الألمانية مع الكنيسة الكاثوليكية وتبنت

المسيحية كدين رسمي للدولة. وأصبح الإسلام من حيث العدد يشكل الدين الثاني في المجتمع الألماني بعد الكاثوليكية. أما المذهب البروتيستانتي، فيحتل المرتبة الثالثة.

وتتميز الجالية المسلمة عموما بتعدد اتجاهاتها المذهبية وانتماءاتها الفكرية. وحوالي 20 في المائة من الجالية المسلمة مؤطرة في جمعيات وهيئات ومجالس إسلامية، لهذا يركز الجيل الجديد من الباحثين والمستشرقين جهودهم في فهم تطورات وواقع الجالية المسلمة في ألمانيا، بدراسة ظواهر مختلفة من الفكر الإسلامي. كما يركزون على التطورات الاجتماعية والسياسية المصاحبة لتواجد المسلمين في هذه الديار، واعتمد هؤلاء الباحثون والدارسون مناهج مختلفة في دراسة الإسلام.

3. مناهج الاستشراق الألماني في دراسة الإسلام:

تختلف توجهات وخلفيات المستشرقين باختلاف انتماءاتهم وقناعاتهم ومدارسهم الفكرية، وكذا باختلاف أهداف وممولي هذه البحوث والدراسات. وذلك يظهر بشكل أكثر وضوحا، في مجالات الدراسات التاريخية والاستشراق عموما.

منذ البداية، كان الهدف هو دراسة الإسلام وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية. وفي هذا الجانب يختلف النقاد والباحثون حول نوايا الاستشراق، إلا أنه من المعروف أن الاستشراق لعب دورا مهما في دراسة ونشر والتعريف بالتراث الحضاري للمسلمين من جهة، وكذا من جهة أخرى ساهم في معرفة نقاط الضعف عند المسلمين وتشويه تاريخهم وانتقاد دينهم وتسهيل الاستعمار والسيطرة على العالم الإسلامي.

وغالباً ما لعب التكوين الفكري والمحيط التربوي دورا أساسيا في اعتماد مناهج وظهور مدارس استشراقية حديثة ومعاصرة جديدة.

فالمنهج المسيحي الريديكالي، منهج اعتمد الإسقاط المادي كما يرى البعض، لأنه كان ينتقد دائما الإسلام ويشوه حضارة المسلمين، أمثال المستشرق يوليوس فيلهاوزان (Julius Wellhausen (1876-1933م وأبراهام جايجر (Abraham Geiger 1810-1874)م. وهذا المنهج، ينطلق من المسيحية كأساس لتقييم مختلف البحوث والدراسات الاستشراقية.

أما المنهج المحافظ الأكاديمي بزعامة المستشرق الألماني المعاصر المعروف أودو شتاين باخ Udo Steinbach- مدير المعهد الشرقي بهامبورج، الذي يعتبر حاليا أشهر مدرسة استشراقية في ألمانيا، والذي يمكن تصنيفه ضمن هذه المدرسة

الأكاديميـــة المحافظة. ومن هؤلاء أيضا، نولدلكه Theodor Nldeke (1836 - 1930 م، ومارتن فورستنر(1940) Martin Forstner وهارتموت بوبزين 1946) Hartmut Bobzin. وهي لا تتبنى المبادئ المسيحية كأساس للدراسات الاستشراقية، كما هو في المدرسة السابقة.

أما المنهج العلماني السياسي، فيمثله أساسا المستشرق سيمون ديريج Simon Dierig وتيلمان ناجل Tilman Nagrel 1942 وهانز دايبر Hans Daiber مدير المركز الشرقي بجامعة فرانكفورت. ويسمي بعض الباحثين هذه المدرسة بالمنهج الفيلولوجي، باعتمادها على الدراسات الأدبية واللغوية.

هذه المدرسة تعتمد على تفسير كثير من القضايا الفكرية والحضارية للمسلمين على أساس سياسي، غير معتمدة على الدين كعامل محدد للحضارة الإسلامية.

المنهج الرابع هو المنهج الحواري الاجتماعي، الذي يعتمد إلى حد بعيد على الفكر السوسيولوجي الليبرالي كأساس لبحوثه ودراساته. وهنا تندرج مجموعة كبيرة من الباحثين والدارسين المعاصرين الذين يعتمدون على أسلوب الحوار الميداني، ومن هؤلاء باحث كولونيا المعروف ماركو شولر (1968) Marco Schller وتلمان ناكل (1942) -Tilman Nagel والكاتب الباحث المعروف بيتر شول لاتور الذي قضى حوالي ستين سنة من عمره متجولا في مختلف بلدان العالم الإسلامي. ونظرا لأهمية الرجل في البحث الألماني حول المسلمين، صنفناه في اتجاه خاص سميناه "المنهج اللاتوري"، نسبة إلى اسمه.

4. المنهج اللاتوري - المستشرق بيتر شول لاتور -

المنهج اللاتوري يعتمد على عدة ركائز أهمها :

- تصحيح النظرة الغربية للإسلام.

- إبراز قواعد القوة في الدين الإسلامي.

- يدراسة أسس بناء الحضارة الإسلامية.

- استعمال المنبر الإعلامي لنشر البحوث.

- استخدام منهج الحوار الميداني أي الدراسة الميدانية للعالم الإسلامي.

وهذا الاتجاه، اعتمد النظرة (الموضوعية) والنقدية للرؤيا الغربية للفكر العربي والإسلامي. ونجد بيتر شول لاتور في كثير من كتاباته وأبحاثه ينتقد الدراسات الغربية عن الإسلام والتراث الفكري والحضاري للمسلمين، ويشير إلى ضعف المسيحية وانهيار الحضارة الغربية أخلاقيا وروحيا، كما يشير إلى قوة الإسلام الروحية رغم بعض آراءه المردودة فيما يتعلق بانتشار الإسلام في العالم. وجنى الأستاذ شول لاتور لآرائه الجريئة هاته، كثيرا من النقد من الجانبين الإسلامي والغربي.

وضمَّن شول لاتور أفكاره في عدة كتب أهمها :

- **مأساة الفكر الغربي**
- **سيف الإسلام**
- **الحرب على الإرهاب يعني الحرب على الإسلام ؟**
- **أفغانستان فخ لروسيا**
- **أفريقيا الميتة**
- **الجزائر أزمة تهدد بالانفجار.**

5. توصيات

هذه المدارس والاتجاهات اختلفت نظرتها إلى القرآن الكريم والى السنة والسيرة النبوية، وكذا إلى تغيير وتحليل عوامل قوى الضعف في الحضارة العربية الإسلامية. لذلك أصبح الاستشراق واجهة الغرب نحو العالم الإسلامي. ففي غياب واجهة مقابلة ومماثلة مثل "الاستغراب"، يبقى العالم الإسلامي يعاني من نقص كبير في معرفة "ثوابت الفكر الغربي وأصوله". لذا ندعو إلى تأسيس قسم "الاستغراب" في الجامعات العربية والإسلامية.

البعد الأصولي والمقاصدي
في الكتابات الاستشراقية الألمانية

د. نور الدين بن مختار الخادمي(*)

المراد بالبعد الأصولي:

عبارة (الأصولي) هي عبارة تُنسب إلى أصول الفقه، باعتباره علما شرعيّا إسلاميا له مدلوله ومضمونه ومتعلّقاته، وغير ذلك.

وعلم الأصول كما يعرّفه العلماء، هو مجموع القواعد اللّغوية والشرعيّة (وتعرف بالقواعد الأصولية) الّتي يُتوصّل بها إلى استنباط الحكم الشرعي (الفقهي) من دليله الشرعي الجزئي (القرآن والسنّة)، عن طريق الاجتهاد والنظر في مجمل المُدركات الشرعيّة النصيّة والاجتهاديّة (القياس ـ الاستصلاح ـ الاستحسان ـ الاستصحاب ـ العرف ـ الذرائع سدّا وفتحا ـ مذهب الصحابي ـ عمل أهل المدينة ـ الاستقراء).

ومن العلماء من عرفه باختصار شديد، وبتعريف دالّ على وظيفته وأثره، وذلك بالقول: إنّ علم أصول الفقه هو علم الاجتهاد والاستنباط، أو هو علم الاستخراج، أي استخراج الأحكام الفقهيّة المتعلّقة بالقضايا والحوادث الحياتيّة.

أي أنّ أثر ونتيجة علم أصول الفقه هي بيان أحكام الشرع وإظهارها وتقريرها، في حوادث الحياة ونوازل الوجود، وفقا لمنهجيّة معروفة في هذا الصدد، تُعرف بمنهجيّة الاجتهاد والاستنباط المبنية على القواعد الأصولية بالأساس، وعلى بعض القواعد المنطقيّة والعقديّة والإسلاميّة بوجه عام.

وعبارة (البعد) هي الناحية أو العنصر أو المعنى الّذي يتكوّن منه علم معيّن أو مجال محدّد أو شأن ما.

(*) جامعة الزيتونة ـ تونس.

وعبارة (البعد الأصولي) يُراد بها المعنى الّذي يتّصل بعلم أصول الفقه الإسلامي، أي مجموع المعطيات والمعلومات الّتي تنتمي إلى علم أصول الفقه، والّتي يتمّ بموجبها بيان الجانب الأصولي أو الحقيقة الأصوليّة، سواء على صعيد المضمون المعرفي والمحتوى العلمي، أو على صعيد المنهج والأسلوب والكيفيّة، أو على صعيد العلاقة بالآخر العلمي والبيئي والحضاري، أو على صعيد الأثر الحضاري والعمراني والحياتي بوجه عام.

فالقول ـ مثلا ـ بالبعد الأصولي في مناهج التعليم، يرادُ به حضور علم أصول الفقه في مناهج التعليم، وشواهد ذلك وعناصره ومحتوياته ومناهجه، وغير ذلك ممّا يُدلّل على وجود هذا العلم واعتماده في هذه المناهج التعليميّة.

وقد تتفاوت مراتب وأحجام حضور علم أصول الفقه في مجال ما أو شأن بعينه، وذلك بحسب الظرف والغرض والحاجة والإرادة وغير ذلك ممّا يحقّق البعد الأصولي في مجاله وشأنه، وممّا يحدّده، مقدارا ونوعا وأسلوبا، وغير ذلك.

المراد بالبعد المقاصدي :

البعد المقاصدي هو الجانب المنتمي لمقاصد الشريعة الإسلاميّة، أو هو الجانب الّذي يظهر به العمل بهذه المقاصد، وتتجلّى به معالمها وشواهدها وعناصرها وآثارها.

ومقاصد الشريعة الإسلاميّة هي علم من علوم الدّين الإسلامي، وحقيقة شرعيّة إسلاميّة لها عناصرها ومكوّناتها ودلائلها وضروبها وشواهدها، ولها شروطها ومنهجها وأدواتها، وهي توصل إلى آثارها ونتائجها ودورها في مجالات حياتيّة وحضاريّة كثيرة.

وموضوع مقاصد الشريعة باختصار شديد المصالح والمفاسد، المصالح من حيث جلبُها وتحقيقُها، والمفاسد من حيث درؤها وتفويتها.

ولذلك اختُصر تعريف المقاصد بأنّها جلب المصالح ودرء المفاسد. واختُصر تعريفها أكثر بأنّها جلبُ للمصالح فقط، لأنّ درء المفاسد يتضمنُه جلب المصالح.

وتحيط وتتعلّق بالمصالح والمفاسد (باعتبارها موضوعا للمقاصد) أمور علميّة ومنهجيّة وتاريخيّة وواقعيّة تشكّل الإطار المعرفي الشرعي الّذي يحوي مقاصد الشريعة باعتبارها علمًا شرعيّا قائما بذاته، ودالاّ على كيانه، ومتصلاً بغيره من العلوم الشرعيّة وغيرها، وموصلا إلى آثاره وأدواره.

المراد بالكتابات الاستشراقيّة الألمانيّة:

الكتابات الاستشراقيّة، أو كتابات المستشرقين[1]، هي الكتابات المنصبّة على الاستشراق أو الواقعة في دائرة الاستشراق، باعتباره شأنا معرفيا، وصفة معرفيّة معاصرة تستهدف الشرق العربي الإسلامي (أو العالم العربي الإسلامي، أو الأمة الإسلامية)، في تاريخه وحضارته وثقافته وعلومه وفنونه وآدابه وعاداته وعمرانه وأحواله.

ويجدر التذكير في هذا السياق الإشارة إلى عدم تحقيق القول في تعريف الاستشراق وبيان حقيقته، وهل هو متجه إلى الشرق الإسلامي فقط أم إلى كلّ الأمّة الإسلاميّة في اتساعها الجغرافي والعالمي، وفي مختلف أطوارها وعصورها، وهل هو متناول لكلّ مكوّنات الحضارة الإسلاميّة ولكلّ البناء الإسلامي المعرفي والثقافي والبيئي، أم هو مقتصر على بعض علومها وشؤونها؟.

وهل هو يَسعى إلى تحقيق الأهداف المعرفيّة والحضاريّة المتصلة بخدمة المعرفة الإنسانيّة والوصول إلى الحقيقة العلميّة وتسهيل البحث وتحقيق التقارب والتواصل والتعايش الإنساني والحضاري، أم يسعى إلى تحقيق الأهداف الفكريّة والمذهبيّة والاحتلاليّة، عن طريق التشكيك في البنية المعرفيّة الإسلاميّة والكيان الحضاري الإسلامي، والدعوة إلى إقصاء الإسلام من واقع المسلمين وحياة الناس.

إنّ تحقيق الحقّ في هذه المسائل وفي غيرها يحتاج إلى ضرب من الاستقصاء والاستقراء والاستخلاص، وقد أفاض فيه الكثير من الكُتاب والمؤلفين والباحثين، وقد قرّروا نتائج مهمّة وحقائق مذهلة، تتصل في الأغلب الأعمّ برسم مناهج الاستشراق وعرض أعمال المستشرقين وبيان سماتها وخصائصها وحقائقها، ومن هذه الحقائق إجمالاً:

* استهداف الشرق في بعض علومه وفنونه، وفي بعض أطواره التاريخيّة والحضاريّة.

---

(1) تطلق كلمة (المستشرق) بالمعنى العام على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه. وبالمعنى الخاص، على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق الإسلامي. والمعنى الثاني هو الشائع. وأهم موضوعه: الإسلام وحضارته وفنونه وعلومه، وفي مقدمتها تاريخ حياة الرسولﷺ وسيرته (شخصية الرسول ﷺ، سعيد المغناوي، ص 613-614).

* تأثّر الأعمال الاستشراقيّة بالطابع الذاتي والمحلي للمستشرق، سواء أكان متصلا بالجانب الديني والعقدي والمذهبي، أم كان متصلا بالجانب التاريخي والحضاري والبيئي والحياتي المعاصر.

* غياب (كليا أو جزئيا) الرؤية المعرفيّة والتاريخيّة الإسلاميّة الدقيقة والجامعة والموضوعيّة [1]، والمنهجيّة من قبل لفيف كبير من المستشرقين، الأمر الّذي أدى إلى الوقوع في المغالطات والمخالفات العلميّة والمنهجيّة الكثيرة.

وتقييد الكتابات الاستشراقيّة (بالألمانيّة) يقصر هذه الكتابات على الدولة الألمانيّة الحديثة، في بعدها الجغرافي والتاريخي الحديث والمعاصر، وفي مدرستها الاستشراقيّة الّتي تعبّر عن خصوصيات معيّنة، كمّا ونوعًا وأسلوبًا ـ والحقّ كذلك ـ أنّ تحقيق القول في الكتابات الاستشراقيّة الألمانيّة يحتاج جهودًا جبّارة ومضنية، بحثا واستقراء وتقريرًا، وذلك لكثرة هذه الكتابات، وورودها في مدونات قد لا يُتاح الحصول عليها.

وسأكتفي في هذا السياق بالنظر في بعض الشواهد والمظان الّتي تعطينا صورة ولو أوليّة ـ عن طبيعة هذه الكتابات، وعن مدى الالتفات فيها إلى البعد الأصولي والمقاصدي.

ويكون من المفيد جدّا هنا، الإشارة إلى أنّ هذا البحث جدير بدراسته في رسالة علميّة جامعيّة جامعة، تُبنى على رصد وتتبع مجموع المعلومات والمظان العلميّة واستقراؤها وتقرير ما ينبغي تقريره. والله أعلم.

المعالم الإجمالية للكتابات الاستشراقية الألمانية

عدم الدراسة الأصولية والمقاصدية المتخصصة أصلا:

لم تتطرق هذه الكتابات الاستشراقية من حيث الإجمال والعموم إلى الدراسة المتخصصة في أصول الفقه، وفي مقاصد الشريعة، على غرار الكتابات المتعلقة بالتاريخ الإسلامي، وباللغة والآداب العربية، وبغيرها من المعارف والفنون، والتي كانت فيها الكتابات الاستشراقية كثيرة ومتنوعة ومتسمة بدقة أكثر وبإحاطة أشمل.

(1) باستثناء بعض المستشرقين الذين اتسمت مناهجهم بالإنصاف والموضوعية، ولكن بأقدار متفاوتة. ومن ذلك: ما قرره المستشرق نويل ج. كولسون إزاء حيوية وفعالية الإسلام، فقد ذكر بأنه يفترض أن النظام القانوني الإسلامي حي متفاعل، مطبق في المجتمع الإسلامي وقائم في ضمائر أفراده ـ (النظام القانوني الإسلامي في الدراسات الاستشراقية المعاصرة، العوا : 254 ـ 255).

وقد كان تطرق هذه الكتابات للأصول والمقاصد واقعا بكيفيات جزئية وسطحية وعرضية، وبغير ذلك مما لا يعطي الصورة الكاملة والتصور الواضح عن حقيقة هذين العلمين الشرعيين الجليلين، وعن آثارهما ودورهما في الواقع والحياة والبناء الحضاري والعمراني.

ومن ضروب هذه الكيفيات:

أولاً : التناول المكتبي الببليوغرافي الذي يورد بعض المؤلفات والكتب الأصولية والمقاصدية، ويعرّف بها ويبين بعض معلوماتها التي تساعد الباحثين وتحقق حاجاتها المكتبية والعلمية[1].

ثانياً : التناول المُتضمن ضمن تناولات علمية وشرعية أخرى، كتناول علم الفقه أو علم الحضارات الإسلامية، أو علم التاريخ الإسلامي، ففي هذه العلوم المدروسة من قبل أرباب الاستشراق يقع التناول بوجه وبطريقة ما بعلم الأصول وبعلم المقاصد. ولكن من غير بيان شاف، أو حتى بيان أدنى لإبراز حقيقة هذين العلمين.

ومن ذلك : إيراد بعض المعلومات الأصولية والمقاصدية أثناء بيان علم الفقه باعتباره الثمرة لعلم الأصول، وباعتباره مجموع الأحكام المشروعة لمقاصدها وغاياتها وأسرارها.

إيراد بعض هذه المعلومات أثناء بحث بعض قضايا اللغة العربية والحضارية، باعتبار كون هذه القضايا مرتبطة بوجه ما بعلم الأصول أو بعلم المقاصد، كتقرير كون الأصول علما أنتجته الحضارة الإسلامية، وكون المقاصد تُفهم من خلال وضع اللغة وسياقها، وغير ذلك.

ثالثاً : التناول المجتزأ والمبعض الذي يقتصر على بعض الأجزاء الأصولية أو المقاصدية التي لا تدرس القضايا والعناصر الأصولية والمقاصدية باعتبارها نظاما معرفيا شاملا ومتكاملا، أو باعتبارها حقائق شرعية

(1) ومن ذلك : (تاريخ الرسل والملوك) للطبري، وهو إنجاز كبير تعاون عليه عدد من المستشرقين من بلدان أوربية مختلفة. وتحقيق (مقالات الإسلاميين) من قبل المستشرق هلموت ريتر. وتاريخ الأدب العربي، وتاريخ الشعوب الإسلامية من قبل كارل بروكلمان -[لمحة عن تطور الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا، اصطفان:43.42.40.]

ومن الفنون التي درسها المستشرقون، علم الكلام، والتفسير، والفقه، والسيرة، والحديث - [المستشرقون والتراث، عبد العظيم الديب، ص 15-16]؛ والآداب والشعر - [لمحة عن تطور الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا، اصطفان، 42.41].

بمكوناتها وعناصرها وأدواتها ومرتبطاتها ومختلف مشتملاتها ومتعلقاتها.

رابعاً: التناول الشكلي والسطحي والظاهري الذي لا يدرس المفردات أو المصطلحات الأصولية والمقاصدية دراسة عميقة ودقيقة تعالج المعاني والمضامين والدلالات والآثار ومجمل الأجزاء والعناصر المكونة لحقيقة هذه المصطلحات والمفردات.

خامساً: التناول الإسقاطي، كإسقاط التأثيرات البيئية المعاصرة، والتناول التشكيكي، كالشك في المسلمات واتباع الظن، وعدم الثقة في علماء المسلمين وعامتهم[1]، والتناول الافتراضي، والذي يعتمد الضعيف الشاذ[2].

ومن ذلك: إعمال المنطق الوضعي في واقعة تكاد تستعصي على مقولات البيئة وتعليلات العقل الخالص[3]، والعمل على إخضاع الظواهر الدينية لقوانين الأجسام المادية المعروفة[4].

وجدير بالتذكير أن هذه الضروب من التناول والمعالجة لا يمكنها أن تشكل المطلوب العلمي الموضوعي والحقيقي، وإنما تؤدي في أحوال كثيرة إلى وقوع أنواع كثيرة من الخلل والخطأ والخلط، كالاتهام بالقصور والعجز عن المواكبة والمسايرة، وكإسقاط الأحكام والوقوع والتعسف في التقويم والتقرير، وكالتشكيك في الصدقية والموضوعية واليقينية، وغير ذلك.

(1) منهج مونتغمرى واط في دراسة نبوة محمد ﷺ، جعفر شيخ إدريس، ص 236-238.

(2) شخصية رسول الله ﷺ بين تصوير الوحي وتصورات الدارسين، سعيد المغناوي.

(3) **المستشرقون والسيرة النبوية**، عماد الدين خليل، ص193.

(4) منهج مونتغمرى واط في دراسة نبوة محمد ﷺ، شيخ إدريس، ص236-237-238 .

الدراسة المشبوهة والمشوهة للأصول والمقاصد

ربما وقع لفيف كبير من المستشرقين في هذا النوع من الدراسة (المشبوهة والمشوهة) بسبب غياب الدراسة الموضوعية المتخصصة. والاشتباه هنا معناه الوقوع في دائرة الشبهات العقدية، أو الشبهات الاحتلالية والاستكبارية، أو الشبهات البيئية والمعرفية والتارخية.

أما التشويه فمعناه السعي إلى إيقاع طائفة من التشويهات والمغالطات والتحريفات والاختراعات التي تستهدف الإسلام ـ دينا وحضارة وتاريخيا وواقعا، وتستنزف كيانه ومنظومته، وتستفز أهله وأتباعه.

ومعلوم ـ قديما وحديثا ما للاستشراق في أغلب أطواره وأكثر أنصاره من دوافع مشبوهة وخلفيات مغرضة ومنطلقات خطيرة ومدمرة للفكر والحضارة والتشريع والأخلاق والأمن في عالم المسلمين.

ومن قبيل هذا الاشتباه والتشويه، الإقبال على الدراسات المتصلة بالأصول والمقاصد، كالدراسات الفقهية، أو دراسات السنة والسيرة، أو الدراسات التاريخية والحضارية بوجه عام، وذلك بهدف وضع الشبهات والمزاعم والأباطيل التي تشكك في صلاحية التشريع، وفي تحضر المسلمين وفي مجدهم التاريخي.

من أمثلة ذلك :

* اعتبار المقاصد الشرعية مصالح إنسانية تحددها العواطف والنزوات والأمزجة، وأنها لا ضوابط ولا قيود لها، وأنها مختلفة باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال. وهذا كله ينفي عنها طابع الاطراد والانتظام والدوام، وينفي عن تشريعها الديني واجتهادها الفقهي القداسة والصلاحية والمعقولية، ويحشرها ضمن التشريعات والأنظمة العادية التي تتراوح بين النجاح والإخفاق، وبين الصعود والهبوط.

* اعتبار الأصول الفقهية أصولا مضطربة ومتغيرة ليس فيها ثبات ولا دوام ولا يقين[1] فالعرف مثلا ـ وحسب زعمهم ـ ليس سوى تحكيم لعادات الناس

(1) ومن ذلك اعتبار عمل أهل المدينة مقدما على الحديث عند التعارض. وأن الحديث لا يعتبر عند مالك، فهو مردود أمام العمل عند التعارض، وأن مالكا يضع نفسه مشرعا عند انعدام الخبر والإجماع المدني ـ (المذهب المالكي في **دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص25).

المتغيرة، وهذه العادات هي مجمل سلوكياتهم وتصرفاتهم المباحة والمحرمة، والحسنة والقبيحة، والطيبة والخبيثة. فيعتبر معظم المستشرقين أنّ الأخذ بالأعراف والعادات السائدة سحب لبساط الشرع[1]. ويجعلون من الأعراف سبيلا للطعن والتشويه وتمييع الحقائق واتهام المسلمين بأنهم اتخذوا لأنفسهم عادات وأعرافا تتناقض وأحكام الشريعة، بل أكثر من هذا نجد من المستشرقين من يقرر بأن كثيرا من القبائل البربرية بدول شمال إفريقيا تعتنق عادات وأعرافا لها أصول وثنية أو جاهلية[2].

بعض مظاهر الدراسة المشبوهة والمشوهة للأصول والمقاصد

* نفي قدسية القرآن الكريم وخاصياته الإعجازية وصلاحياته التربوية والتشريعية والحضارية[3].

ومعلوم أن هذا النفي يؤول إلى نفي كل ما يترتب على القرآن الكريم من أحكام وحقائق وعلوم وفنون وحضارة وتقدم في كل مجالات الحياة. ومعلوم أن أصول الفقه ومقاصد الشريعة قد تأسست على المرجعية الإسلامية التي يشكل القرآن الكريم أحد أسسها ودعائمها الرئيسة.

* نفي النبوة والرسالة المحمدية في الحقيقة والجوهر، وإن كان يطلق على رسول الله ﷺ صفة الرسول أو النبي، ولكن مع إفراغ محتوى الرسالة من مضمونها وجوهرها، كتلقيه الوحي الرباني، واتصافه بالعصمة والاصطفاء، وإكرامه بالمعجزات والفضائل الخاصة.

وهذا معروف عنه عدد غير قليل من المستشرقين الذين درسوا شخصية الرسول ﷺ وحياته وسيرته، فقد درسوها في إطار بشري عادي، أو إطار بشري عبقري واستثنائي، لا يخرج من دائرة الإنسانية المألوفة.

---

(1) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 28..

(2) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 27.

(3) كما أنكر بروكلمان الوحي، وزعم أن القرآن الكريم كلام محمد ﷺ (**دراسات في السيرة النبوية**، محمد سرور بن نايف زين العابدين، ص 131-132-133، وقد نقل عن **تاريخ الشعوب الإسلامية**). ووقع كذلك ـ التشكيك في أصالة القرآن، وفي الوحي (شخصية الرسول ﷺ، سعيد المغناوي، ص869).

وفي هذا سلب لأهم خاصية نبوية محمدية تتصل بكونه رسولا من ربه تعالى، يوحى إليه ويبلغ عنه، وهو الرحمة المهداة إلى العالمين. قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا **رحمة للعالمين**﴾[1]. ولا شك أن نفي هذه الخاصية هو طريق لنفي خصائص الوحي الذي جاء به، ومن ذلك قداسته وصلاحيته وأهليته لإصلاح الناس والحياة والكون.

* التشكيك في الإسلام واعتباره غير قابل للتطبيق، ويبدو هذا موجودا عند شاخت وجولدزيهر، وغيرهما[2].

* التشكيك في السيرة والسنة النبوية، وهذا التشكيك يؤدي إلى ضرب الأصول والمقاصد التي استُخلصت من خلال سيرته ﷺ وسنته وسائر بياناته وتبليغاته.

ومن قبيل ذلك : التشكيك في كتب السنة، ككتاب الموطأ الذي يُعد أحد الكتب السنية المعتبرة، وفضلا عن كونه كتابا فقهيا، فقد وجهت إليه طائفة كبرى من التشكيكات في نسخه وأسانيده ورواته وغير ذلك، فقد زعم كارل بروكلمان أنه لم يبق من روايات الموطأ سوى روايتين اثنتين، رواية يحيى بن يحيى الليثي ورواية محمد بن الحسن الشيباني. وهذا خطأ واضح في التوثيق، وتوجد روايات أخرى، كرواية القعنبي، وجزء من رواية علي بن زياد التونسي، وقطعة من رواية ابن القاسم ورواية سويد بن سعيد، وجزء من رواية أبي مصعب الزبيري[3].

* التشكيك في الليث بن سعد بوصفه شيخا للإمام مالك، وهو طعن للحديث الذي رواه مالك عن الليث[4].

* الجهل بالمخطوطات، ومثال ذلك، مما ذهب إليه بروكلمان عندما ذكر أنه لم يبق من روايات الموطأ سوى اثنتين، رواية يحيى بن يحيى الليثي ورواية محمد بن الحسن الشيباني[5].

---

(1) سورة الأنبياء، الآية 107.

(2) **النظام القانوني الإسلامي**، العوا، ص 254 – 295 .

(3) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 21.

(4) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 19.

(5) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 21.

* التشكيك في جيل الصحابة، وفي مروياتهم، وأخلاقهم. ومن ذلك: إنكار الصحابة، واتهام السيدة عائشة، وتمجيد المرتدين[1].

ومن ذلك ـ كذلك ـ محاولة قلع جذور الشريعة الإسلامية، والقضاء على تاريخ التشريع الإسلامي قضاء تاما، والسعي لهدم القرون الذهبية للأمة الإسلامية، ويلاحظ هذا في كتاب شاخت[2].

ويهدف هذا التشكيك في جيل الصحابة إلى التشكيك في الروايات والنقول الشرعية التي بني بها الدين الإسلامي والتي كانوا قد رووها.

* التشكيك في رواة السنة النبوية، وجملة آثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، كاتهام الرواة بالكذب، كالزهري الذي اتهم بأنه كان مستعدا لأن يضع الأحاديث لبني أمية[3].

* التشكيك في اللغة العربية، وهو ضرب للغة القرآن والانتقاص من الإنسان العربي وكونه بدويا فردي النزعة مفرط الأنانية[4].

* التشكيك في التاريخ الإسلامي وحضارة المسلمين وعطائهم الإنساني وإنتاجهم العمراني، كاعتبار هذا التاريخ تاريخ نزاعات وصراعات على السلطة والجاه، واعتبار الحضارة في بعض أطوارها على الأقل ـ حضارة مجون وفساد[5].

أسباب الخلل في الكتابة الاستشراقية في الأصول والمقاصد

أولاً: عدم الدراية الكافية والمعرفة الجامعة بحقيقة علمي الأصول والمقاصد، ومعلوم أن معرفة هذين العلمين ليست متاحة لكل الناس، ولا حتى لبعضهم ممن لم يتخصص فيهما ويقبل عليهما، كأي تخصص علمي، وذلك لما تقتضيه هذه المعرفة من العلم الشرعي، والعلم اللغوي، والعلم التاريخي والسياقي، والوعي بمعطياته الحضارية والعصرية.

(1) **دراسات في السيرة النبوية، محمد سرور بن نايف زين العابدين،** ص 134 ـ 138.

(2) **المستشرق شاخت والسنة والنبوية**، محمد مصطفى الأعظمي، ص 68.

(3) **المستشرقون والتراث**، عبد العظيم الديب، ص 29.

(4) **دراسات في السيرة النبوية**، محمد سرور بن نايف زين العابدين، ص 128، وقد نقل عن **تاريخ الشعوب الإسلامية**.

(5) **المستشرقون والتراث**، عبد العظيم الديب، ص 12ـ 20 ـ 22.

وقد يكون هذا متعذرا لكثير من المستشرقين، بسبب اللغة المتخصصة، وبسبب الجهل بالعلوم الفقهية والأصولية والمقاصدية، وعدم الدراية الدقيقة بحقيقة الدين الإسلامي وطبيعة حياة المسلمين وحضارتهم.

ويلاحظ أن هناك قلة من المستشرقين قد درسوا الفقه وفروعه ومعظم المستشرقين يرون أن الفقه الإسلامي بال، وغير صالح للتطبيق في كل زمان ومكان[1]. وأن الشريعة تقع إلى حد كبير خارج نطاق الدين، وأن هناك جزءا غير قليل من الفقه الإسلامي مأخوذ من شرائع اليهود والكنيسة وديانات أخرى[2].

كما كان الفقه يعتبر أمرا تشريعيا قديما، لم يعد له دور في غير العصور الأولى التي تنزل فيها.

ومن أمثلة ذلك: الجهل بالحجر الأسود، فهو ليس ركنا أو واجبا[3].

كما يُلاحظ أن من اعتنى بالفقه فقد اعتنى ببعض مذاهبه أو بعض أقوال المذهب الواحد أو بعض مفرداته وأبوابه ومسائله، كتناول المذهب المالكي وبعض مصادره، كبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد، ومختصر خليل، وكتناول المذهب الحنفي أكثر بحكم القوة العثمانية[4]، وكالعناية بمباحث المرأة والزواج[5]. ومعلوم أن قلة الدراسة الفقهية مظنة قلة الدراسة الأصولية والمقاصدية، للارتباط الوثيق بينهما.

ومن ضروب ضعف الدراسة الأصولية واختلالها، التشكيك في إحدى أركان الأصول، كالتشكيك في مصدر من مصادر الاستنباط " **الكتاب والسنة والإجماع..**"، أو التشكيك في عَلم من أعلام الأصول، كالإمام مالك بوصفه عالما أصوليا دَوّن مذهبا فقهيا معلوم الأصول والمقاصد والخصائص، أو التشكيك في مدونة من المدونات الأصولية، أو من المدونات الفقهية أو الحديثية، أو غيرها التي لها صلة بعلم الأصول بوجه من الوجوه.

(1) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 3.

(2) **المستشرق شاخت والسنة النبوية**، محمد مصطفى الأعظمي، ص 69 ـ 70.

(3) **دراسات في السيرة النبوية**، محمد سرور بن نايف زين العابدين، ص 129.

(4) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 8.7.

(5) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 6.

ويمكن أن نورد بعض التفاصيل التالية: لبيان بعض الأوجه التي تبرز ضعف التناول الأصولي والمقاصدي لدى المستشرقين.

* التشكيك في الرسول ﷺ[1] بمختلف صور ذلك[2]، وهذا يؤدي إلى التشكيك في المصدرية التشريعية.

* التشكيك في الحديث نفسه، كما تحدث جولدزيهر عن حديث : (يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدوا عالما أعلم من عالم المدينة)، فحكم عليه بأنه من وضع المالكية الذين أرادوا أن يضفوا هالة من التقديس والمكانة على إمامهم[3].

وكما يرى أن السنة النبوية حصيلة خصومة قائمة بين المحدثين والفقهاء، وأنها بالتالي لا تمت إلى النبي ﷺ فالشريعة خارجة عن نطاق الدين، وما دام الأمر كذلك حسب رأيه فلا يضر المسلمين في شيء استيراد القوانين الوضعية الغربية[4].

* التشكيك في أصل من الأصول، كاعتبارهم عمل أهل المدينة مقدما على الحديث، وهذا قد يفيد تقديم العقل والعرف على الدين والنص، واعتبار شاخت الفقه شيئا واحدا من حيث القطع والظن، أو من حيث الاتفاق والاختلاف، فهناك كما هو معلوم ـ الفقه القطعي أو الأحكام المتفق عليها، وهناك الفقه الظني والاحتمالي أو الأحكام الاجتهادية المختلف فيها بحسب الاختلاف في الزمان والمكان والحال.

ولا شك أن هذا الجهل مفض إلى ضلالات فكرية وسلوكية كثيرة.

وهذه الدعاوى مردود عليها، إذ إن عمل أهل المدينة هو بمثابة رواية جماعة عن جماعة عن رسول الله ﷺ، وهو خير من رواية واحد عن واحد، كما قال ربيعة الرأي. وقد نسب إلى الإمام مالك قوله : (إذا صح الحديث فهو مذهبي)، وهذا يفيد اعتداد الإمام مالك بالحديث، كما أن تقديم العمل على الخبر راجع إلى نوعي العمل، هل هو نقل أم

(1) **المستشرقون والتراث**، عبد العظيم الديب، ص 31.

(2) كنفي العصمة عنه ﷺ، وتنسيب رسالته إلى العبقرية والاقتباس من الأديان السابقة والحالة النفسية وغيرها.

(3) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 15، والحديث يرد ذكره في الكثير من الكتب حتى أنه ذاع واشتهر ـ (**المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 16).

(4) **مؤرخو الفرنجة والسيرة النبوية**، حمادي اليوسفي، ص 196.

اجتهاد ؟ فإذا كان نقلا فهو في حكم المتواتر والآحاد لا يعارض المتواتر، وأما إذا كان اجتهادا فالنص يقدم عليه[1].

كما أن عمل أهل المدينة هو عمل مقرر عند من سبق مالكا، قال به عمر بن الخطاب وقال به عمر بن عبد العزيز، فمالك لم يبتدع هذا المصدر، وإنما سلك سبيلا قد سبقه إليه غيره من التابعين وأهل العلم ولكن قعد له قواعده فاشتهر به هو[2].

* التشكيك في شخصية الإمام مالك بوصفه محدثا وفقيها، وبوصفه أصوليا ومقاصديا. ومن ذلك: نفي تلقيه عن أكابر علماء المدينة، كابن هرمز، وأبي زناد، وابن شهاب، ونافع، وربيعة الرأي، وغيرهم[3]. فقد شكك جوزيف شاخت الألماني في عدد من شيوخ مالك، وكون الإمام مالك قد أخذ عنهم، وخاصة ربيعة الرأي، وذهب جولدزيهر إلى القول بأن مالكا لم يكن محدثا ما دام لم يعتن بالأسانيد، واتهمه بأنه كان مبالغا في الإهمال واللامبالاة عندما يتعلق الأمر بمعالجة الأحاديث على مستوى السند[4].

* التشكيك في أحد المصادر الأصولية، فقد زعم جوزيف شاخت أن اختلاف روايات الموطأ منفذ للتشكيك في صحة الروايات المتنوعة في نسخ الموطأ، فهذه النسخ متباينة كثيرا، وهذا يفسر باللامبالاة التي كانت تطبع مسألة الرواية الحرفية والأمينة للنصوص فضلاً عن إعطاء حرية واسعة لأولئك الذين يتحملون الرواية[5].

وزعم كثير من المستشرقين، منهم بروكلمان في "**تاريخ الأدب العربي**" وجولدزيهر في "**دراسات محمدية**"، وغيرهما أن موطأ مالك كتاب فقه وليس كتاب حديث.

لذلك لم يذكر بروكلمان كتاب الموطأ في كتب الحديث، بل أورده في كتب الفقه. ويعزز هؤلاء رأيهم بالأسباب التالية :

(1) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 26 ـ27.

(2) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 25 .

(2) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 18.

(3) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 12.

(4) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 21.

(5) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 10.

* كون الموطأ لا يعد من كتب السنة.

* كونه يذكر فتاوى الفقهاء ويعتمد على العمل المدني.

* عدم اعتباره لقيمة الإسناد.

والرد هو، أن الموطأ متقدم على الكتب الستة، ولذلك لم يجعل ضمن هذه الكتب. وذكر ابن العربي والدهلوي أن الموطأ ينبغي أن يوضع في الرتبة الأولى مع الصحيحين[1].

كما قد ثبت أن مالكا أخذ عن ربيعة والحق أن هذا الادعاء باطل.

ولكن هذا لا ينبغي أن يغفل أن بعض المستشرقين قد درسوا كتاب الموطأ، على مستوى اختلاف رواياته، وعلى مستوى تحليل بعض معطيات أبوابه الفقهية، كالبيوع[2].

ثانياً : العمل على تغييب مدلولي وأثري علمي الأصول والمقاصد، لما لهما من الفوائد المهمّة في قيام الأداء الشرعي والتحضّر الإسلامي، فعلم الأصول يشكّل الإطار الدليلي الاجتهادي والاستنباطي، وعلم المقاصد يشكّل الإطار الغائي الفلسفي للتشريع والفقه.

وقد يُعبر هذا التغييب عن طبيعة الإقصاء للإسلام من حياة الناس، والتشويش أو التشويه للنظام التشريعي، والمسار الاجتماعي، ومسلك النظر والتطوير وإيجاد الحلول ولبيان الأحكام وتحديد المخارج لمشكلات الواقع ونوازل الحياة.

ثالثاً : التعصّب للذات والتحيّز للمذهب، والحرص على استقرار تفوّق النظام القانوني والتشريعي في بلاد المستشرقين، وهو ما يُفسّر وقوع البخس والغبن للنظام التشريعي الإسلامي بتشويهه وتحريفه، وبالتركيز على بعض تطبيقاته غير السويّة، وبإلحاق الأباطيل والمغالطات والتعسفات به، وبإلصاق حالة الجمود والركود والرجعيّة والضلاميّة بأهله وأنصاره وحضارته.

(1) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 11-12.

(2) **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، ص 5.

لكلّ قاعدة استثناء

ليس المستشرقون على وضع واحد، فهم مختلفون، ومتفاوتون.

وما ذكرناه بخصوص التناول المشبوه والمشوّه والمتآمر لعلم الأصول والمقاصد، ولمختلف فنون وعلوم الإسلام وحضارة المسلمين، فهو يعمّ لفيفا كبيرا من المستشرقين في أوروبا وأمريكا وإسرائيل، ولكن هناك من المستشرقين الذين يتفاوتون كذلك - في مدح الإسلام وإنصاف أهله.

المأمول من الكتابات الاستشراقيّة تجاه الأصول والمقاصد

ينبغي أن تراعي الكتابات الاستشراقية في علمي الأصول والمقاصد أمرين أساسيين :

* التحلي بالموضوعية والمنهجية والصدقية في الطرح، دون التحامل والتعصب والفكر المسبق.

* الفهم الكامل لعلمي الأصول والمقاصد، وما يتعلق بهما من فنون ومعارف، كاللغة العربية والثقافة الإسلامية. ويمكنهم تحصيل هذا عن طريق الدراسة المتخصصة، وعن طريق المحاورات مع أهل العلم الشرعي وأرباب الشأن الإسلامي الدقيق والأمين.

وقد يقول القائل بأن هذا المأمول غير مأمول، بالنظر إلى طبائع المنهج الاستشراقي وأهدافه وخلفياته، إذ لا يُنتظر من هؤلاء المستشرقين أن يكتبوا ما يتجلى به النظر الأصولي والمقاصدي الدقيق والعميق والأمين. غير أن هذا القول لا ينبغي أن يكون على إطلاقه، إذ يمكن أن يقيد بوجود بعض المستشرقين المنصفين والموضوعيين الذين قد يكتبون ما يكون صحيحا أو قريبا من الصحة بخصوص علمي الأصول والمقاصد، ولاسيما عند دراستهم للعلوم المتصلة بهذين العلمين، كعلم السنة والسيرة، والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية واللغة العربية.

المصادر والمراجع

- **حول شخصية النبي ﷺ، مستشرقون**، موقع العكر بشبكة الإنترنت www.eker.nstemp.com/sharq2.htm

- **دراسات في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز**، مجموعة من الأساتذة والباحثين، مطبعة أميمة، فاس، المغرب الأقصى، الطبعة الأولى سنة 1427هـ/2006م.

- **دراسات في السيرة النبوية**، محمد سرور بن نايف زين العابدين، دار الأرقم، المملكة المتحدة، ط. ثانية سنة 1408-1988.

- **دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب في الرؤية الاستشراقية**، ناصر بن إبراهيم التويم، بحث منشور بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد التاسع والعشرون، محرم 1421، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- **شخصية رسول الله ﷺ بين تصوير الوحي وتصورات الدارسين**، سعيد المغناوي، ترجم مقدمته إلى اللغة الفرنسية الأستاذ الحاج أحمد إدريسي، الطبعة الأولى سنة 1424هـ ـ2003م، مطبعة آنفو ـ برانت، فاس، المغرب الأقصى.

- **المذهب المالكي في دراسات المستشرقين المعاصرين**، حسن عزوزي، بحث بمؤتمر القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي المنعقد بدبي خلال الفترة13-19 محرم 1424هـ، 16-22 مارس 2003.

- **المستشرق شاخت والسنة النبوية**، محمد مصطفى الأعظمي، بحث بكتاب **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م.

- **المستشرقون والتراث**، عبد العظيم ديب، ط. الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الثانية، سنة 1408-1988م.

- **المستشرقون والسيرة النبوية**، عماد الدين خليل، بحث بكتاب **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م.

- **منهج مونتغمرى واط في دراسة نبوة محمد** ﷺ، جعفر شيخ إدريس، بحث بكتاب **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م.

- **مؤرخو الفرنجة والسيرة النبوية**، رسالة لنيل دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية بجامعة الزيتونة بتونس، إشراف محمد الحبيب ابن الخوجة، إعداد حمادي اليوسفي، جامعة الزيتونة، 1409هـ - 1987م.

- **لمحة عن تطور الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا**، اسطفان جيلد، مقال بكتاب **الدراسات العربية الإسلامية في بعض البلاد الأوروبية**، جامعة بيروت العربية، سنة 1973.

- **النظام القانوني الإسلامي في الدراسات الاستشراقية المعاصرة**، العوا محمد سليم، بحث بكتاب **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م.

رسول الله صلى الله عليه وسلم
في تصور المستشرقة الألمانية آن ماري شيمل

د. سعيد المغناوي[*]

يهدف هذا البحث إلى :

1. التعريف بأحد أقطاب الاستشراق الألماني المنصف، وهي الدكتورة والسيدة الألمعية آن ماري شيمل.
2. التعريف بأهم كتاب لها ألفته عن النبي ﷺ، وهو كتاب "**وأن محمدا رسول الله**".

ترجمتها[1].

ولدت في مدينة إيرفورت الألمانية عام 1922. وبدأت تتعلم اللغة العربية في سن مبكرة، فحصلت على درجة الدكتوراه في الاستشراق من قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة برلين سنة 1941 عن "دور الخليفة والقاضي في مصر الفاطمية والمملوكية".

وبعد ذلك بسنوات قليلة، حصلت على درجة الأستاذية في العلوم الإسلامية من جامعة "ماربورغ" حول موضوع : "الطبقة العسكرية في عهد المماليك".

كما حصلت سنة 1951 على درجة دكتوراه ثانية في تاريخ الأديان من ماربورغ نفسها.

وفي السنوات ما بين 1946-1953، اشتغلت بالتدريس في قسم اللغة والآداب العربية والعلوم الإسلامية في جامعة ماربورغ.

(*) كلية الآداب سايس ـ فاس.

(1) مجلة فكر وفن، العدد 63، السنة 1996، ص 17.4.

ثم رحلت إلى أنقرة للتدريس بجامعتها، بعد تلقيها دعوة من كلية الإلهيات.

وشغلت منصب أستاذة في جامعة بون بين 1961 و1967، ومستشارة لشؤونها العلمية في مجال الدراسات الإسلامية.

بعدها انتقلت لجامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، لتعمل كأستاذة لعلوم الثقافة الإندو-إسلامية لما يزيد عن خمسة وعشرين عاماً، أي ما بين 1967 و1992.

وعملت كأستاذة زائرة في جامعات أخرى؛ مثل جامعة نيودلهي في الهند، والمجلس الأمريكي للعلوم، وجامعة "إيوا" في نيويورك، ومعهد الدراسات الإسماعيلية في لندن.

وأشرفت على تحرير مجلة "**فكر وفن**" الصادرة عن مكتب العلاقات الخارجية الألماني، لمدة تقارب العشر سنوات؛ وهي مجلة علمية، نشرت من خلالها الكثير من أبحاثها عن الأدب الإسلامي.

وقامت برحلات كثيرة إلى البلدان الإسلامية، مثل المغرب الذي زارته سنة 1996م. وقد حصل لي شرف الاستماع إلى محاضرتها آنذاك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، عندما حلّت بمدينة فاس.

وإلى جانب إتقانها لمعظم اللغات الأوروبية، أتقنت المفكرة الألمانية بطلاقة: العربية والتركية والفارسية والأوردية.

وحصلت خلال حياتها على أرفع الأوسمة والجوائز من داخل ألمانيا وخارجها، منها:

* جائزة "فردريش ركارت" الألمانية سنة 1965.
* ووسام القائد الأعظم لجمهورية باكستان الإسلامية سنة 1966.
* ووسام الاستحقاق الألماني من الدرجة الأولى سنة 1982.
* وجائزة ليفي ويلافيدا من جامعة كاليفورنيا سنة 1987.
* وجائزة هلال الامتياز سنة 1989، وهو أرفع وسام تمنحه الحكومة الباكستانية.
* ودكتوراه فخرية من جامعة أوبسالا بالسويد، سنة 1989.
* ودكتوراه فخرية من جامعة طهران بإيران سنة 1990.
* وميدالية لوكاس من جامعة توبنغن سنة 1993. وقد منحت لها، تقديرًا لأعمالها التي تدعم الفهم الصحيح للديانات الأخرى.

وفي عام 1995 حصلت على جائزة السلام التي منحها إياها اتحاد الكتاب الألمان.

كما حصلت على وسام الاستحقاق الأول من الرئيس الألماني الأسبق "ريتشارد فون فايتسكر" تقديرا لإنجازاتها ودورها في تقريب الإسلام وثقافته من المجتمع الألماني.

ثم حصلت على وسام الاستحقاق كذلك من الرئيس محمد حسنى مبارك سنة 1996.

وفي ألمانيا كرمها المجلس الأعلى للمسلمين عام 1998 في احتفال خاص، ضمن مجموعة أخرى من الشخصيات الأوروبية المسلمة، ضمت الدبلوماسي والمفكر الألماني المسلم مراد هوفمان والداعية البريطاني يوسف إسلام.

وتكريما لها أيضا، أطلقت باكستان سنة 1982، اسم أنه ماري شيمل على أحد شوارع مدينة لاهور.

واحتفالاً بعيد ميلادها الخامس والسبعين، تم إطلاق اسمها على معهد العلوم الشرقية في جامعة بون.

وقبل رحيلها بأربعة أشهر، منحتها جامعة الزهراء الإيرانية درجة الدكتوراه الفخرية؛ تقديرا لجهودها في خدمة الإسلام.

وإضافة إلى كل ما سبق ذكره، فقد تقلدت آن ماري شيمل مناصب ثقافية مهمة:

* ترأست من 1970 إلى 1990 الجمعية الدولية لعلم الأديان المقارن.
* وعُيِّنت رئيسة للمنتدى الألماني الباكستاني، ورئيسة لجمعية إقبال الأوروبية.
* وكانت عضوة فخرية في الجمعية الألمانية الشرقية، والجمعية الأمريكية لدراسات الشرق الأوسط، والجمعية الأوروبية للدراسات الإيرانية.

ووافتها المنية في أحد مستشفيات بون، في أواخر شهر يناير من سنة 2003، عن عمر يناهز الثمانين سنة.

مؤلفاتها

كتبت عشرات الكتب، ومئات الأبحاث والدراسات والمقالات. كتبت على سبيل المثال: عن الإسلام، وعن الرسول ﷺ، وعن تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، وعن الصوفية والفكر الصوفي، وعن الشعر العربي والفارسي والتركي، وعن الخط العربي، وعن الحياة المعاصرة للمسلمين.

وقامت بترجمة كتب عربية عدة إلى اللغة الألمانية. وترجمت كذلك الكثير من الشعر الصوفي، خصوصاً جلال الدين الرومي، ومحمد إقبال، والحلاج، وميرزاً أسد الله غالب، والعطّار.

ومن بين مؤلفاتها التي تقارب المائة، نذكر على سبيل المثال :

1. كتاب (أحلام الخليفة : الأحلام وتعبيرها في الثقافة الإسلامية).

الصادر بميونخ عام 1998. أما طبعته العربية فصدرت عن منشورات الجمل سنة 2005.

وقد قال المترجمون (حسام الدين جمال بدر ومحيي الدين جمال بدر وحارس فهمي شومان ومحمد إسماعيل السيد) في تقديمهم للكتاب، أنه يتفق مع كتب تفسير الأحلام المعروفة في المصادر العربية، في أنه يقدم في كثير من الأحيان ما قاله المفسرون العرب والمسلمون في تأويل رؤى المنام؛ لكنه يتميز عنها، بأنه يشير إلى دلالات بعض الأمور العصرية التي قد تظهر في الأحلام، ويشير كذلك إلى إسهام الأحلام في تأليف كثير من الأعمال الأدبية القديمة والحديثة. ويختلف كتاب شيمل هذا عن الكتب التي ألفت في الأحلام، في أنه جاء بحيثيات جديدة تماما. لقد قدمت فيه قصص المنام في ثوب جديد؛ وأول ما يمكن إبرازه من هذا التجديد، هو معالجتها لموضوع حكايات الأحلام التي تغلب عليها صبغة القصص الشعبي معالجة أكاديمية منظمة تنظيما موضوعيا. وبما أنها قد اختارت منذ البداية تناول موضوع الأحلام في ثوب أكاديمي، فقد دفعها ذلك إلى تقسيم كتابها إلى أبواب عشرة، لم تنطلق في تحديد مواضيعها من بحث تأويل الأحلام التي تعالجها، وإنما انطلقت من تأثير هذه الأحلام وتفسيراتها على حركة الحياة قاطبة، مما جعل الكتاب قادراً على أن يمنح القارئ إطلالة عامة، على تاريخ المسلمين وتراثهم، وأن يتسلل من خلال الأحلام إلى أعماق حياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والدينية والأدبية. إضافة إلى هذا كله، فالكتاب يلقي الضوء وفي مواضيع كثيرة منه على ثقافات الأحلام في حضارات أخرى غير إسلامية.

2. كتاب "الشرق والغرب: حياتي الغرب شرقية".

صدرت طبعته الأولى بالألمانية عام 2002، ثم ترجمه إلى العربية عبد السلام حيدر، فصدرت طبعته الأولى العربية بالقاهرة عن المجلس الأعلى للثقافة سنة 2004.

وقد تحدثت فيه عن سيرتها الذاتية، ولفتت فيه الانتباه إلى الكتب العديدة التي شرتها حول الإسلام وحياة المسلمين. وتطرقت في سيرة حياتها كذلك إلى طفولتها عندما كانت شغوفة بحب الثقافة العربية وبحب المشرق، وإلى السنوات التي قضتها مع إحدى الأسر العربية، وإلى فترة دراستها في المدرسة حيث اهتمت بتعلم اللغة العربية كحصص خاصة على يد المعلمين باللغة العربية من الألمان والعرب وهي في سن السادسة عشرة، ثم أداء امتحانات الثانوية العامة؛ وبالتالي تقديم رسالة الدكتوراه وهي في سن التاسعة عشرة حول موضوع "الخليفة والقاضي في أواخر القرون الوسطى بمصر".

قال الباحث الألماني في العلوم السياسية توماس شفلر في دراسة له تحدث فيها عن شيمل من خلال سيرتها، نشرت جريدة النهار اللبنانية مقتطفات منها، يوم الاثنين 26 يناير 2004، بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيلها، قال : وفي الواقع، سيرتها الذاتية "الشرق والغرب" التي نشرت عام 2002 تمنحنا إشارات دقيقة عدة، تؤكد الارتباط الحميم بين "الجمال" و"الحماية":

* في كتابها، تصف آن ماري شيمل طفولتها وزواج والديها، وكأنهما فردوس كامل الانسجام والحب، والأحلام الرومنطيقية، لكن الحرب العالمية الثانية شوشتهما.

* وفي تقارير الرحلات التي شكلت جزءا كبيرا من سيرتها، تذكر مرارا كم دللها مستضيفوها.

* ولكونها فقدت والدها عام 1945 أمضت معظم وقتها مع والدتها (1978-1887)، التي نسبت إليها الكاتبة صفة "الحضور الحامي" حتى بعد موتها.

* مفردات أمثال "جمال" أو"جميل" تتكرر تقريبا في كل صفحة من صفحات الكتاب. حتى في الأربعينات، أخذ أصدقاؤها ينادونها "جميلة" (في التركية: شِميليه)، وكانت فخورة بحمل هذا الاسم طوال حياتها.

* اشتهرت كذلك بتعلقها المفرط بالقطط الجميلة.

* وإذا كرهت حقا شيئاً في حياتها، فهم الناس القليلو الإحساس الذين لا يميلون إلى الجمال والذوق.

خلاصة القول، ثمة فرق واضح بين عالم أفكارها والعالم الذي عاشت فيه. حياة آن ماري شيمل لم تكن سهلة: دخلت الجامعة أثناء الحرب العالمية الثانية. بعد 1945 تابعت حياتها الأكاديمية في بلد مدمّر، ومحتل ومنقسم بسبب الحرب الباردة الناشئة. على مستوى شخصي أكثر، لم يكن سهلا بالنسبة لها الاستمرار كونها امرأة خارقة، في جامعة حيث لايزال الذكور يسيطرون (...).

3. كتاب "الأبعاد الصوفية للإسلام".

كتبته باللغة الإنجليزية عام 1974، وظهرت ترجمته الألمانية عام 1985، ثم ترجم إلى العربية مرتين: إحدى هاتين الترجمتين تحت عنوان (الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف)، قام بها محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، وصدرت عن منشورات الجمل بألمانيا سنة 2006؛ والثانية تحت عنوان (أبعاد صوفية للإسلام)، أنجزها الدكتور عيسى علي العاكوب، وصدرت عن دار الملتقى بحلب سنة 2006.

وقد أشار عبد الرحمن حللي[1] إلى أهمية هذا الكتاب، وتحدث عن مضمونه؛ ومما جاء في عرضه لمحتوى فقراته، قوله: هو دراسة موسعة وموثقة لتاريخ التصوف في الإسلام من حيث جذوره ورجاله وتياراته. وتعتمد فيه شيمل على كتب التصوف المرجعية القديمة والحديثة وبمختلف اللغات التي كتبت بها وخصوصاً الفارسية. وقد أشارت في بدايته إلى الصعوبات التي اعترت عملها، واعترفت بأن مجموع ما كتب عن التصوف في الشرق والغرب مطبوعاً ومخطوطاً عصي على الحصر، لكنها حرصت كما تقول على أن تجمع ما يمكن أن يشكل أساساً لعدد من المقررات الدراسية في موضوع التصوف، هذا التصوف الذي يعكس في نظرها المواقف المختلفة للمسلمين إزاء "العالم"، نظراً لجذور التصوف العميقة في الممارسات التعبدية التي علمها القرآن. وبعد البحث في سؤال ما هو التصوف؟ تحفر شيمل في الإطار التاريخي للتصوف التقليدي بحثاً عن جذوره في الإسلام، والتي ترجع إلى النبي ﷺ والقرآن. ثم تسبر أسس الطريقة الصوفية إحدى ثلاثية التصوف الإسلامي (الشريعة ـ الطريقة ـ الحقيقة) والتي تقابل الثلاثية المسيحية (التطهر ـ التأمل ـ الإشراق)، فتبحث في مراتبها وأولوياتها ومقاماتها وتحولاتها عبر التاريخ الإسلامي واختلافها. وفي بحثها حول الإنسان وكماله في التصوف، تلاحظ أنه من غير المتيسر على جهة الحقيقة تقديم وصف لعلم الإنسان

(1) انظر على شبكة الإنترنت: موقع (التصوف الإسلامي)، وموقع (تنوير).

الصوفي في الإسلام لأنه متعدد الجوانب مثل الإسلام نفسه، والاختلافات بين التيارات الصوفية المبكرة والمتأخرة مهمة، وتتابع شيمل البحث في الطرق الصوفية، والتي وصفتها بكونها قابلة للتكييف والتعديل مما جعلها وسيلة مثالية لنشر تعاليم الإسلام كما في الأجزاء الواسعة من الهند وأندونيسيا وإفريقيا السوداء، التي صارت مسلمة بفضل النشاط الذي لا يفتر لوعاظ الصوفية. وبعد التصوف الطرقي، تبحث شيمل في التصوف الإشراقي الذي بدأت جذوره مع تصوف النور الذي أوضحه بجلاء الغزالي - رائد التصوف الشرعي المعتدل - في "مشكاة الأنوار"، لينتشر ذلك في النظريات الصوفية للسهروردي شيخ الإشراق الذي نشر التعاليم المتصلة بفلسفة النور فيما يقرب من خمسين كتاباً عربياً وفارسياً. أما ابن عربي الذي تشكل مؤلفاته قمة النظريات الصوفية بعد القرن الثالث عشر الميلادي، فلا يمكن تقدير تأثيره في التصوف العام، كما أن تفسيراً صحيحاً لفكر ابن عربي أمر صعب، والنظام الكامل لابن عربي يحدد عموماً بتعبير "وحدة الوجود"، والترجمة الصحيحة لهذا التعبير تقدم المفتاح لمعظم نظرياته الأُخر. وأما معاصر ابن عربي الشاعر الصوفي ابن الفارض، فقد اختزل تجاربه الصوفية بعدد قليل من القصائد الغنائية ذات الجمال الرائع في أسلوب الشعر العربي، وكثيراً ما فهم شعره بوصفه شاهداً على تفسير الإسلام وفق وحدة الوجود. وفي حديثها عن الشعر الصوفي الفارسي والتركي ترى شيمل أنه من غير المفيد البحث عن تفسير صوفي صرف أو عن تفسير دنيوي خالص لقصائد حافظ أو العراقي، لأن غموضها مقصود. ثم تعرض لموضوعات هذا الشعر ورموزه فضلاً عن شعرائه وبالخصوص، جلال الدين الرومي الذي لا يوجد شخصية صوفية معروفة في الغرب مثله. وعند حديثها عن تاريخ التأثير الكامل للتصوف في الهند وباكستان ترجعه إلى أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلاديين، إثر اندماج الطرق الصوفية الرئيسة في أقاليم الإسلام المركزية. ولا تستبعد وجود تأثيرات متبادلة بين التصوف الإسلامي والتصوف الهندوسي، وكذلك تطور مجاهدات الأولياء الهنود المسلمين تحت تأثير رياضات اليوغا. كما أن بعض المؤلفات النظرية حول الممارسات اليوغية، ألفها علماء هنود مسلمون. وتختم شيمل كتابها بالجدل الدائر حول مسارات التصوف والطرق الصوفية والثيوصوفية والشيخية الخطيرة، وترى أن تصوف المحبة والمعاناة الذي يعلم الإنسان أن يحيى وأن يموت في سبيل هدف خارج نفسه، هو الرسالة الأكثر أهمية للتصوف اليوم. وتنهي بكلام لابن عطاء الله: "إذا رأيتم الصوفي يتكلم عن الناس فاعلموا أنه فارغ". ثم ألحقت الكتاب ببحثين طريفين الأول "رمزية الحرف في الأدب الصوفي"، الذي ترى فيه أن دراسة متأنية للصلات بين فن الخط

والفكر الصوفي ستثمر يقيناً نتائج ممتعة وتسهم في فهم أفضل لبعض الأفكار الصوفية وللفن الإسلامي أيضاً. أما البحث الثاني "العنصر الأنثوي في التصوف"، فترى فيه أن موقف التصوف من الجنس اللطيف كان متأرجحاً، حتى إنه يمكن أن يقال إن التصوف كان أكثر تأييداً لتطور النشاطات الأنثوية مما كانت عليه التيارات الإسلامية الأخرى.

4. كتاب "الشمس المنتصرة، دراسة آثار الشاعر الكبير جلال الدين الرومي".

أصدرته عام 1978، وترجمه إلى العربية الدكتور عيسى علي العاكوب، فصدرت طبعته العربية الأولى عن مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الإرشاد الإسلامي بطهران سنة 2003.

وقد تناولت في هذه الدراسة حياة الشاعر الصوفي الكبير جلال الدين الرومي، من خلال أربعة محاور[1]:

أولاً : الإطار الخارجي : وتتكلم فيه عن الخلفية التاريخية وحياة الشاعر الصوفي والتقليد الشعري، والإلهام، والشكل.

ثانياً : الصور المجازية عند جلال الدين الرومي: وتكشف فيها عن مفردات لغته الصوفية ورمزيتها من خلال العديد من الصور: الشمس ـ الماء ـ الحدائق ـ الحيوانات ـ الأطفال ـ الحياة اليومية ـ الطعام ـ الأمراض ـ النسيج ـ الخط الإلهي ـ تسليات الكبراء ـ الصور المستمدة من القرآن والتاريخ والجغرافية ـ الصور المستمدة من تاريخ التصوف ـ الموسيقى والرقص.

ثالثاً : المباحث الإلهية عند الرومي : الله وإبداعه، الإنسان وموقعه، النبوة، السلم الروحي، العشق، الدعاء.

رابعاً : تأثير جلال الدين الرومي في الشرق والغرب.

ومن مؤلفاتها المهمة كذلك :

* باكستان : قصر بألف باب (1965).

* فن الخط الإسلامي (1970).

(1) انظر على شبكة الإنترنت: موقع (الطريقة القادرية الكسنزانية).

* محمد إقبال شاعر وفيلسوف نبوي (1974).

* حدائق المعرفة (1982).

أما الكتاب الذي ألفته عن رسول الله ﷺ، فقد ظهر بالألمانية عام 1891، ثم ظهر بالإنجليزية عام 1985. وعنوانه الكامل كما ورد في الترجمة الإنجليزية التي بين يدي، هو: (وأن محمدا رسول الله: احترام وإجلال الرسول في التدين الإسلامي)، تعني: كيفية احترامه وإجلاله عند المتدينين المسلمين.

وقد صدرته برباعية لشاعر هندوسي يقول فيها: (قد أكون كافرا أو مؤمنا. هذا شيء علمه عند الله وحده. لكن أود أن أنذر نفسي كعبد مخلص لسيد المدنية العظيم محمد رسول الله).

ثم قسمته إلى مقدمة ومدخل واثني عشر فصلا، جاءت مرتبة على الشكل التالي:

* الفصل الأول : أشارت فيه إلى مصطلحي: (السيرة) و(السيرة المعظمة).

* والفصل الثاني : تحدثت فيه عن (محمد المثل الأعلى)، فأشارت فيه إلى أدب الشمائل والدلائل، وإلى الأوصاف الخَلقية والخُلقية لرسول الله ﷺ.

* والفصل الثالث : في مكانة الرسول ﷺ.

* والفصل الرابع : في المعجزة والخرافة.

* والفصل الخامس : في محمد الشفيع، والتبريك عليه.

* والفصل السادس : في أسماء النبي ﷺ.

* والفصل السابع : في النور المحمدي، والتقليد الصوفي.

* والفصل الثامن : في الاحتفال بالمولد النبوي.

* والفصل التاسع : في ليلة الإسراء والمعراج.

* والفصل العاشر : في القصائد التي نظمها أصحابها إكراما للنبي ﷺ، من العرب وغيرهم. وفي تشوق الشعراء لمدينة الرسولﷺ. وفي القصيدة النعتية، والتقليد الشعبي.

* والفصل الحادي عشر: في النهج المحمدي، والتأوبل الجديد لحياة النبي ﷺ.

* والفصل الثاني عشر والأخير : تحدثت فيه عن النبي ﷺ في أعمال الفيلسوف والشاعر المسلم محمد إقبال رحمه الله.

والكتاب ـ كما تقول شيمل في مقدمته ـ هو ثمرة أو عصارة ما توصلت إلى معرفته عن النبي ﷺ في أكثر من أربعين سنة خلت من عمرها. وفيها تقول كذلك، بأنها كانت أول من لفت الانتباه إلى الاهتمام بـ (محمد الصوفي)، أي البحث فيما قيل عنه أو كُتب عنه من وجهة نظر صوفية، منذ أن كانت في سن المراهقة، وشغوفة بحب دراسة اللغة العربية تحت إشراف الدكتور Hans Ellenaberg. وفي تلك الفترة بالذات، اطلعت على عدة كتب إسلامية، منها كتاب عن حياة محمد للأستاذ الهندي سيد أمير علي، وكتاب (شخصية محمد...) للمستشرق السويدي تور أندريه، وقصيدة (المولد الشريف) للشاعر التركي سليمان شلبي التي نظم فيها المعجزات المصاحبة لمولد رسول الله ﷺ. وما جاء في هذا الكتاب الأخير ـ حسب رأيها ـ شبيه إلى حد كبير بما جاء في الأغاني الشعبية المسيحية.

وبعد أن أتيحت لها فرصة حضور (احتفالات المولد)، ودرّست مادة (مقارنة الأديان) بالكلية الإسلامية بأنقرة في تركيا، انصبّ اهتمامها على مسألة الإجلال والتعظيم الشعبي للنبي ﷺ عند المسلمين الأتراك، بل انصبّ اهتمامها بصفة خاصة، على الأدب الشعري والصوفي (الهند ـ باكستاني). وهذا ما دفع بها بعد ذلك، إلى البحث في حجم المكانة التي تحتلها محبة رسول الله ﷺ في أعمال إقبال، أو البحث في مدى تأثير المحبة المحمدية في الفيلسوف والشاعر المسلم محمد إقبال، وغيره من المصلحين المسلمين المتصوفة.

أما (المدخل أو التمهيد)، فقد حاولت شيمل أن تبيّن فيه، بأن رسول الله ﷺ له مكانة عظيمة في قلوب المسلمين. يتجلى ذلك ـ حسب رأيها ـ في الطريقة مثلا ـ التي كُتب بها قوله تعالى: ﴿**محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾[1] في مخطوط القرآن الكريم، الذي يرجع تاريخ كتابته إلى القرن الثاني عشر بشرق إيران، حيث سُطرت فيه عبارة (محمد رسول الله) بخط مزخرف عريض ومتميز عن باقي الكلمات الأخرى المندرجة تحت سورة الفتح.

لكن المسيحيين ـ كما تقول ـ كانوا منذ القرون الوسطى، وما زالوا لحد الآن يجهلون ما يكنّه المسلمون لرسول الله ﷺ من إجلال وتعظيم، فأساءوا إليه بمثل ما

(1) سورة الفتح، الآية 29.

صرّح به دانتي في (الكوميديا الإلهية)، حيث جعله مدانا ومحكوما عليه بالألم الأبدي في أعماق جهنم. ومثل هذه التصرفات والجهالات والإساءات واللامبالات الصادرة منهم، كانت تشكل حاجزا وعائقا يمنعهم دائما وأبدا من فهم الإسلام.

وأهم ما تميّزت به شيمل عن باقي المستشرقين الذين كتبوا عن الرسول ﷺ، وعن الإسلام والمسلمين، هو:

1. تقديرها الكبير للنبي ﷺ، واحترامها لجنابه الشريف.

يظهر ذلك بجلاء في كتابها هذا الذي اقتبست عنوانه من الشهادة (وأن محمدا رسول الله)، وبسطت فيه مظاهر تعظيم وإجلال المسلمين لرسول الله ﷺ، من أجل أن تُبيّن للأروبيين مكانته عند المسلمين، ولتطلب منهم كذلك أن يحترموا مشاعر الآخرين.

إضافة إلى ذلك، فهي تُصرّح بأن القرآن هو المعجزة الكبرى للنبي ﷺ، والدليل القاطع على صحة نبوته، وأنه رسالة الله إلى الناس كافة، وأنه هو المهيمن على ما سلفه من الكتب المنزلة من الله عز وجل على الأنبياء، وأنه يخاطب العقل والضمير والوجدان.

وقد تعرّضت شيمل لانتقادات لاذعة بسبب دفاعها المجيد عن رسول الله ﷺ، فردّت على هذه الانتقادات بكل حزم وثقة، بقولها: "**إنّني أحبه**"، وبقولها : "لا تلوموني على حبّي لرسول الإسلام..حبّي وشغفي بالإسلام ورسوله بلا حدود. حتى إن البعض يقول: إنّني أخفي إسلامي. وأنا أقول مقولة لشاعر هندوسي: **(قد أكون كافرا أو مؤمنا، فهذا شيء علمه عند الله وحده، ولكني أود أن أنذر نفسي كمحب مخلص لسيد المدينة العظيم محمد رسول الله)**.. فلماذا تلوموني على حبّي ودفاعي عن رسول الله الإسلام الذي أحبه. في حين لم يتعرّض شخص في التاريخ للظلم الذي تعرض له محمد في الغرب.. فأساطير القرون الوسطى اتهمته بأنه كان كاردينالا استاء لعدم تعيينه بابا، فانفصل عن الكنيسة وأسس ديانة جديدة. واتهمته رواية فرنسية بأنه شارك مع شخصين في تكوين نوع من الثالوث الشيطاني. وجريمة لا تُغتفر في حق محمد، ارتكبها الأدباء الإنجليز؛ حوّلوا اسم محمد ليكون مرادفا للشيطان.. وحوّل الأدب الألماني (محمد) إلى (ماحوم)، واتهموا المسلمين بأنهم يعبدون أصناما ذهبية لماحوم.. وللأسف فإن مثل هذه الصور الشنيعة راسخة في اللاوعي الجماعي للغرب، وهو ما يفسر العداء الغربي للإسلام.. أليس هذا الظلم دافعا لي لتوضيح حقيقة رسول الإسلام والدفاع عنه حتى لو كلّفني ذلك حياتي.. فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس".

ومن الهجمات الشرسة التي شُنّت على شيمل بسبب دفاعها عن رسول الله ﷺ والمسلمين، ما تعرّضت له من حملات إعلامية ظالمة سنة 1995، استهدفت التشكيك في قيمتها العلمية وفي نزاهتها، والحط من مكانتها لدى الرأي العام في بلادها وفي الغرب عموما. فقد طلبت بعض وسائل الإعلام الألمانية من رئيس ألمانيا عدم تسليمها جائزة السلام، التي كانت رابطة دور النشر الألمانية قد قرّرت منحها لشيمل في معرض فرانكفورت للكتاب. وذريعتهم كانت ما قالته في حق سلمان رشدي صاحب كتاب "**آيات شيطانية**" الذي أساء فيه إلى رسول الله ﷺ ولم يحترم مشاعر المسلمين، عندما سئلت عن رأيها فيه في حوار تلفزيوني قبيل تسليمها الجائزة. واعتبرت عمله الشنيع هذا، إهانة لأمة، وأفظع وأثقل وطأة من فتوى الإمام الخميني بإهدار دمه. وقد ردّ الدكتور نديم إلياس رئيس المجلس الأعلى للمسلمين بألمانيا في كتابه "**سيقهر الماء صم الحجر**"، على ثلاثة ادعاءات كاذبة، اتهمت بها شيمل[1].

* **الادعاء الأول** : يقول أنها ندّدت بكتاب سلمان رشدي واعتبرته مسيئا للمسلمين ولمشاعرهم، وأنها أيّدت فتوى الإمام الخميني التي صدرت ضد مؤلفه سنة 1989، وذلك في كتابها الذي ألفته عن رسول الله ﷺ..

* **والادعاء الثاني** : حول نفس الكتاب "**وأن محمدا رسول الله**" الذي يدل على تعاطفها مع الأصولية، كما يدل على ذلك أيضا زياراتها المتكررة لإيران، والحفاوة التي كانت تُستقبل بها هناك، فضلاً عن كتابتها مقدمة كتاب "**الإسلام كبديل**" للدبلوماسي الألماني السابق مراد هوفمان.

* **والادعاء الثالث** : يستند على ما جاء في كلمة ألقتها بمناسبة تأبين الرئيس الباكستاني ضياء الحق، حيث قالت: سوف يصل التاريخ إلى حكم إيجابي متّزن حوله. وهو ما عدّه أعداؤها تأييدا لنظامه العسكري، بالرغم من موقفه من حقوق الإنسان والتسلح النووي.

وفي معرض ردّه على **الادعاء الأول**، قال الدكتور نديم إلياس بأنه مجرّد من الأمانة العلمية، لأن كتابها عن الرسول الله ﷺ قد صدر عام 1981م، أي قبل ثماني سنوات من صدور فتوى الخميني. كما أن شيمل قد أكدت في ردّها عليهم بأنها إنسانة غير سياسية، وأن ما يهمها في القضية هو عدم المساس بالمشاعر الدينية الخاصة.

(1) ماري شيمل الألمانية. عاشقة النبي، بحث للدكتور خالد شوكات، نشر بموقع إسلام أون لاين نت، 2 فبراير 2003.

2. إنصافها للإسلام والمسلمين

لقد عشقت آن ماري شيمل الشرق، لأن حياته كانت تمدّها بشعور البهجة والراحة والاطمئنان. وفي مقدمة ما أُعجبت به هناك، هي الثقافة العربية والإسلامية، ولهذا قالت: "لقد جذبني عالم الشرق منذ كنت طفلة. بدأت أتعلّم اللغة العربية وعمري خمسة عشر عاما. وسأظل أحب العالم العربي والإسلامي حتى وفاتي[1].

وبعد أن خالطت المسلمين، أعجبها ما تميّزوا به من صفاء في الروح وسمو في العاطفة.

ولما تعمّقت معرفتها بالإسلام، وأدركت ما يدعو إليه من مبادئ نبيلة، ووقفت على ما قدّمته حضارته العظيمة للإنسانية، دعت إلى احترامه وتفهّمه، ونذرت حياتها لخدمته والدفاع عنه وعن أهله. ثم أوقفت أموالها منحا دراسية للمستشرقات الأوروبيات اللواتي يبحثن في علوم الإسلام والتصوف.

وقد كانت لشيمل الألمعية، قدرات فائقة على التعامل بكل موضوعية مع الثقافة الإسلامية. وفي كتاباتها شرح دقيق للقضايا الأساسية في الإسلام، وردّ صريح على الدعاوى المغرضة التي حاول بعض المستشرقين تلفيقها للدين الإسلامي الحنيف. فلها مثلا ـ دراسة عن اعتراف الإسلام بالأنبياء وتكريمه لهم، من إبراهيم إلى محمد عليه الصلاة والسلام، وتركيزه على تكريم كل من موسى والمسيح عليهما السلام. ولها تصحيحات مفيدة للمفاهيم المغلوطة في الذهن الغربي، عن الجهاد والتوكل والحجاب. ولها دراسة موضوعية عن المرأة في الإسلام[2].

ومن خدماتها الجليلة التي قدمتها للمسلمين ولدينهم الحنيف، أنها كانت تؤكد في أكثر كتاباتها ولقاءاتها، على ما حققه الإسلام من إنجازات وما أنتجه من علوم[3]. بل حاولت أن تعطي صورة شاملة عنه لبني قومها، تتّسم بالدقة والموضوعية والإنصاف.

ومن أجل ذلك، حصلت على (جائزة السلام) من (رابطة دور النشر الألمانية) سنة 1995م. وفي حفل تكريمها، ألقى الرئيس الألماني (رومان هيرتسوغ) خطابا نوّه فيه

(1) انظر مجلة النور اللندنية، العدد 161.

(2) أرجعت اضطهاد المرأة في المجتمعات الإسلامية إلى العادات والتقاليد، وليس إلى الدين الإسلامي.

(3) انظر مجلة الضياء الإمارتية، فبراير 2002.

بمجهوداتها، فقال: ″وقد مهّدت الأستاذة آن ماري شيمل لنا الطريق لفهم الإسلام، كما بيّنت لنا فيما يختص بعلاقتنا بحضارات أخرى كيفية تمهيد الطريق المناسب لذلك[1]. وقال أيضاً : ″فإننا في حاجة إلى أشخاص يقومون بالربط بين الحضارات ونقل المعارف عنها، ويتوفّر لديهم الاستعداد والقدرة على تفهّم ومعايشة التصورات والتجارب الغريبة عنهم، والقيام بتبليغ ما تعلّموه من ذلك إلى غيرهم. وهكذا يستطيعون بهذه الطريقة، بناء جسور من الثقة بين الأطراف المتعددة. والأستاذة آن ماري شيمل هي من هؤلاء الأشخاص، ولذلك استحقت جائزة السلام[2]. ثم اعترف بعدم معرفته للإسلام بشكل أفضل إلا بعد الاطلاع على كتبها والاستفادة من خبراتها، فقال: ″أما بالنسبة لي كإنسان غير خبير في هذا المجال، فيكفيني أن كُتب السيدة شيمل قد أتاحت لي - ولو بصورة مقتضبة - فرصة الاطلاع على تلك التعددية الخلابة للتيارات الإسلامية عبر التاريخ وفي الحاضر، وقد ينطبق هذا على غيري[3]. وقال أيضا: ″لقد استطاعت السيدة شيمل أن تغذي لدي حب الاستطلاع، وإنّني أتمنى أن يحصل ذلك للكثيرين غيري[4]. ثم قال : ″إنّني فقط أريد أن أوضح لكم كيف استطاعت السيدة شيمل بنجاح أن تساعدني في ترجمة الأفكار بين الحضارات والثقافات خلال مرافقتها لي في زيارتي للباكستان، وأحيانا فتحت لي قلوب من تباحثت معهم من المسلمين[5].

أما اللجنة التي منحتها هذه الجائزة، فقد علّلت قرار إسنادها لها، بما يلي : ″تمنح رابطة الكُتّاب الألمان الجائزة لماري شيمل، التي كرّست جهدها طيلة حياتها من أجل التعريف بالإسلام، وإيجاد روح القبول له ولمظاهر الحياة في إطاره، ومن أجل إيجاد إمكانية التقائه بأبعاده التجديدية حضاريا مع الغرب″.

وفي ألمانيا كذلك، حظيت شيمل بتقدير كبير لدى الجالية المسلمة المقيمة بتلك المنطقة من العالم، وأكنّوا لها كل الاحترام، واعتزّوا بما كانت تقوم به دفاعا عنهم، ووصفها مجلسهم الأعلى بما يلي[6].

(1) مجلة فكر وفن، العدد 63، ص 12.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) نفسه.

(6) انظر على شبكة الإنترنت: موقع إسلام أون لا ين.نت.

* أنها كانت سفيرة رفيعة بين الإسلام والغرب.

* وأنها كانت شخصية نادرة، كرّست حياتها في دأب وحب لإزالة الشكوك لدى الغربيين حول الدين الإسلامي الحنيف.

وبعد وفاتها، أشاد الدكتور نديم إلياس رئيس المجلس الأعلى للمسلمين بألمانيا، بما فعلته شيمل طوال حياتها دفاعا عن الإسلام داخل ألمانيا وخارجها، واعترف بأنها قد وظفت مكانتها العلمية المرموقة لهذه الغاية[1].

وقد أدرك مكانتها أيضا، العلامة والداعية المسلم في أوربا الدكتور زكي علي، منذ أكثر من نصف قرن، حين كتب يقول: "وعلى رأس المحرّرين لمجلة فكر وفن، الأستاذة الألمعية الدكتورة آن ماري شيمل، المتخصّصة في دراسة محمد إقبال حكيم وشاعر باكستان... وتنصف الإسلام والمسلمين"[2].

هذا، ومن أجل ما كانت تقوم به من دفاع عن الإسلام والمسلمين، فقد تردّدت أنباء عن اعتناقها للإسلام، إلا أنها لم يثبت عنها أنها أشهرت إسلامها قبل وفاتها. ومع ذلك، هناك من يُرجّح فرضية القول بإسلامها[3]، وهناك من يصفها بـ "مؤمنة آل فرعون[4]. والله أعلم بحقيقة الأمر.

غير أن الذي يتفق عليه معظم الباحثين، هو القول بأنها قد ساهمت دون أدنى شك في حدوث نقلة نوعية في مدرسة الاستشراق الألمانية، ومن أهم سمات هذه النقلة، الانفتاح بموضوعية وإيجابية على الثقافة الإسلامية، وإدراك أهمية الحوار الحضاري والتواصل الفكري مع الآخر.

ولهذا نجحت شيمل في إدراك الكثير من الأهداف السامية التي عجز عن تحقيقها غالبية نظرائها وأقرانها من المستشرقين، ولهذا أيضا تميّزت عنهم.

---

(1) نفسه.

(2) المقالة التي كتبها الدكتور زكي علي، نشرت في مجلة البريد الإسلامي بتاريخ 25/6/1963؛ وانظر أيضا في هذا الموضوع، البحث الذي نشره عبد اللطيف الجوهري في (عالم المعرفة) بجدة سنة 1418ـ1988 ، ص 123، وعنوانه: (من أعلام الدعاة في أوربا : العلامة الدكتور زكي علي) .

(3) من القرائن الدالة على إسلامها ـ كما يقول بعض الباحثين ـ أنها كانت تتزيّن بسلسلة تتدلّى منها قلادة مكتوب عليها لفظ الجلالة بالعربية.

(4) يصفها المفكر الإسلامي عبد الحليم خفاجي في معظم كتبه بهذا اللقب.

وقد عزا بعض الباحثين نظرة شيمل الإيجابية للحضارة الإسلامية، إلى الخلفية التي تعاملت بها مع هذه الحضارة. وقد ارتكزت هذه الخلفية على الكثير من الحب والرغبة في اكتشاف الجوانب المضيئة فيها. وهو منهج مخالف ـ من دون شك ـ لما ذهبت إليه مدرسة الاستشراق الغربية عموما[1].

ومن أجل ذلك، ترصّدها أعداء الإسلام وشنّوا عليها حملات ضارية من حين لآخر. ومع ذلك، لم تتراجع عن آرائها ومواقفها ولو مرة واحدة. وإنما وصفت لهم منهجها في الدراسة والبحث، فقالت: "إن طريقي ليس هو طريق التصريحات والبيانات، ولا هو طريق الإثارات والزوابع. إنّني أومن أن الماء الصافي سوف ينتصر بحركته الدؤوبة على مر الزمن على صم الحجر"[2].

وعندما سئلت عن تحمّلها للهجوم الإعلامي ضدها، قالت : "إنّني لا أهتم بذلك الهجوم، لأنهم يكتبون عن حقد، والحاقد لا يرى الجمال، وأنا أكتب عن حب وحق. إنّني عاشقة لهذا العالم الإسلامي، وسأظل هكذا حتى وفاتي"[3].

3. مساهمتها في التقريب بين العالم الإسلامي والغرب.

تطلّعت شيمل في كثير من كُتبها إلى التصوف كجسر بين الأديان والحضارات، ورأت أن التصوف ليس مجرد زهد رومانسي يقتصر على نفي الدنيا، بل إنه إحياء للقلوب وخلع للمعنى على ما لا معنى له، لينعم الإنسان عن طريقه بحرارة الوجد، ويتفهّم اختلاف الآخر. وهو ما نحن بأمس الحاجة إليه اليوم ليحيى البشر على كافة أجناسهم وأديانهم وثقافاتهم بسلام وود ووئام.

وإلى جانب التصوف، كانت شيمل تحب الشعر، بل كانت تحب من الشعراء الألمان من يتميّز منهم بنفحة شرقية. وقد اهتمّت بشكل خاص، بريلكة ورويكرت وفريدريش. وكان اهتمامها أكثر برويكرت، لما كان له من دور مهم في انجذابها نحو عالم الشرق[4].

(1) يرى الألماني كلاوس ليفرنغهاوزن، المكلف السابق لحكومة ولاية شمال الراين وستفاليا بشؤون اندماج المهاجرين، أن شيمل قد اتخذت منهجا خاصا في البحث العلمي، مفاده أنك إذا أردت التعرف على ثقافة ما وطبيعتها، فعليك أن تتعرف عليها من الداخل، وألا تتخذ معايير خاصة للحكم على الآخر.

وقيل أيضاً، أنها ابتعدت كل البعد عن طرق البحث العلمي الذي يقتصر على التحليل وتقسيم الكل إلى أجزاء، لكي يتسنى فهم الآخر، لذلك تمكّنت من تفهّم الثقافة الإسلامية ككل، عن طريق الاقتراب منها ومن أبنائها.

(2) مجلة الكوثر، العدد 45، يوليو 2003.

(3) مجلة الوعي الإسلامي، العدد 461.

(4) جريدة الشرق الأوسط، الأحد5 محرم 1426/13 فبراير 2005.

ولما كان التوجه التقليدي في أوربا، قد ركّز على الفروقات وعلى عدم الانسجام بين الإسلام والغرب المسيحي. ولما كان أحد أقطابه وهو برنارد لويس يستعمله لدعم دعاية (تصادم الحضارات)، التي تتبنّاها الدوائر المحافظة في الغرب. فإن شيمل على العكس من ذلك، كانت قادرة على بناء جسور عاطفية وتصورية عقلانية رابطة بين فروقات التقاليد اللاهوتية المتنازعة، من خلال استعمالها النوع الأدبي المناسب، تحديدا الشعر الصوفي[1].

ولقد كانت شيمل تعشق الشعر، لأنه يجعل الناس أكثر استعدادا للمصالحة فيما بينهم. ولهذا كانت تحب أن تستشهد بهذه الجملة: "عالم الشعر هو عالم المصالحة"، وقد اقتبستها من الشاعر والمستشرق الألماني فريدريش روكرت المتوفى سنة 1866م.

ويجب التنبيه أيضاً إلى أن شيمل، كانت تقدم الحضارة الإسلامية للغربيين، ليس فقط من خلال الشعر والتصوف، ولكن من خلال الفن الذي كان غائبا عنهم كذلك. ولذلك كتبت عن الخط العربي، وعن عمارة المساجد وعمارة المقابر، وأماطت اللثام عما تزخر به هذه الميادين الفنية الإسلامية من نقوش وزخرفات.

بقي أن أشير في الأخير، إلى أن السيدة المقتدرة آن ماري شيمل، الخبيرة الألمانية في الشؤون الإسلامية، قد أوصت رفاق عمرها قبل وفاتها سنة 2003م، بأن يجتمعوا في منتدى للحوار الديني والثقافي، يكون هدفه الأسمى ربط جسور الصداقة والتفاهم بين أوربا والعالم الإسلامي.

وقد تحقق حلمها بالفعل، إذ يرأس اليوم شخصان من ديانتين مختلفتين منتدى آن ماري شيمل للحوار الديني والثقافي، وهما المسلم الأفغاني (غلام توتاخيل) الرئيس السابق للمجلس الإسلامي في ألمانيا، والمسيحي (كلاوس ليفرنغهاوزن) المكلف السابق لحكومة ولاية شمال الراين وستفاليا بشؤون اندماج المهاجرين.

وفي حوار أجرته معهما إحدى الوسائل الإعلامية[1] أكد كل واحد منهما على أسمى القيم التي تجمعهما، وهي الاحترام المتبادل رغم اختلاف العقيدة، وأن غايتهما هي تنفيذ وصية آن ماري شيمل، لكي يبقى ما قامت به من خدمات علمية من أجل تفاهم الأديان قائما في القضايا السياسية الحالية.

(1) جريدة النهار اللبنانية، الإثنين 26 يناير 2004، ص 17.

(2) انظر: موقع الحوار. نت الإخباري، الذي يهتم بالشأن المغاربي والجالية العربية والإسلاميةبأوربا؛ وكذا موقع www.dw-world.de

ومن أولويات المنتسبين إلى هذا المنتدى كذلك، سلوك طريق الحوار والنقاش، الذي سلكته آن ماري شيمل؛ وكذا العمل على جمع ممثلي الأديان والثقافات في المنتدى، من أجل خدمة السلام وتجنب نشوب الصراعات بين الحضارات، ومن أجل الاستفادة من الطاقات المتواجدة في جميع الأديان والثقافات، بدلا من استغلال هذه الطاقات بصورة سيئة لتعكير صفو التعايش السلمي وإراقة الدماء.

وقد نظم المنتدى أنشطة متعددة على الصعيد الدولي، منها المؤتمر الذي أقامه على هامش معرض فرانكفورت الدولي للكتاب لعام 2004م، تحت عنوان: "**الشرق والغرب بدائل صراع الحضارات**".

المصادر والمراجع

ehT fo noitareneV ehT :regnesseM sih sI dammahuM dnA:lemmihS liramennA
.5891 ,sserP aniloraC htroN fo ytisrevinU ehT ,yteiP cimalsI ni tehporP

- "**الشرق والغرب : حياتي الغرب شرقية**" لآن ماري شيمل، ترجمة عبد السلام حيدر، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2004.

- " **الأبعاد الصوفية للإسلام**" لآن ماري شيمل، ترجمة عيسى علي العاكوب، حلب: دار الملتقى، 2006.

- "**مجلة فكر وفن**"، العدد 63، السنة 1996.

تُعدّ جسرا ثقافيا، أخذ على عاتقه تعميق الحوار الثقافي بين ألمانيا والعالم العربي. وفي هذا العدد نُشر خطاب الرئيس الألماني الذي ألقاه بمناسبة تكريم آن ماري شيمل بجائزة السلام سنة 1995، وفي هذا العدد أيضا ترجمة وافية عن آن ماري شيمل.

- "**مجلة النور**"، **شهرية مستقلة**، تصدر بلندن، العدد161.

- **مجلة الوعي الإسلامي**، العدد 461.

- "**مجلة الكوثر**"، **ثقافية تربوية متنوعة تهتم بالمسلمين في أفريقيا**، العدد 45، يوليو2003.

- **مجلة الضياء الإماراتية**، فبراير 2002.

- "**جريدة النهار اللبنانية**"، عدد 26 يناير 2004.

- "**جريدة الغد الأردنية**"، عدد 25 نوفنبر 2006.

- **جريدة الشرق الأوسط** الأحد 5 محرم 1426/ فبراير 2005.

- "**موقع إسلام أون لاين.نت الإلكتروني**" www.Islamonline.net نشر بحثا للدكتور شوكات، عنوانه: ماري شيمل الألمانية عاشقة النبي، يوم 2 فبراير 2003.
- "**موقع تنوير**"، موقع إلكتروني يعبر عن وجهة نظر مركز (الحوار) للثقافة والنشر، الذي هو مركز كويتي تم تأسيسه عام 2002. wwwkwtanxeer.com .
- "**موقع الطريقة القادرية الكسنزانية الشيعية بالعراق وإيران**"، المنسوبة للشيخ عبد الكريم بن عبد القادر الكسنزاني، المولود عام 1915، والموفى حوالي 1978. www.kasnazan.com
- "**موقع التصوف الإسلامي**"، www.islamic-sufism.com
- "**موقع الناس للمثقفين الديمقراطيين التقدميين العراقيين الإلكتروني**"، moc.sann-la.www
- **موقع الحوار.نت الإخباري**، الذي يهتم بالشأن المغاربي والجالية العربية والإسلامية بأوربا، www.alhiwar.net
- **موقع** Deutsche Welle www.dw-world.de

السيرة النبوية في الاستشراق الألماني:
نظرات في تجربة الدراسات المنصفة

د. عبد العزيز انميرات(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

خطوط عريضة للموضوع

يتطرق هذا البحث إلى مسألة التعاطي مع ما يمكن تسميته بـ (الاستشراق المنصف) الذي حاول أصحابه جاهدين، التخلص من هيمنة السلطة الإيديولوجية المحركة لثقافة الاستشراق، بوصفها إحدى وجوه التعبير عن المركزية الأوربية المتعصبة التي تعاملت مع الشرق، واقعا وتاريخا وحضارة وثقافة وإنسانا، من وجهة نظر استعلائية تقوم بدورها ـ على أطروحة : (الشرق اختراع غربي).

إن هذا الضرب من التعاطي النقدي مع إنتاج الاستشراق المنصف يجعلنا أمام تساؤلات معرفية كبيرة لا بد من تحديد القول بخصوصها، ومنها: هل ما قدمه أصحاب هذا النوع من البحوث كفيل باعتماده مادة خامة للفهم والتمثل؟. وهل نحن بحاجة ماسة إليه كي نحقق القراءة الشمولية المطلوبة للسيرة النبوية؟ و بعبارة أخرى: هل هذا الضرب من الإنتاجات المعرفية ضروري في مشاريع بنائنا الحضاري، أم أن احتفاءنا به ما هو في عمقه ـ إلا شعور خفي بإعادة الاعتبار لجزء من ثقافة الذات تم التعامل معها، لفترات طويلة، من منظور الإقصاء والتشويه والتحريف والتنقيص؟.

(*) كلية الآداب، سايس ـ فاس.

أولاً : من التوظيف الإيديولوجي إلى التوظيف المعرفي.

تتأسس هذه المداخلة على خلفية مفادها أن الاختيار، سواء على مستوى المنهج أو الموضوع في مجال الدراسات الإنسانية لا يقع خارج مجال سلطة الإيديولوجيا ولا بعيدا عن مقاصدها الأساسية، مع العلم أن الباحث، وهو يحاول تطبيق منهج ما أو دراسة موضوع ما، يحاول قدر الإمكان التخلص من تلك السلطة التي تتحكم ، في كثير من الأحيان، في التصورات والنظريات وسبل البحث.

إن هذه المسألة التي نسلم بها، ونعتبرها من البديهيات، تصدق بشكل واضح على الدراسات الاستشراقية، سواء دراسات المستشرقين أنفسهم لقضايا ومواضيع تخص الشرق، أو تلك التي تتصل بالدارسين العرب المعاصرين الذين كلما ذكر الاستشراق، أو أحد المستشرقين إلا وتغيرت خلفيات النظر والقول والنقد. ولهذا لا نجد في الساحة الثقافية إلا النادر من الدراسات الجادة للتراث الاستشراقي، سواء من قبل المستشرقين أنفسهم أو من قبل الباحثين المنتمين إلى الجغرافية الشرقية، موضوع الاهتمام الاستشراقي.

من ها هنا، تصبح الدراسة المتجددة للتراث الاستشراقي كبيرة الأهمية لدى المثقفين العرب، وخاصة لدى مثقفي الفكر الإسلامي المعاصر (لا على أساس أنها دراسة متوجهة بنزعة الإدانة أو الرفض، بل على أساس أنها تمثل شيئا من وعي الذات أو اليقظة الفكرية، التي تتم بموجبها رؤية الذات من خلال ملاحظة اتجاهات رؤية الآخرين وتصوراتهم، ومن ثم تبين ما يستحق المعالجة الذاتية أو الاعتراف ببعض هنات هذه الذات، والسعي لتصويبها، أو بعكس ذلك تفضي الصور المشوهة أو المغلوطة على أساس أن بعض هذا التشويه جرى أو حصل عمدا أو قصدا، بينما يظهر بعضه عن جهل أو إخفاق أو نقص في المعلومات والتصورات)[1].

وإذا كان البعض من الدارسين يذهب إلى أن علاقة المثقفين العرب المسلمين ومواقفهم إزاء الاستشراق، بصفته نشاطا منظما، يمكن تحديد شروعها منذ المداولات التي قادت إلى المؤتمر الأول في باريس عام 1873م، من خلال مفردات دالة متكررة على ألسنتهم في المساجلات والصراعات الدائرة حينئذ مع ممثلي قوى الاحتلال أو دعاتها أو المنقادين إلى قبول التقدم الأوربي على أنه إدانة ضمنية للمجتمع العربي

(1) محسن جاسم الموسوي: **الاستشراق في الفكر العربي** - ص 28.27 (المؤسسة العربية للدرسات والنشر- بيروت لبنان، ص1، 1993).

الإسلامي بثقافته وتكوينه. أقول: إذا كان هذا هو رأي البعض، فإننا نؤكد على أن الاهتمام المتزايد والملحوظ بالاستشراق والمستشرقين في المجال التداولي للفكر العربي الإسلامي، برز إلى الوجود منذ المقالة التحليلية النقدية التي كتبها (أنور عبد المالك) في موضوع: (الاستشراق في أزمة) في مجلة Diogenes عام 1963؛ وقد استطاعت هذه المقالة اكتساب المصداقية المعرفية، لما تضمنته من وعي "موضوعي" للظروف المحيطة بالعلاقات بين الشرق والغرب، ومن ثم لما حققته من دفع مجموعة من مثقفي المجتمع العربي للاهتمام بالمسألة الاستشراقية، اهتماما واعيا يسهم في تكون الرؤية النقدية الأكاديمية للتراث الاستشراقي.

إن هذا الاهتمام يظهر جليا في مجموع ما ألف حول الاستشراق في الفكرين، العربي والإسلامي، على حد سواء، وهو اهتمام ينقسم، بحسب الموقف، إلى قسمين اثنين هما:

1. الرفض التام لنتائج البحوث والدراسات الاستشراقية، لما فيها من مغالطات وشبهات، حوّرت تاريخ التراث العربي الإسلامي، وشوهت معالمه.
2. التعامل مع التراث الاستشراقي من منظور نقدي معرفي، يهدف إلى تطبيق نهج الحفريات على هذا التراث، وهو ما يجعل من الباحثين ينظرون إلى الاستشراق، وفق هذا القسم الثاني، كقضية إبتسمولوجية، وكأسلوب منهجي في معالجة بعض المسائل التاريخية والحضارية والثقافية.

فنقد الاستشراق، كتراث في معرفة الآخر/ الشرق، لا يعني، كما يظن الكثيرون رفضه بهدف إنتاج استشراق معكوس، يعكس صورة التمركز حول الذات، حماية للهوية، ودفاعا عن الخصوصية، وجلبا لكل ما من شأنه إعادة الصلة بالماضي العربي الإسلامي باعتباره المنطلق والأساس، على اعتبار أن كل موقف يدعو إلى هذا الضرب من التمركز السلبي حول الذات سيعيق الذات نفسها ـ عن استعادة كيانها، بالارتماء في مسارات المستقبل، وسيبدع ذاتا أخرى تتمركز حول الماضي، تنفق جل وقتها وجهدها في تبريره بما يجعله هو الآخر ـ خارج سياق التاريخ.

أقول: إن نقد التراث الاستشراقي بهذا النوع من الرؤية والموقف، إنما يهدف ـ على وجه الخصوص ـ إلى إنجاز القراءة النقدية العلمية لهذا التراث، بعيدا عن الرؤية المتشنجة والمتعصبة، مع العلم أن القيام بهذا النوع من القراءة يأخذ بعين الاعتبار أن الاستشراق ـ في مجموعه ـ خطاب معرفي أعاد قراءة واقع الشرق وتاريخه وثقافته وتراثه، وخاصة منه ذاك الذي أسس كيانه وحضارته الإسلام، الشيء الذي يضعنا أمام أكبر مشكلة في هذا السياق، ويتعلق الأمر بصعوبة الفصل بين المنظومة الإيديولوجية

التي أنتجت الخطاب الاستشراقي بحد ذاته، وبين الرؤية المعرفية التي يحاول المستشرقون تغليف بحوثهم بألوانها.

ودون أن ندخل في مجموع التفاصيل الموضحة لهذه العلاقات المتلازمة، فإنه يمكن القول: إن الاستشراق - بصفة عامة - ارتبط بهدفين أساسين، تجمعهما العبارة التالية: (معرفة الشرق لبناء الغرب)، وقد توزعت هذه المعرفة بين ما هو سياسي عسكري استعماري، وبين ما هو فكري ثقافي، كانت رغبة بعض المستشرقين خلالها - تسعى إلى تحقيق هدف الإطلاع على نموذج الثقافة التي أسس قواعدها الإسلام، ومنجزاتها في مختلف فروع المعرفة والفكر والثقافة، الشيء الذي وجه الاهتمام إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة النبوية على وجه الخصوص.

إننا على علم كبير بأنه بات من المعلوم، من القراءة المتتبعة لما كتب عن الإسلام بصفة عامة في البحوث والدراسات الغربية بالضرورة، أن السيرة النبوية نالت قسطا كبيرا من الاهتمام من قبل ثلة من الباحثين، إما بشكل فردي أو في صيغته الأكاديمية الرسمية، توزعت خلالها جل الأعمال بين الغلو في الرؤية والاعتدال في التحليل والإنصاف في القول، وذلك على الرغم من الطابع العام للبحث الاستشراقي الخاص بالسيرة النبوية الذي لم يخرج عن دائرة الرؤية التي حددت إطارها - مسبقا - الحملات التبشيرية المعادية لكل ما له صلة بالإسلام، وذلك في سياق إعادة تركيب التاريخ الإسلامي بما يتلاءم وحقيقة اهتمام أوربا ابتداء - بالشرق الإسلامي وتراثه وجغرافيته الثقافية والحضارية؛ ولعل هذا ما دفع بالكثيرين منهم إلى تسليط كامل الضوء على شخصية الرسول ﷺ وسيرته، باعتبارها المدخل الرئيس لفهم تكوين جيل الصحابة والتابعين، الذين أسسوا حضارة وقيما وسلوكا ثقافيا متميزا.

إن النشاط الاستشراقي ليس - في جوهره - فعلاً مجردا عن مضامينه الغربية، كما أنه ليس فعل أفراد دفعهم حب المعرفة لجعل الشرق موضوعا غربيا، وإنما هو في - حقيقة الأمر - ضرب من الممارسة الفكرية التي اقتضتها حاجة العقل الغربي الراغب في تحقيق الشمولية الثقافية، وذلك باختراق ثقافة الآخر، وإعادة إنتاجها بما يجعلها تندرج ضمن سياقات مركزة، وذلك في سياق تفكيره وتفكره في شؤون ذاته وغيره على حد سواء، وبهذا أصبح الشرق - عموما - وكما قال إدوارد سعيد : (اختراعا غربيا)[1]، كما أصبح الاستشراق من جهته - المرآة العاكسة لطبيعة نظرات الغرب إلى الآخر؛ إذ من

(1) إدوارد سعيد : الاستشراق، ص 37. (ترجمة كمال أبو ديب - مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت - لبنان 1984).

المعلوم أن الثقافة الغربية بصفة عامة ـ تسعى إلى اختراع حاجاتها، وذلك لسيطرة الرؤية الاستعلائية والإحساس بالتفوق العرقي ـ الثقافي.

من هنا يتبين أن البحث في شأن الآخر وجودا وثقافة ـ يتحول بالنسبة للمركزية الغربية ـ إلى نوع من البحث عن صدى تلك المركزية في الآخر.

فدراسة الآخر لا شأن لها بخصائصه الذاتية، وإنما بإعادة إنتاج مركزية الغرب، مقابل تهميش الآخر، وذلك بجعل ـ هذا الأخير ـ خادما، مستهلكا، تابعا، بل وفاقدا للحس الحضاري الذي يبعث فيه القابلية للنهوض والتطور والندية.

يتأسس على ما سلف ذكره، التأكيد على ضرورة الفصل بين تجربة الاستشراق المحكوم بالنزعة المتعصبة لأطروحة المركزية الغربية، والمدافع عن أطروحات الثقافة الصليبية، وبين تجربة معرفية حاولت، ولا تزال، الإفلات من إسار الإيديولوجيات الاستعمارية، بل وتجتهد قدر الإمكان ـ لجعل الرؤية الحضارية والمعرفية الآخذة بالمنهج الموضوعي البعيد عن التعصب والتشنج، خلفية تستند إليها في نشر ما وصلت إليه من معارف ومعلومات وحقائق.

إنه الاتجاه المعرفي ـ الثقافي الذي يتوجب علينا الاهتمام به، قراءة وتقييما وتقويما، وخاصة منه ذاك الذي يهتم بكل ما له صلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة.

غير أنه من حقنا أن نتساءل مع الكثيرين ـ قائلين: إذا كان الغربي كما يقول ميشل فوكو ـ : (عندما يدرس الآخر، فهو يعيد إنتاج نفسه، عبر إخضاع الآخر لمنهجيات العلوم الإنسانية التي تعتبر المحصلة التركيبية العليلة والأخيرة لتلك الميتافزيقا الإنسانوية ذاتها، التي تقود المشروع الثقافي الغربي)[1]، فهل استطاعت ثلة المستشرقين "المنصفين" الإفلات من قبضة الرؤية الاستعلائية للثقافة الغربية عموما، تلك التي دفعت بكولدزيهر، على سبيل المثال لا الحصر، إلى القول، وهو يتحدث عن شخصية الرسول ﷺ : (لكي نقدر عمل محمد من الوجهة التاريخية، ليس من الضروري، أن نتساءل عما إذا كان لتبشيره ابتكارا طريفا من كل الوجوه ناشئا عن روحه ... فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية وغيرها، التي تأثر بها تأثرا عميقا)[2]؟.

(1) الكلمات والأشياء، ص7، (ترجمة مطاع صفدي وآخرون ـ مركز الإنماء القومي ـ بيروت ـ لبنان، 1990).

(2) **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ص5، (ترجمة محمد موسى وآخرون ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة، 1946).

إنـه وعلـى الرغم من الجهود التـي بذلت لتكوين إطار مزيف للسيرة النبوية وتقديمها للأوربيين من جهة، حتى تحول دون فهمهم لحقيقة التاريخ كما جرت أحداثـه، ولـلـمسلمين من جهـة أخرى ـ حتـى تزاد لديهم حدة الضبـابـيـة في الرؤية، والقطيعة مع المعرفة الحقة لتاريخ هذه الأمة، تكون من أخطر نتائجها الانقسام في الوعي، واغتيـال العقل المسلم، فتسهل عمليات الاستلاب والتطبيع والتنميط الحضاري.

أقول، على الرغم من كل تلك الجهود، فإن ثمة دراسات وبحوث نعتبرها ذات قيمة، لا من حيث كونها حاولت الحياد والإنصاف ومقامة كل ما من شأنه الابتعاد عن الفهم العلمي للحوادث والوقائع، ولكن من حيث ما تميزت به من طابع الجرأة في الإفصاح عن أفكار أسست ـ في حقيقة الأمر ـ لخطوة مهمة في سياق إحداث نوع من الانقلاب التاريخي في المعرفة الغربية بالإسلام، فأصبحت بذلك ـ مثالا للعديد من الباحثين المعاصرين الذين أسسوا منهج فهمهم للإسلام، لا على التراكم الاستشراقي السابق، وإنما على أرضية الاستقلال في الفهم، والحركة في التعبير من دون الامتثال لقوالب جاهزة من الأحكام القبلية المؤسسة للجهاز المفهومي الذي به كان يقرأ تاريخ الشرق الإسلامي وحضارته وثقافته.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أتاح هذا الضرب المتميز من الرؤية إمكانات إعادة تصحيح صورة الإسلام في أذهان قطاع عريض من أبناء الغربيين أنفسهم، كما أسهمت ـ وعلى الرغم من قلة إنتاجاتها ـ في فتح خط التواصل العلمي بين الشرق والغرب، وذلك في سياق تضييق مساحة العداء التاريخي بين الضفتين، وتصحيح مقولة (الشرق اكتشاف غربي)، بما يسمح بتأسيس أرضية التواصل بدل القطيعة، والسلم بدل الحرب، والتكامل بدل التقاطع.

من هنا برزت قضية الاهتمام بالوجه الآخر من البحوث والدراسات الاستشراقية، ذاك الذي أسس اختياره الأكاديمي والبحثي على مبدأ الدراسة المنصفة والموضوعية لتاريخ السيرة النبوية، وذلك في سياق عدم الحكم على التراكم والإنتاج الاستشراقي الخاص بهذا المجال، بالتعصب وعدم الإنصاف وطلب الموضوعية في البحث والتحليل والدراسة، وإلا فإننا سنكون غير منصفين ـ نحن كذلك ـ في تقييمنا لتجربة الآخر الذي تعرف على السيرة النبوية في محاولة جادة منه لتكوين تراكم معرفي تاريخي كاف عن الشرق الذي أقام حضارته الإسلام.

إننا لا ننكر المهمة الشاقة التي قام بها ثلة من المستشرقين في خدمة التراث العربي الإسلامي، تحقيقا أو تجميعا أو دراسة أو تقديما، وذلك على الرغم مما قيل وما عرف عن الكثير من المؤسسات الاستشراقية من سرقة ونهب وتحوير وتزييف للحقائق التاريخية والمعرفية المتعلقة بالإسلام والمسلمين.

فبإسهام المستشرقين استطاعت الآلاف من المخطوطات أن تظهر على ساحة البحث والنشر، بعدما تراكم الباقي منها قرونا طويلة في غياهب الظل والنسيان وظلمة التلف؛ وبذلك، وعلى الرغم مما قيل بخصوصهم، فإن لكثير منهم يدا حسنة على تراثنا، جمعا وتحقيقا وطباعة ونشرا وترجمة، وخاصة منهم أولئك الذين تخلصوا من السلطة الرمزية والمادية للمؤسسات الكهنوتية أو الاستعمارية، وعاشوا يبحثون عن الحقيقة بروح تطلب العلمية والموضوعية قدر الإمكان، جعلتهم قليلي الأخطاء في تقويمهم وتقييمهم لتاريخ السيرة النبوية؛ الشيء الذي أحدث ثقبا خطيرا داخل التراكم المعرفي الاستشراقي، أطل من خلاله القراء والباحثون عموما على صورة أخرى لشخصية الرسولﷺ وسيرته، بعيدا عن الكتب والأفكار التي تصنع الأوهام في الأذهان من تلك التي انبرى أرنست رينان، ومن سار على منواله من المستشرقين، لبيان أفضلية الجنس الآري وعظمته وتفرده وتميزه عن الجنس السامي، وهي كلها أفكار وأطروحات نتجت عن الصدام الذي وجد بين الإسلام والمسيحية في أوربا القروسطية على وجه الخصوص، حتى ذهب (دي بيلو) في (المكتبة الشرقية) إلى حد القول، وهو يتحدث عن الرسولﷺ: " هذا هو المنتحل المشهور (ماهومت) المؤلف والمؤسس لهرطقة اتخذت لها اسم الدين، نسميها نحن (الماهومتية). وقد نسب مفسرو القرآن وفقهاء الشريعة الإسلامية، أو الماهومتية، إلى هذا النبي المزيف كل المدائح التي نسبها الآريون، والبولسيون أو البوالسة، والهراطقة الآخرون إلى يسوع المسيح، مجردين إياه في الوقت نفسه من ألوهيته"[1].

إن هذا الضرب من الفهم السيء المسيء في الآن ذاته ـ للإسلام وحضارته وتاريخه والمنتسبين إليه، يكشف عن عمق الأثر الذي تركته الثقافة الكنسية الكاثوليكية، خاصة، إزاء الإسلام، وهي الثقافة التي أنتجت حس العداء الصريح ضد كل ما له صلة بالإسلام وثقافته. وقد كشف المستشرق الفرنسي موريس بوكاي في كتابه " **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة** " عن هذا الحس عندما قال : " والواقع أننا ملزمون بملاحظة أن المعطيات الخاصة بالإسلام التي ذكرناها مجهولة

(1) المكتبة الشرقية، 648/2. نقلاً عن إدوارد سعيد : الاستشراق، ص94.

عموما في بلادنا الغربية، ولا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي اتبعت في تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان، وكيف فرض عليهم الجهل في كل ما يمس الإسلام. وهكذا، فإن الاستعمال السائد حتى اليوم في التسميات، مثل (الدين المحمدي) أو (المحمديون)، ليدل على الرغبة في أن تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأي الخاطئ والقائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل، أنه ليس لله (بالمعنى الذي يدركه المسيحيون) مكان في تلك المعتقدات؟. ولنضف أن كثيرا من معاصرينا المثقفين يهتمون بالجوانب الفلسفية والاجتماعية والسياسية في الإسلام دون أن يتساءلوا عن التنزيل الإسلامي بصورة خاصة، كما كان يجب عليهم أن يفعلوه، ويرون من البديهيات أن محمدا ﷺ قد اعتمد على ما سبقه، وذلك بقصد استبعاد قضية الوحي منذ البدء[1].

لكن، وعلى الرغم من بروز هذا النوع من الموقف العدائي للإسلام ورسوله ﷺ، فإن بروز الثقافة المتحررة في الغرب، ومنها على وجه الخصوص الثقافة الأكاديمية، أدى لا إلى إبراز الحقائق وتصويب الأفكار وتصحيح الأخطاء فقط، ولكن ـ وهذا هو المثير للانتباه ـ كان سببا في اعتناق العديد من المستشرقين للدين الإسلامي، ولعل هذا ما وقع مع المستشرق الفرنسي إتيين دينييه الذي عرف بعد اعتناقه الإسلام ـ باسم (ناصر الدين)، والذي قال في كتابه "**أشعة خاصة بنور الإسلام**": إن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبل التفكير، فقد يكون المرء صحيح الإسلام، وفي الوقت نفسه حر التفكير.

وكما أن الإسلام قد صلح ـ منذ نشأته ـ لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح ـ كذلك ـ لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات. وإن تعاليم المعتزلة، ذات القرابة المستترة، والصلة الخفية بتعاليم الصوفية، تجد مكانا رحبا وقبولا حسنا ورضاء سهلا سواء عند العالم الأوربي أو عند الزنجي الإفريقي، وهو الذي يصعب على المرء تخليصه من معتقداته الخرافية ومن معبوداته وأصنامه[2].

(1) موريس بوكاي : دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص6، وينظر كذلك للتوسع محمد أسد (ليوبولد فايس) : الإسلام على مفترق الطرق، ص 49، ومابعدها.

(2) نقلاً عن : مقدمة كتاب محمد رسول الله ـ إتيين دينيه، ص 13، ومن المستشرقين الذين اعتنقوا الإسلام نذكر :

- هنري دي كستري، صاحب كتاب : الإسلام خواطر وسوانح.
- رينيه جينو المعروف باسم الشيخ: عبد الواحد يحيى، صاحب كتاب (الشرق والغرب).
- القس دافيد بنجامين كلداني المعروف باسم عبد الأحد داود، صاحب كتاب (محمد في كتاب المقدس).
- ليبولد فايس المعروف باسم محمد أسد، صاحب كتاب (الإسلام على مفترق الطرق).
- روجيه غارودي الذي غير اسمه بعد اعتناقه الإسلام إلى رجاء غارودي، صاحب كتاب (مايعد به الإسلام).

ثانياً : السيرة النبوية في الاستشراق الألماني من خلال بعض نصوص المنصفين

1. توطئة

يذهب الكثير من الباحثين إلى أن عدم اهتمام ألمانيا باستعمار البلدان العربية قد أسهم في عدم خضوع البحث الاستشراقي للضغوط السياسية، وكذا لسلطة التبشير كما وقع للاستشراق الفرنسي على سبيل المثال، الشيء الذي دفع بالباحثين الألمان إلى الاهتمام بدراسة اللغة والتاريخ والثقافة بشكل مجرد، مما أتاح لهم اكتساب صفة التميز داخل نسق البحث الاستشراقي الأوربي.

ويرجع اهتمام الاستشراق الألماني بالشرق ـ عموما ـ إلى القرون الوسطى، أيام الملك شارلمان (786-814م)، الذي ربط علاقات ودية مع الدولة العباسية في المشرق العربي، وخصوصا في عهد الخليفة هارون الرشيد. كما تطورت هذه العلاقة زمن الوجود العربي الإسلامي بالأندلس، والذي دام ثمانية قرون، ثم على امتداد الحروب الصليبية التي دامت ثلاثة قرون، وما خلفته هذه الأخيرة من احتكاك مباشر بين القوتين، الإسلامية والأوربية، ناهيك عما أتاحته العلاقات مع الشرق من فرص لمعرفة ما تزخر به الحضارة الإسلامية من مقومات على مستويات عدة.

ويضاف إلى ما سلف، أن ألمانيا الاتحادية (قبل الوحدة الألمانية) شهدت أكثر من ست عشرة جامعة، في كل منها قسم للدراسات الشرقية، تتابع على الدراسة فيها أجيال المستشرقين الذين تفرغوا للدراسة والبحث والتحقيق، بل ومنهم من التحق بوظائف عليا في مجالات الشؤون الخارجية والعلاقات السياسية. وتعتبر جامعة (توبنجن) واحدة من أقدم الجامعات الألمانية في الصلة بالدراسات الشرقية.

وإذا كان الطابع الطاغي على الدراسات الاستشراقية الألمانية يتجلى في محاولتها تحقيق الاقتراب اللغوي والألسني، فإنه لا بد من التذكير بالمجهودات التي قامت بها مجموعة من المستشرقين الألمان من مثل (فلوجل 1802-1870) في فهرسة ألفاظ القرآن الكريم منذ أكثر من قرن في كتابه الشهير "**نجوم القرآن**"، والذي استمد منه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي كتابه القيم "**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**". كما نذكر مجهود المستشرق (كريستيان شنورر) (1742-1822) وكتابه "**المكتبة العربية**"، الذي تناول فيه وصف خمسمائة كتاب من الكتب العربية في أوربا حتى عصره.

ونذكر كذلك مجهودات المستشرق (رودي باريت) (1902-1983) الذي توج أعماله بترجمة النص القرآني إلى اللغة الألمانية مع دراسة تحليلية له. هذا دون أن ننسى المجهود الذي بذله (كارل بروكلمان) (1868-1956) الذي أمضى زهاء خمسين سنة من عمره في خدمة "**تاريخ الأدب العربي**"، ناهيك عن المستشرقة زيغرند هونكه صاحبة كتاب "**شمس الله تسطع على الغرب**"، والتي قالت في مقدمة طبعته العربية: «لم يكن من قبيل المصادفة بتة أن أكتب أنا السيدة الألمانية هذا الكتاب، فالعرب والألمان لا تربطهم فقط أيام دولتهم القوية التي انقسمت الآن، والتي بدأت صعودها من جديد بقوة وحيوية وعزم، إنما هي رابطة قوية من الفكر والثقافة قد وثقت العرى بينهما، امتدت جذورها في أعماق التاريخ، واستمرت على مر القرون، ومازالت آثارها حتى اليوم. ولهذا صممت على كتابة هذا المؤلف، وأردت أن أكرم العبقرية، وأن أتيح لمواطني فرصة العودة إلى تكريمها. كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم الذي حرمهم من سماعه طويلا تعصب ديني أعمى، أو جهل أحمق»[1].

هؤلاء نموذج من الباحثين، الذين مهما قيل فيهم، فإنهم في حقيقة الأمر أسهموا - إلى جانب آخرين من بلدان أخرى - في دفعنا إلى الاهتمام بحضارتنا وتاريخنا وتراثنا، كما حفظوا لنا الكثير من المخطوطات من الضياع والتلف.

2. نصوص استشراقية

وحتى نقترب أكثر من صنف المستشرقين المنصفين، نعرض في الورقات التالية بعضا من النصوص الدالة على ذلك، والتي تعكس في مجموعها صورة مخالفة لما ألفناه في الدراسات الاستشراقية المشوهة والمحرفة لحقيقة السيرة النبوية وتاريخ الدولة الإسلامية؛ ولهذا قال المستشرق الألماني رودي بارت في سياق الكلام عن هذه القضية: «حقيقة أن العلماء ورجال اللاهوت في العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الأولى في تعرفهم على الإسلام، وكانوا يتصلون بها على نطاق واسع، ولكن كل محاولة لتقييم هذه المصادر على نحو موضوعي نوعا ما، كانت تصطدم بحكم مسبق يتمثل في أن هذا الدين المعادي للنصرانية لا يمكن أن يكون فيه خير. وهكذا كان الناس لا يولون تصديقهم إلا لتلك المعلومات التي تتفق مع هذا الرأي المتخذ من قبل، وكانوا يتلقفون منهم كل الأخبار التي تلوح لهم مسيئة إلى النبي العربي وإلى دين الإسلام»[2].

(1) ص 9.

(2) رودي بارت : **الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية**، ص9-10. (ترجمة مصطفى ماهر).

يقول المستشرق الألماني دي تريسي فردريك (1821-1903) في كتابه "**مقولات أرسطا طاليس**": لو أنصفنا الإسلام لاتبعنا ما عنده من تعاليم وأحكام، لأن الكثير منها ليس في غيره، وقد زاد محمد نموا وعظمة، بحسن عنايته وعظيم إرادته. ويظهر من محمد أن دعوته لهذا الدين لم تكن إلا عن سبب سماوي. إننا نقول هذا لو أنصفناه فيما دعا إليه ونادى به، وإن من اتهم محمدا بالكذب فليتهم نفسه بالوهن والبلادة وعدم الوقوف على ما صدع به من حقائق[1].

يقول المستشرق الألماني ديسون (1817) في كتابه "**الحياة والشرائع**" : وليس يزعم أحد اليوم أن محمدا راح يزوّر دينا، وأنه كاذب في دعواه، أفاك في دعوته إذا عرف محمدا ودرس سيرته، وأشرف على ما يتمتع به دينه من تشريعات تصلح أن تظل مع الزمن مهما طال، وكل من يكتب عن محمد ودينه ما لا يجوز، فإنما هو من قلة التدبر، وضعف الاطلاع[2].

يقول المستشرق كارل هينرش بيكر (1876-1937) في كتابه "**الشرقيون**" : لقد أخطأ من قال إن نبي العرب دجال أو ساحر، لأنه لم يفهم مبدأه السامي. إن محمدا جدير بالتقدير، ومبدؤه حري بالاتباع، وليس لنا أن نحكم قبل أن نعمل. وإن محمدا خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدي والكمال. كما أننا لا نرى أن الديانة الإسلامية بعيدة عن الديانة المسيحية"[3].

ثالثاً : خلاصات واستنتاجات عامة.

أما بعد، فقد حاولت في الفقرات السابقة الكشف عن بعض الملامح الكبرى التي تميز الاستشراق الألماني في دراسته لشخصية الرسولﷺ، والكلام عنه وعن رسالته، وهي إحدى وجوه البحوث والدراسات التي حاولت قدر جهدها الإنصاف والموضوعية والعلمية، بعيدا عن كل ما من شأنه قلب الحقائق وتشويه التاريخ خدمة لمصالح خاصة غالبا ما كانت وراءها دوافع تعصب عرقي ثقافي.

ومن المعلوم أن هذه الدراسات والبحوث قد تعرضت إلى ضروب عدة من التضييق والنقد، لأنها خالفت المعهود من الأعمال، الشيء الذي يستوجب منا العمل

(1) المرجع نفسه، ص 56.

(2) نقلا عن محمد شريف الشيباني : **الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة**، ص 401 . دار الحضارة العربية - بيروت - لبنان، ط1، 1988).

(3) نقلا عن المرجع نفسه، ص 394.

على الاهتمام بهذا النوع من البحوث والدراسات، لا للاعتماد عليها في فهمنا لتراث السيرة النبوية، فلدينا ما يكفي من الدراسات الإسلامية والعربية لتحقيق هذا النوع من الأهداف، ولكن لتحقيق نوعين متكاملين من الأهداف، حيث يتعلق أولهما بتشجيع هذا الضرب من الفكر والبحوث حتى تتكون داخل الفكر الغربي عامة موجة جديدة من البحوث عن السيرة النبوية، بما يسمح بالرد من الخندق ذاته عن الكثير من التزييف والتحامل والعداء غير المنطقي لشخصية الرسول ﷺ، نحو ما ادعاه الكثيرون من أن أفكار الرسول ﷺ غير متجانسة، وغير منسجمة، ومضطربة أشد الاضطراب، أو أنه لا يعرف إلا القليل عن نسبه الشريف وأوائل حياته، بل إن هذا القليل قد أخذ يتناقض شيئا فشيئا كلما تقدم البحث العلمي.

إن هذا الضرب من الحكم على شخصه الكريم إنما مرده ـ في اعتقادنا على وجه الخصوص ـ إلى التأثير السلبي للمعرفة الكنسية الصليبية التي تمكنت من صياغة صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين وتاريخهم وتراثهم ، وذلك في سياق الحرب على الثقافة الإسلامية التي استطاعت بقيمها النبيلة أن تصل إلى البلاد الإسبانية، بل وتؤسس دولة إسلامية، بل وحضارة على أراضيها لسنين طويلة؛ الشيء الذي ضيق الخناق ـ شيئا ما ـ على النفوذ الكنسي في أوربا ذاتها.

إن هذا الضرب من الموقف كان له الأثر السلبي على العقل الأوربي لسنين طويلة، عاش الكثيرون من أبناء أوربا وسط دوامة من الأفكار المحرفة والمزيفة، إلى أن ظهرت على ساحة البحث العلمي العديد من الكتابات التي استطاع أصحابها التخلص ـ بشكل من الأشكال ـ من السلطة الإيديولوجية للفكر الكنسي.

وأما ثاني الهدفين، فيتعلق بإمكانات فتح المجال أمام تحقيق نوع من التواصل الفكري ـ الثقافي بيننا وبين رجالات هذا النوع من المستشرقين، وذلك من باب الاستئناس على الأقل ـ بما يتوفرون عليه من معطيات معرفية، وإمكانات مادية مهمة في باب التعامل مع التراث الإسلامي عموما، بما يمكن من استكمال الرؤية باتجاه مرحلة تاريخية مهمة في حياة المسلمين وحضارتهم.

نحن لا ندعي بأن الأمر يتوقف على هذا الضرب من المعرفة والفكر، كما أننا لا نقول بضرورة ذلك، أو أنه من قبيل قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)؛ ولكننا نقصد ـ من وراء ذلك ـ الاستفادة من جهود علمية ومعرفية قد تسعفنا في استكمال الرؤية، وإلا فإننا واثقون كل الثقة مما في جعبة مثقفينا وباحثينا من قدرات كفيلة بتصويب سهام البحث العلمي في الاتجاه المطلوب، وذلك كله من قبيل ترسيخ تقليد ما

يمكن أن نسميه (بالقراءة الثالثة للتراث النبوي)، والتي نقصد بها بكل إيجاز: قراءة الذات بعين الذات لا بعين الآخر.

وجماع القول في هذا السياق من الكلام: إننا نؤكد على أنه لا يهمنا ما قاله المستشرقون المنصفون بخصوص الرسول ﷺ إلا من باب فتح مساحات جديدة داخل الفكر الغربي ذاته، تمكن القارئ الجديد، سواء من أبناء أمتهم أو من أبناء أمتنا، الذين لا يعرفون عن حضارتهم إلا من خلال ما يكتبه الآخر عنها. أقول تمكننا من الاطلاع على ضرب جديد من البحث، مستقل عن ثقافة الإملاءات الإيديولوجية، بما يمنح غير المسلمين إمكانات تغيير الصورة النمطية المشوهة التي قدمتها ثقافة المركزية الأوربية بكل أجهزتها ومؤسساتها عن الإسلام والمسلمين، بدءا بالرسول ﷺ.

فنحن لا يؤثر فينا، ولا يغير من مواقفنا تجاه رسولنا ﷺ، أي فكر، كما أنه لا يزيد من شخصه في حسنا ومكانته في حياتنا ما قاله المنصفون، نحو ما قاله المستشرق السويسري ماكس فان برشم: «إن محمدا نبي العرب من أكبر مريدي الخير للإنسانية، وإن ظهور محمد للعالم إنما هو أثر عقل عال، وإن افتخرت آسيا بأبنائها فيحق لها أن تفتخر بهذا الرجل العظيم. إن من الظلم أن نغمط حق محمد الذي جاء من بلاد العرب وإليهم، وهم على ما علمنا من الحقد البغيض قبل بعثته، ثم كيف تبدلت أحوالهم الأخلاقية والاجتماعية والدينية بعد إعلانه النبوة»[1].

إن ما يؤثر فينا وفي حسنا، ويقوي مكانته في حياتنا ويكون نموذجيته في اختياراتنا، هو ما قاله القرآن الكريم عنه، وما خلفه وراءه من تراث جامع لمكارم أخلاق الإنسان الفاضل. قال الله عز وجل في وصفه : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[2].

من هنا يتبين بكل وضوح أن اهتمامنا بهذا الضرب من الفكر الاستشراقي لا يخرج عن الدائرة التي رسمناها آنفا في التعامل مع الفكر الغربي عامة؛ فميراث النبوة المحمدية حق لأبناء المسلمين، وقد لا نغالي إن قلنا في هذا السياق : إن العرب المسلمين هم الأولى بهذا الضرب من البحث والكتابة عن شخصية الرسولﷺ، فهم أدرى ـ من جهة ـ باللغة العربية، لغة القرآن الكريم ولغة الرسول ﷺ، كما أنهم ـ من جهة أخرى ـ أقدر الناس على فهم شخصية الرسولﷺ، لأنه منهم، بل والأحب إلى قلوبهم، وأهل مكة أدرى بشعابها كما يقال في المثل.

(1) العرب في آسية، نقلا عن محمد شريف الشيباني ـ مرجع سابق، ص 281.

(2) سورة القلم، الآية 4.

وبكلمة خاتمة جامعة نلخص ما سردناه آنفا في النقط التالية :

أولاً : إن اهتمامنا بالفكر الاستشراقي عموما، والفكر الاستشراقي الألماني خاصة، لا يخرج عن دائرة تفاعل ثقافتنا وفكرنا مع حضارات وثقافات العالم.

ثانياً : إن داخل الفكر الاستشراقي الغربي نموذج لفكر يمكن أن نطلق عليه (الاستشراق المنصف)، وهو كذلك لمحاولته الخروج عن نظام النهج التقليدي للفكر الاستشراقي ذي الوجهة الاستعمارية، وهذا الضرب من الفكر يقتضي منا الاهتمام به وتشجيعه والتعريف به بعد التعرف عليه.

ثالثاً : إن الاهتمام بهذا النوع من الفكر لا يعني ضرورته الحتمية لتحقيق خطوة فهمنا للسيرة النبوية، بقدر ما يعني ـ على وجه الخصوص ـ الاستئناس ببعض إنتاجاته لاستكمال الصورة العامة للسيرة النبوية إذا اقتضى الأمر ذلك.

رابعاً وأخيراً : إن الضرورة تقتضي تشجيع القراءة بعين الذات لهذه السيرة بدل الإبقاء على نموذج القراءة بعين الآخر في ثقافتنا وفكرنا، ويدخل في هذا السياق إخضاع القراءات الاستشراقية ذاتها لعملية الغربلة والتمحيص، فهي لا تخلو من آثار الثقافة الغربية، مهما حاولت الإنصاف والتزام شرط الموضوعية.

الجلسة العلمية الرابعة

السيرة النبوية في الأدب الألماني ووسائل الإعلام الألمانية

المـتـحـدثـان :

- د. عبد الرزاق المسلك
- د. خالد لزعر

غوته ورسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم

د. عبد الرزاق مسلك(*)

يعتبر غوته[1] (1740ـ 1832) من أهم وأشهر الأدباء والشعراء الألمان الذين اهتموا كثيرا بالشرق وبالعالم الإسلامي دينا وحضارة وأدبا، وقد أبانت كتاباته الأدبية عن عمق التأثير الذي أحدثه اهتمامه بالأدب والشعر العربيين، وكذا بالإسلام ومبادئه السمحة. وقد أدى تأثر غوته بالأدب العربي إلى إبداع مصطلح الأدب العالمي، ذاك المصطلح الذي ينطوي على مبادئ الاحترام المتبادل والتسامح بين الأمم والشعوب[2]. أما تأثر غوته بالإسلام، فيظهره كتابه "**الديوان الشرقي للكاتب الغربي**"، الذي يحتوي فعلا على عصارة أفكاره الشرقية التي انبثقت عن هذا الحوار التثاقفي الإيجابي الذي تم بين أديب ألمانيا الشهير غوته وثقافة الإسلام وحضارته. ويبين هذا التأثر، محاولته كتابة عمل درامي عن محمد ﷺ لم يكتمل، ولكن بقيت قصيدته الرائعة "**أنشودة محمد**" في مدحه ﷺ التي ضمنها هذا العمل خالدة إلى الأبد. إن المرء اليوم لا يملك إلا أن يستحضر بإجلال هذا التعامل الإيجابي مع الآخر الذي جسده غوته في زمانه، وأن يستفيد من هذه التجربة العالمية ويتخذها مثالا يحتذى به في طريقة التعامل مع ثقافات وحضارات الآخرين.

(*) رئيس شعبة اللغة الألمانية سابقاً. وهو حالياً، أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز ـ فاس، وأستاذ زائر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس، وأستاذ بمدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة. متخصص في دراسة اللسانيات الألمانية، ومهتم بالدراسات الاستشراقية.

(1) ولد غوته في فرانكفورت بألمانيا وبدأ دراسة الحقوق في ليبتسيغ ثم انتقل إلى مدينة استراسبورغ ليكمل دراسته، وهناك التقى الكاتب الألماني الشهير هردر الذي أطلعه على الشعر والأدب العربيين كما نصحه بقراءة القرآن. رحل سنة 1776، إلى مدينة فايمار الألمانية، حيث عمل في سلك الدولة. له مؤلفات عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : آلام السيد فرتر، الديوان الشرقي للكاتب الغربي، ومسرحية فاوست.

(2) مومزن، كتارينا : غوته والعالم العربي، ترجمة عدنان عباس علي، سلسلة دار المعرفة، عدد 194، الكويت، 1995، ص 5.

وإذا كانت بعض أعمال غوته قد ترجمت إلى العربية، وإذا كان بعض الكتاب العرب قد حاول تناول بعض جوانب العلاقة القائمة بين غوته والإسلام بالدراسة والتحليل، فإن جانبا مهما من هذه العلاقة لم يتناول بما فيه الكفاية، وأعني بذلك رؤية غوته إلى محمد ﷺ والإلهامات الأدبية التي كان مصدرها محمد عليه الصلاة والسلام. وهذا الجانب من العلاقة يمثل موضوع هذا المقال، وذلك انطلاقا من كون رسول الإسلام محمد ﷺ قد ألهم شاعرية غوته إلهاما يفوق ما أدركه الباحثون حتى الآن، كما عبرت عن ذلك الكاتبة الألمانية كاتارينا مومزن المتخصصة في كتابات غوته[1].

وقبل أن أسترسل في معالجة الموضوع، لابد أولا من ذكر الأسباب التي جعلت هذا الأديب الألماني الكبير يهتم بالعرب وبأدبهم ولغتهم ودينهم، وذكر المؤثرات الخارجية التي أدت إلى حدوث هذا اللقاء الثقافي الشرقي الغربي الهام.

تنطلق الكاتبة الألمانية مومزن ـ في إطار إجابتها عن التساؤل، لماذا اهتم غوته بالعرب وانشغل بهم؟ ـ من كون العرب بالنسبة له "أمة تبني مجدها على تراث موروث، وتتمسك بعادات تعارفت عليها منذ القدم. وإلى جانب تمسكهم الواعي بالتقاليد الموروثة، فإن من الأمور التي استحوذت على إعجابه وأثارت اهتمامه بهم الفخر بالنفس والاعتداد بالنسب والاعتزاز بطرائق حياة الآباء. كما استأثرت بهواه، أصالة قريحتهم الشعرية وتذوقهم للغة وقدرتهم على التصور والخيال. وكان قد لمس باهتمام يبلغ حد الإعجاب والإكبار، ما انطوى عليه الشعر العربي من ارتباط بالطبيعة وحماس وحمية وظرف، إلى جانب الحب العارم والبر والإحسان وكرم الضيافة، بالإضافة إلى سمات متناقضة كالتمسك بالدين من ناحية والروح المستنفرة الوثابة التي لا تأبه بالمسالمة حتى تأخذ الثأر من ناحية أخرى، أو المبالغة وذرابة اللسان والفخر والحماسة من ناحية، والحلم والحنكة وسداد الرأي والقدرة على صياغة الحكمة بالعبارة الموجزة والتسليم بالقدر من ناحية أخرى[2].

إن افتتان غوته بالعرب وبأدبهم، جعله يهتم بكل ما كتبوا وما كتب عنهم. وهكذا طالع شعرهم الذي أعجب به كثيرا وخاصة المعلقات، كما قرأ كتاب ألف ليلة

(1) انظر مومزن : **غوته والعالم العربي**. مرجع سابق، ص 13.

(2) مومزن : **غوته والعالم العربي**. مرجع سابق، ص 11.

وليلة[1] وتأثر به أشد التأثر، كما اهتم بالدراسات الاستشراقية الألمانية خاصة تلك التي جعلت من اللغة العربية موضوع بحثها. ولم يكتف غوته بذلك، بل اطلع كذلك على أدب الرحلات[2] الذي وصف الجزيرة العربية وما حولها، كما حاول تعلم اللغة العربية.

هذه العلاقة الحميمية التي كانت تربط غوته بالإسلام وبنبيه محمد ﷺ، مردها إلى شيئين اثنين : أولهما الحقبة التاريخية التي عاش فيها غوته والأفكار التي كانت سائدة آنذاك، وثانيهما نزعة ذاتية انفرد بها غوته عن سائر معاصريه.

فيما يخص حقبة غوته التاريخية، فقد امتازت بانفتاح بعض مفكريها، الأدباء منهم والفلاسفة، على الإسلام ونبيه ورجاله، عكس ما كان عليه الشأن من قبل. وقد مثل هؤلاء المفكرون طليعة ما سمي من بعد بعصر التنوير في ألمانيا، ونخص بالذكر منهم ليسنغ[3] وهردر[4] وكانط[5]. ولما كان الإسلام دين حرية وتسامح، فقد يمم هؤلاء وجوههم نحوه يرتوون من معينه الذي لا ينضب ويتأسون برجاله، وفي مقدمتهم نبي الإسلام محمد ﷺ. ولقد أشار فوك إلى هذا المعنى في كتابه عن تاريخ الدراسات العربية في أوربا[6]. إذ أكد فيه على أن الاهتمام المسيحي الكنسي بالمصادر العربية

---

(1) انظر كتاب **مومزن الذي عالجت فيه بإسهاب علاقة غوته بحكايات ألف ليلة وليلة.**

(2) Mommsen, Katharina: Goethe und 1001 Nacht. Suhrkamp Verlag, Frankfurt am Main, 1981.

- اهتم غوته خاصة بالبعثة الاستكشافية التي ضمت خمسة باحثين كان ضمنهم نيبور صاحب كتاب "**وصف جزيرة العرب**"، والتي كلفها الملك الدنماركي سنة 1761 بالسفر إلى اليمن بهدف الاستكشاف. وقد كان غوته يرجع إلى كتاب **نيبور عن جزيرة العرب كثيرا من الأحيان**، خاصة عندما قام بترجمة مسرحية فولتير عن محمدﷺ، وذلك من أجل أن يستلهم منها صورا عن الملابس العربية التي سيرتديها الممثلون خلال العرض. بقي أن نشير إلى أن غوته، كما أكدت ذلك مومزن، قام بتغيير بعض مقاطع المسرحية والتعابير اللغوية التي لا تليق بمقام رسول الإسلام محمد ﷺ.

(3) ولد ليسين(1781.1729) بمدينة كامنس الألمانية، ودرس الطب واللاهوت بميونيخ. احترف الكتابة ببرلين، ثم عمل ابتداء من 1770 مكلفا بمكتبة مدينة فولفنبيتل. من أهم مؤلفاته: تربية الجنس البشري، إمليا غالوتي ومسرحية ناطان الحكيم التي عبر فيها عن قيمة التسامح في التعايش الاجتماعي والعالمي، وقد مثلت شخصية القائد الإسلامي صلاح الدين في هذه المسرحية قمة التسامح.

(4) ازداد هردر (1803.1744) بمدينة مورونغن الألمانية ودرس الطب واللاهوت والفلسفة. أكمل دراسته باستراسبورغ، حيث تعرف على غوته. رحل إلى فرنسا سنة 1769، ثم عاد إلى مدينة فايمار بطلب من غوته سنة 1776. من مؤلفاته : مقال في أصل اللغات، وحول الأدب الألماني الجديد.

(5) ولد كانط (1804.1724) بمدينة كونيغسبرغ الألمانية ودرس في جامعتها الطب والفلسفة والمنطق، ثم درس بها لاحقا نفس المواد. له مؤلفات عديدة نخص بالذكر منها: كتاب نقد العقل الخالص، ومقال ما معنى التنوير الذي بين فيه ما المقصود بمصطلح التنوير في الألمانية، كما أكد فيه على قيمتي التسامح والتحرر من سلطة الكنيسة الدينية.

(6) Johann Fück; Die arabischen Studien in Europa bis in den Anfang des 20. Jahrhunderts. 1955 Otto Harrossowitz, Leipzig.

واختيار نصوص منها، دفع بالأوربيين إلى الإطلاع عليها، ولكن دون أن يمنعهم من توجيه نظرهم مباشرة إلى الإسلام نفسه، نظرا للتفوق الطبيعي للتراث الإسلامي آنذاك. وهكذا ترجم القرآن الذي منعت ترجمته من قبل البابا ألكسندر السابع، وبدأت الدراسات العربية تتحرر من العقلية اللاهوتية. وبفضل التنويريين تعالت الأصوات لتقول أن حركة انتشرت انتشارا واسعا في آسيا وإفريقيا بل وحتى في أوربا، لا يمكن أن تكون غير عقلانية ومثيرة للسخرية، كما لا يمكن أن يدحضها الإنسان بمجرد الكلام أو أن يحاول انتزاعها نهائيا من الوجود، بل يجب التعامل الجدي مع هذه الظاهرة القوية من التاريخ الأسيوي بدراستها بموضوعية وبدون تحيز[1]. فترجمت تبعا لذلك العديد من الكتب العربية التي ساهمت مساهمة فعالة في تغيير نظرة أوربا إلى الشرق الإسلامي، "بحيث لم تعد أوربا تنظر إليه على أنه منبت الكفر والزندقة، بل على أنه شرق متحول تحت سماء صافية، بألوانه البراقة وغناه الذي ينبض، بخلفائه ووزرائه وقضاته، بحريمه وسحرته وجنه وحكمائه : عالم مليء بالمغامرات الخيالية والأحداث المتجددة [2]. إن فوك يذهب أبعد من هذا، ليؤكد أن القرآن صار يقرأ قراءة مختلفة عن ذي قبل، وأن الناس اكتشفت الرسول ﷺ بمزايا إيجابية عكس ما كان عليه الحال في القرون الوسطى، بحيث أن كاتبا فرنسيا جعله ﷺ بطلا لعمل له لم ينشر إلا بعد موته سنة 1730، انتقد فيه رجال الدين المسيحي وجعل منه مؤسس ديانة عقلانية تفوق بكثير الديانة المسيحية [3].

إن هذا الجو الفكري والثقافي المنفتح شيئا ما على الآخر الذي ترعرع فيه غوته، جعل منه أديبا لا يشذ عن معاصريه التنويريين، غير أن مومزن تدعي بحق "أن صلة غوته الروحية بالإسلام - وهذا هو الأمر الحاسم الذي يميزه عن غيره - لم تكن حصيلة الجهود التي بذلتها حركة التنوير لنشر التسامح وإزالة أحكام الماضي الخاطئة فحسب، بل كان على الأرجح حصيلة الميل الشخصي الذي كان غوته يكنه (للنبي) محمد ﷺ وللإسلام، ولهذا فاقت تعبيراته وتصريحاته عن الإسلام كل ما كان قيل عنه في ألمانيا حتى ذلك الحين من حيث القوة والجسارة والتحدي"[4]. إن هذا الميل الشخصي للتدين

(1) راجع كتاب **فوك**. مرجع سابق. ص 97 - 98.

(2) نفس المرجع، ص 101.

(3) Henry Boulainvilliers: **La vie de Mahomet; avec des reflections sur la religion des musulmans.** London 1730) .

نقلا عن فوك، مرجع سابق، ص 10.

(4) انظر مومزن: **غوته والعالم العربي**. مرجع سابق، ص 144.

الذي دفعه بعد ذلك إلى احترام الدين الإسلامي ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام، ظهر عند غوته مبكرا، وساعده معاصره هردر على صقله وتوجيهه الوجهة الصحيحة. إذ بدافع منه أقبل غوته على قراءة ترجمات القرآن ودراسته؛ وقد ووجد ضالته في القرآن، إذ أن المعتقدات الإسلامية الواردة في القرآن كانت تتفق مع معتقداته الدينية والفلسفية، هذه المعتقدات الأساسية هي: فكرة التوحيد (...)، وأنه سبحانه يخاطب البشر على لسان الرسل، ورفض الخوارق والاعتقاد بأن التدين الحق لابد أن يثبت وجوده عن طريق البر والإحسان[1].

هذا التوافق الباطني، كما تدعي مومزن، بكل جوانبه التي وجدها غوته في الإسلام، قد خلق لديه شعورا بأواصر قربى من نوع خاص، بلغت من العمق مبلغا يستطيع المرء معه أن يقول، إنه لولاها لكان من الصعب عليه غاية الصعوبة تأليف كتابه "**الديوان الشرقي**".

إن أول عمل قام به غوته فيما يخص النبي ﷺ، هو تدوينه ضمن ملاحظاته العديد من الآيات القرآنية التي كانت تخصه ﷺ، وذلك قصد معرفته عليه الصلاة والسلام أتم المعرفة، ومن ضمن الآيات التي دونها، الآيات التالية : ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾[2]، و﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾[3]، و﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون**﴾[4]، وفيما يخص الآية الأخيرة، كان بعض معاصري غوته ينظرون إلى أميته عليه الصلاة والسلام بريبة، إلا أن غوته لم ينظر إليها كذلك بل اعتبرها دليلا على أسبقية الكلمة الشفهية على الكلمة المكتوبة، وفي هذا السياق كتب في الديوان الشرقي : "وأود أن أتعلم كيف كانت الكلمة هناك ذات شأن كبير، لا لشيء إلا لأنها كلمة فاهت بها الشفاه"[5].

إن قراءة غوته المتأنية والمتكررة للقرآن وكتب السيرة، أدت به إلى محاولة كتابة **عمل درامي عن محمد** ﷺ، وذلك سنة 1772، إلا أن هذا العمل لم يكتب له أن يرى النور، فبقي عبارة عن شذرات. ومن ضمن هذه الشذرات، بقيت قصيدته في مدح النبي ﷺ خالدة

(1) نفس المرجع، ص 148.

(2) سورة آل عمران، الآية143.

(3) سورة الرعد، الآية 7.

(4) سورة العنكبوت، الآية 48.

(5) نقلا عن مومزن، مرجع سابق، ص 157.

رغم مرور الأيام والسنين، وهي القصيدة التي نريد أن نختم بها هذا المقال. وقبل أن نوردها، لا بأس من الاطلاع على ما كتبته مومزن في حق هذه القصيدة. تقول مومزن: "وتصور القصيدة النبي بصفته هاديا للبشر، في صورة نهر يبدأ بالتدفق رقيقا هادئا، ثم لا يلبث أن يجيش بشكل مطرد ويتحول في عنفوانه إلى سيل عارم، وهي تصور اتساع هذا النهر وتعاظم قوته الروحية في زحفها الظافر الرائع لتصب أخيرا في البحر المحيط، رمز الألوهية".

وتستطرد مومزن قائلة : "وتقوم هذه الصورة التي رسمها الشاعر على فكرة مفادها، أن العبقري الرباني يرى الآخرين إخوة له يأخذ بأيديهم ويشدهم معه، منطلقا بهم كالسيل العارم الذي يجرف كل ما يصادفه في طريقه من جداول وأنهار إلى البحر المحيط"[1].

بقي أخيرا أن نشير، أن القصيدة في صيغتها الأولى ظهرت على شكل حوار بين فاطمة بنت رسول الله ﷺ وزوجها علي كرم الله وجهه، وقد آثرنا أن ننشرها اليوم مترجمة إلى العربية في صيغتها الثانية، يعني على شكل قصيدة كما نشرت ضمن أعمال غوته الشعرية.

(1) نفس المرجع، ص 159.

أنشودة محمد

انظروا إلى العين النابعة من بين الصخور

تشع فرحا مثل نظرة النجوم

فوق السحب

غذت شبابه

أرواح مقدسة

في الأدغال بين الصخور

منذ الصبا

يرقص خلال السحاب نحو المرمر تارة

وأخرى يهلل فرحا نحو السماء

عبر مسالك القمم يطارد الحصى ذي الألوان البهية

وبخطوة قائد مبكرة

يأخذ أصحابه معه

هناك في السهل تتفتح الورود

تحت قدمه

ومن نفسه تقتات المروج

لا السهل الظليل يحبسه

ولا الأزهار التي تحيط بركبته

ناظرة إليه بعيون الحب

بعد السهل في السير ينحرف

بأنس تلتصق الجداول

يخطو الآن في السهل زاهيا كالفضة

والسهل يزهو معه

ووديانه

وجداول الجبال تهلل وتنادي يا أخي،

يا أخي، خذ معك الأخوة

إلى أبيك الأزلي

إلى المحيط الأبدي

الذي ينتظرنا بذراعين ممدودتين

كي تحتضن التواقين إليه

لكن دون جدوى

ذلك أن رملا متراميا يلتهمنا

في صحراء قاحلة

والشمس من فوقنا تمتص دماءنا

تل يحول دوننا والمحيط !

أخي، اصطحب معك

الإخوة من السهل، والإخوة من الجبال

واتجه نحو الإله!

تعالوا كلكم!

يتجلى الآن أجمل،

جنس كله يحمل الأمير نحو الأعلى!

وفي عز نصر متوال يعطي البلدان أسماء

وتغدو المدن تحت قدميه

يمضي متحديا كل العقب

تاركا وراءه أعالي الأبراج

ودور المرمر: ذاك من إبداع حنكته.

أطلس يحمل دور الأرز فوق كتفيه القوية

آلاف الأعلام ترفرف خفاقة

فوق رأسه

شاهدة على عظمته.

وهكذا يحمل إخوته وخيراته وأطفاله

إلى خالقه الذي ينتظر!

والفرحة تملأ قلبه.

الإسلام ونبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) والجدل حولهما في بعض الكتابات الألمانية

د. خالد لزعر(*)

بسم الله الرحمن الرحيم،

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن مشكلة الغرب عامة وأوربا خاصة بعد سقوط جدار برلين، هي كيفية التعامل مع حملة الدين الإسلامي في بلدانهم؛ فعدد الندوات التي تحمل عنوان الحوار أو الاندماج ... إلخ، لا يحصر وهو في تزايد مستمر.

عدد 4/5 لسنة 89/90 Wuqûf كتب صراحة في مجلة : Hanspeter Mattes

Was die religise Komponente der geistigen Kultur, also das Islambild in der deutschen Reiseliteratur anbelangt, so ist hier auffallend, dass weit von einem christlich-islamischen Dialog entfernt der Islam zu einem bedrohlichen Popanz auf gebauscht wird (1).

فيما يتعلق بصورة الإسلام في أدب الرحلة، فإنه يظهر جليا أننا بعيدون عن الحوار بين المسيحية والإسلام، وإنه يصور على أنه شيء مهدد ومخيف.

وهذه القولة تظهر جليا مدى اقتناع كاتبها بعدم جدوى محاولات الحوار بين المسيحية والإسلام، حيث أن هذا الأخير يبقى بمثابة كابوس يجلب الذعر.

(*) رئيس شعبة اللغة الألمانية بكلية الآداب، ظهر المهراز ـ فاس.

(1) Mattes, Hanspeter : Das Bild Marokkos in der deutschsprachigen Reiseliteratur der Zwischenkriegszeit 1918-1939 und des zweiten Weltkriegs, in : Wuqûf 4-5 (1989/90), Hamburg 1991, 351p.

من خلال هذا التصور يمكننا القول، بأن صورة الإسلام في ألمانيا مشوهة منذ القديم على صعيد ما قدمته كتب الرحالة الألمان، أمثال, G. Rohlfs, Conring:
.Horowitz, Lenz, Pietsch,

فـ Conring يفسر تخلف المغاربة في القرن 19 بكونهم مسلمين، والإسلام حسب اعتقاده نقيض كل تحضر.

Überhaupt ist der Islamismus der Widerspruch jeder modernen und socialen Organisation, Wie wir solche in Europa verstehen (1) .

وبما أن هذه الفكرة تكررت ورددها عدد هائل من الكتاب والمفكرين، أصبحت شيئا مفروغا منه لدى الذاكرة الشعبية الألمانية، وفي نفس السياق يمكننا إضافة ما قاله Friedeberg الذي زاد كلمة تزمت أو تشدد في وصفه للإسلام.

Infolge des herrschenden religiösen Fanatismus ist das Land noch unglaublich r ückständig (2).

أما الخوف الكبير فينتاب القارئ الألماني الذي يتصفح كتاب Lwenstein، حيث يجعل حياة النصارى في خطر كلما التقوا بمسلمين :

denn nach ihrem Glauben sei es ein guter Werk, einen ungläubigen Nazarener zu tödten: man verdiene dadurch das Paradies (3).

"لأنه ـ حسب دينهم ـ قتل نصراني عمل محمود، وصاحبه يستحق الجنة".

فمثل هذه الجمل، تجعل القارئ الساذج في ذعر وحالة نفسية، لا يمكنه معها إلا أن يرفض الإسلام ويحقد على المنتسبين إليه.

أما الرحالة الشهير G.Rohlfs، فإنه يحذر من أي خوض في المسائل الدينية مع المسلمين، حيث أنهم ـ حسب رأيه ـ لا يقبلون الفكر المنطقي، ويردّون على كل مناقش بلغة السيف والنار.

---

(1) onring, Adolph von: Marroco, das Land und die Leute, Berlin 1884, 18p.

(2) Friedeberg, M.: Die Juden in Marokko. In: Allgemeine Zeitung des Judenthums Nr.6/7, Leipzig 1903, 81p.

(3) Löwenstein, Wilhelm zu, Prinz: Ausflug von Lissabon nach Andalusien und in den Norden von Marokko im Frühjahr 1845, Dresden und Leipzig 1846, 168p.

Es würde indess lebensgefhrlich sein, einem Taleb zu sagen:

Da Gott allmächtig ist und Alles erschaffen hat, so hat er doch auch den Teufel geschaffen; odes, der Teufel als gefallener Engel hat doch nur mit Wissen und Willen Gottes fallen können. Man würde in Gefahr sein, verbrannt zu werden, wenn man einem Faki sagte: Da Gott Alles esschaffen hat, so muB er doch auch das Böse, die Sünde, geschaffen haben, wie erklärst Du das mit der Allgüte Gottes, Gottes, welcher doch nur der Inbegriff alles Guten sein soll? Ein marokkanischer Geistlicher würde nicht antworten'mit unerforschlichen Geheimnissen', die wir nicht zu ergründen vermögen, sindern gleich mit 'Feuer und Schwert [1].

فالإسلام عرف في أوربا بدين السيف والنار، لدرجة أن الكاتب الصحفي يقول "إنه بخطر حقيقي إذا قلت لطالب: بما أن الله قوي وخلق كل شيء، إذن إنه خلق كذلك الشيطان أو إن الشيطان لم يخرج من الجنة إلا بعلم وإرادة الله. إن الإنسان يكون في خطر أن يحرقه إذا ما قال المرء لفقيه: بما أن الله خلق كل شيء، إذن ضروري أنه خلق كذلك الشر والذنب كيف نفسر هذا مع خير الله، الذي من المفروض أن يكون تكريسا للخير ؟ فالعالم المغربي لن يجيب بأسرار غير مفهومة، بل إنه يجيب بلغة النار والسيف:

Peter Scholl-Latour عنون كتابه: ـ سيف الإسلام الثورة بسم الله ـ وفي الصفحة 124 من هذا الكتاب يقول عن أحد الخطباء إنه استبدل في خطبه ليوم الجمعة سيف الإسلام ببندقية عصرية. إن عنصر العنف والشراسة موجود بشكل متواتر في الكتابات الألمانية منذ الحروب الصليبية، وخصوصا يتم التركيز عليه من خلال ربطه باستحقاق الجنة. ففي كتاب Genthe نقرأ :

Überdies ist es in den Augen eines rechtgläubigen Marokkaners noch immer im Grunde ein Gott wohlgefälliges werk, einen Christenhund umzubringen [2].

(1) Rohlfs, Gerhard: Mein erster Aufenthalt in Marokko und Reise südlich vom Atlas durch die Oasen Draa und Tafilet. Bremen 1873, 96-97

(2) Genthe, Siegfried: Marokko. Reiseschilderungen. Berlin 1906, 367

"وفوق هذا إنه في أعين مغربي مسلم يعتبر قبل كلب مسيحي شيء محمود عند الله".

أما النصوص التاريخية التي تهاجم المسلمين على مستوى الدين فقط، فهي قديمة جدا ويمكن إرجاعها لأيام الحروب الصليبية، في القرن 12، وتتكون من تعاليق وقصائد مثل das Rolandslied لـ Konrad, Pfaffe سنة 1170 وما يعرف بـ Kreuzlieder لـ Friedrich von Hausen و Hartmann von Aue و Walther von der Vogelweide[1].

المسلمون أو كما كانوا يسمونهم "Heiden" تلزم حسب الشوفينية الدينية محاربتهم، لأنهم يشكلون خطرا على المجتمع المسيحي.

وهكذا يظهر لنا جليا أن التخوف الذي طرحه S.Huntington ليس بجديد، وإنما هو متجذر في الفكر الغربي منذ قرون عديدة.

وصورة الإسلام في الذاكرة الألمانية تخضع لثلاثة معايير وهي: النزعة الشيطانية ـ المثالية، وقليلا بل ونادرا ونسبيا الموضوعية. وكل هذه المعايير توضح أن هذه الصورة، تتأثر بالمعطيات السياسية الداخلية. فمن أهم المحطات التي يجب التنبه إليها حرب Amselfeld في كوسوفا سنة 1389، التي انتهت لصالح العثمانيين على حساب الصرب، والتي احتل بموجبها العثمانيون القسطنطينية سنة 1453.

فالتوسع العثماني كان أشد خطرا على العالم الألماني خلال الاحتلالين لمدينة فينا في سنة 1529 وسنة 1683، وخصوصا هذا الأخير الذي خلف حالة ذعر أثرت في الذاكرة الشعبية النمساوية. ومن النصوص المهمة التي تبلور مدى هذا الخوف من المسلم العثماني، نذكر على سبيل المثال "vom Krieg wider die Türken و Heerpredigt wider den Türken لـ M.Luther

فالنص الأول ظهر قبل الاحتلال الأول لمدينة فيينا، والثاني مباشرة بعد ذلك. فالتركي (المسلم)، يظهر في النصين على أنه عدو وضد المسيحي: من يحارب ضد التركي فهو يحارب ضد الشيطان. نقرأ لـ M.Luther :

Nemlich, das es keinen zweifel haben sol, wer widder den Türcken (so er krieg anseht) streit, das er widder Gottes feind und christus lesterer, ja widder den teuffel selbt streit

Heerpredigt wider den Türken, M.Lutherische Kritische Gesamtausgabe 30, Bd.2 1909 S. 173.

(1) Die Anthologie Kreuzzugdichtung. Hrsg. Von Ulrich Müller. Tübingen 1979.

يذهب Luther لأبعد من هذا، حيث يتحدث عن القرآن الكريم بأوصاف لا تليق بكلام الله "faul schendlich buch"، ويهاجم مفهوم الجهاد (ص123). فهو يقول: "التركي هو عصا الإله ومصيبته (ص180 tgiderpreeH)، فهو يبيع الأطفال والنساء والرجال كالنعم والخنازير في سوق النخاسة 185. وفي صفحة 187 يتطرق لمظاهر التدين لدى المسلمين، على أنها خداع شيطاني لابد من فضحه والتصدي له. أما Daniel Casper von Lohenstein، فقد كتب مسرحيتين أظهر فيهما طبائع المسلمين الأتراك، فسواء في Ibrahim Bassa 1650 أم في Ibrahim Sultan 1673 وكذلك Anderas Gryphius في مسرحيته Katharina von Georgien 1655 تظهر صور الملوك المسلمين الأتراك أو الفرس على أنهم سفاكو دماء، وكمنشغلين بالجنس ومتطرفين غير عقلانيين. وهذا الحكم أصبح تمطيا وتلخصه مجموعة Turcica: die Türkendrucke.

europäischen Türkendrucke druche des XVI Jh.s; hrsg. Von Carl Göllner.

ومن يبحث في الصورة النمطية للأتراك وللمسلمين في ألمانيا، سيتطرق كذلك لأغاني الأتراك. فالنصوص التي ترسخ تشويها للإسلام لاحصر لها وموجودة، وخصوصا في عصرنا في وسائل الإعلام.

أما بالنسبة للشاعر الكبير J.W Goethe، فعلاقته بالنبي محمد ﷺ كانت علاقة تتسم بنوع من المنافسة. فالشاعر كان غالبا ما يستقي إلهامه الشعري من الرسول الكريم[1]. فالشاعر قام بترجمة مسرحية Voltaitre 1800، ولم يتفق Goethe مع النبي ﷺ فيما يخص عدم تشجيع الفن والشعر والإبداع، ويأخذ لبيد كمثال حيث أنه لم يقل شعرا بعد اعتناقه الإسلام (ص137 K.Mommsen). وتقول الباحثة Mommsen K .. في ص159.

Ganz im allgemeinen stand das Abendland dem Islam vom 7. bis Ende des 17. Jh.s , also während rund eines Jahrtausends feindlich gegenüber?.

على العموم، كليا كان موقف الغرب من الإسلام من القرن 7 إلى أواخر القرن 17، يعني على مدار ألف سنة، عدائيا.

ومنذ الحروب الصليبية تمت عدة ترجمات للقرآن الكريم في أوربا، والتي كان من ورائها رجال الكنيسة المسيحية، بهدف النيل من الإسلام ومحاربته، والبداية كانت مع ترجمة القس Petrus Venerabilis von Cluny سنة 1143.

ولم يقتصر هذا العدوان على الكتاب المقدس فقط، بل وتعداه ليشمل حياة النبي الكريم محمد ﷺ، ومن أهم هذه النصوص نذكر على سبيل المثال :

(1) Die Anthologie Kreuzzugdichtung. Hrsg. Von Ulrich Müller. Tübingen 1979.

The true nature of Imposture fully displayd in the life of Mahomet. By Humphery Prideaux. London 1697.

والترجمة الألمانية لم يفصح عنوانها عن هذا العدوان لشخص النبي ﷺ.

Das Leben Mahomets Leipzig 1699.

وصورة النبي ﷺ كنصّاب وغشاش، ظهرت في ألمانيا بعد ترجمة Gottsched لكتاب Pierre Bayle (1702-1695) Dictionnaire Historique et Critique Gitique، الذي كان عليه طلب كبير من لدن قراء القرن(160 Mommsen) .

أما Goethe فقد تاه في قراءة هذا الكتاب الذي وجده في مكتبة أبيه.

وقراءات Goethe لم تقتصر على ما هو قدحي، بل تفطن كذلك لكتاب البروتستاني الهولندي Reland, Hadrian (ترجم 1717 .1705) De religione Mohammedica، الذي أعطى فيه صورة مشرفة عن النبي محمد ﷺ ولم يخف Goethe رفضه لمسرحية Voltaire Le Fanatisme ou Mahomet le prophte، حيث أنه ترجمها وأدخل عليها تعديلات كثيرة. أما النظرة المصححة للإسلام فممثلوها هم Leibniz, Lessing : وHerder وLeibniz .

يظهر النبي محمد ﷺ كجدير بالاحترام، لأنه لم يزغ عن الديانة الطبيعية وأنصاره يتبعون دائما ديانة إبراهيم وموسى. وLessing يعتبر مثالا على تسامح الديانات، فمسرحيته Nathan de Weise أو Cardanus يبرز من خلالها أن الديانات السماوية الثلاثة تدعو لإله واحد.

في كتاب Rettung des Hier (onymus) Cardanus 1752، يتطرق Lessing لبعض كتب Reland وSale التي يبرز من خلالها أن الرسول محمد ﷺ ليس بمخادع مجنون، وأن ديانته ليست منتوج شر ولا تحريف.

وكان الأجدر بالبابا Benedikt XVI . سرد مثل. هذه النصوص، عوض الاستناد على مقولة كان العالمان الغربي والشرقي في غنى عنها.

أما Herder فوصف شخصية النبي الكريم في كتابه Ideen zur (Philosophieeiner Geschichte (1791) وعلى عكس Herder فإن David Friedrich Megerlin أول مترجم للقرآن من العربية للألمانية، فيصف النبي الكريم بأوصاف غير لائقة، حيث نقرأ في أول ورقة عنوان. Mohamed der Falsche Prophet:

وفي الصفحة 25 يكتب "Mahomed als Apoc (alysis) 13 angezeigte Thier: der falsche Prophet und grste Anti christ seye"(9) ويصف القرآن ص29. على أنه كتاب الأكاذيب ″ ؟ .

والترجمة على حد قوله دورها :

den Antichrist Mahomed... besser kennenzulernen, und Gott zu bitten, diesem gewaltttigen Reich, und seiner aberglubigen Religion im Koran, bald ein ende zu machen..., dass jesus, und sein selig machendes Evangelium allein herrsche, und wieder empor komme: wann die Mohamedaner, Juden und Heiden in den Schafstall Christi nach und nach, durch billige Mittel eingeführt werden.

ورغم قبول Herder لشخصية النبي محمد ﷺ، يبقى الغالب عليه هو المنطق العقلاني المادي، حيث أنه يصف إسراء الرسول ﷺ ليلاً أنه حلم، وهذا شغل تفكيره منذ صيف 1177، وخصوصا في مقاله″ Shakespeare″. والذي يُظهر أن، Goethe۔ رغم ما كان يبديه من احترام للنبي محمد ﷺ ۔ لم ينزه الرسول عن خاصيات البشر، هو إطلاقه لقب ″محمد العالم″ أو″محمد الدنيا″ على Napoléon قيصر فرنسا في 8 غشت 1806[1]، وكذلك كان الشأن بالنسبة لصديق Goethe Cartl August von Sachsen Weimar الذي كان يقارن بالمناسبة Napoléon بالنبي محمدﷺ.

فالهجوم لم يستهدف النبيﷺ فحسب، بل والقرآن كذلك، حيث أن في القرن الثامن تحدث عنه Johannes von Damaskus في(كتاب السخرية).

لن أتحدث في هذا العرض عن الكاريكاتورات الهادفة إلى النيل من شخصية النبي ﷺ، ولكني سأقتصر على القول بأن هذه الأنواع من الصور المشوهة قديمة، حيث نجدها في الترجمة التي قام بها Megerlin سنة 1772، وأضاف عليها قوله: Mohumed, der Falsche Prophet .

ولا ضير أن أتطرق هنا لجملة تعكس أفكار الرحالة الكذاب K.May، الذي أثر كذلك بشكل كبير في الذاكرة الشعبية الألمانية.

O Mohammed ,ich hasse dich, denn du hast unseren Frauen die Seele genommen und sie zu Skalvinnen der Sinnenlust gemacht ? [2].

(1) Ebd. 215

(2) May, Karl: Von Bagdad nach Stambul, S.174 f. cité selon A.Pflitsch : Mythos Orient S.137.

أما إذا انتقلنا إلى الجانب الإعلامي، فإنه يشكل أكبر خطر على المجتمع الألماني، الذي يعتبر ضحية لما يروجه هذا الإعلام تحت غطاء حرية الصحافة. على سبيل المثال، أذكر مقالة نشرتها جريدة ذات توزيع هام في ألمانيا FAZ يوم 7 أكتوبر 2005 والتي عنونها صاحبها Islamische Expansionskriege (حروب التوسع الإسلامية)، فهو يتحدث عن الهجمات الإسلامية ضد المسيحيين على عهد النبي محمد ﷺ، ويضيف أن الرسول الكريم أعطى لقب "سيف الله" للقائد الحربي خالد بن الوليد، بل وإن محمدا ﷺ أوصى خليفته أبا بكر بتدمير كل الكفار. وأما عبقرية كاتب المقال، فتظهر جليا حين توصل إلى ربط قتل حبر قرطبة Enlogius يوم 11 مارس 859 وأحداث 11 مارس 2004 في مدريد، فهو ينحي فرضية الصدفة ويرجع الحدثين لتخطيط هادف، تخطيط وإرادة التدبير المبيتة من قبل الإسلام ضد المسيحيين. ويذهب صاحب المقال، إلى وصف التعايش والتقارب الثقافي السلمي في الأندلس بأنه من صنع واقتراح الرومنسية لا أكثر.

أما استناد البابا Benedikt XVI على قولة للقيصر البيزنطي في القرن 14.

Zeig mir doch, was Mohammed Neues gebracht, und da wirst du nur Schlechtes und Inhumanes finden wie dies, dass er vorgeschrieben hat, den Glauben, den er predigte, durch das Schwert zu verbreiten.

"أريني ما الجديد الذي أتى به محمد فلن تجد إذ ذاك سوى القبيح اللاإنساني، قيل إنه أملي نشر عقيدته بالسيف".

وفي مجلة Spiegel عدد 38 ليوم 2006/9/18 نقرأ:

Der Papst im Vatican hat sich der zionistisch-amerikanischen Allianz gegen den Islam angeschlossen.

klagte Tajdid, die wichtigste Tageszeitung im Königreich Marokko? (s.70).

البابا في الفاتكان انضوى تحت الحلف الصهيوني الأمريكي، نددت بهذا "التجديد"، أهم جريدة يومية في المملكة ـ المغربية.

فمثل هذه النعوت الرخيصة لها دلالة عميقة، حيث يعتقد القارئ الألماني أن الحزب الذي وراء هذه الجريدة هو السائد وهو صاحب الأغلبية، في حين أن هذا خاطئ. وهناك إشارة أخرى لمفهوم انتشار الإسلام بالسيف في نفس المجلة legeip، ص 37، حيث نقرأ:

"الحملات المظفرة للإسلام كانت كذلك انتصارا بواسطة السيف، التي هي لغاية اليوم رمز قوي للدين، حيث أعد ليزين علم المملكة العربية السعودية".

ويضيف صاحب المقال على لسان الرسول محمد ﷺ "انظر أني بعثت من الله بالسيف، الدناءة والذل لكل من يقف ضد حاجتي".

إن مثل هذه الأقوال تدرج في الصحافة الألمانية دون الاستناد على مراجع علمية، وتتناقلها الشفاه إلى أن تصير Klischees يصعب معها كل حوار جاد وبناء. فألمانيا تعتبر حرية الصحافة مكتسبا لا ينبغي أن نناقش نسبيته؛ وهذا ما جاء على لسان وزير الداخلية Schuble. إن تاريخ ألمانيا وخصوصا في القرن 20 يلزمها اتخاذ الحذر من الانزلاق في إعطاء الحرية المطلقة وكذلك في تضييق الخناق، وإن أفضل مبدأ يمكنها اعتماده، هو قول النبي الكريم ﷺ: «خير الأمور أوسطها».

وشكراً.

التوصيات والبيان الختامي

بسم الله الرحمن الرحيم

انعقدت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس ـ فاس، بالمملكة المغربية، أيام 5 و6 و7 ، ربيع الثاني عام 1428هـ/25-24-23 أبريل 2007م، ندوة دولية في موضوع: "**السيرة النبوية في الكتابات الألمانية**" نظمها فريق البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز التابع لكلية الآداب سايس ـ فاس، وشارك فيها ثلة من العلماء والمفكرين والباحثين من دول عربية ودولية.

وقد افتتحت الندوة أشغالها بآيات بينات من الذكر الحكيم.

وركزت كلمات الافتتاح على أهمية الندوة والأجواء الثقافية والفكرية التي تنعقد فيها؛ وذلك في وقت كثر فيه الهجوم على الشخصية النبوية الشريفة، الأمر الذي يستدعي خدمة السنة النبوية والتركيز على دلائل النبوة فيها، وبالتالي كشف الخفاء وبيان مواطن الشبهات التي تطال أفكار المستشرقين بكل موضوعية للتأكيد على صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

وعقب ذلك عقدت الندوة خمس جلسات عمل تم خلالها عرض جملة من البحوث العلمية القيمة التي تناولت قضايا استشراقية متنوعة تتعلق بالسيرة النبوية، والنبي محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي الألماني، وتمت مناقشتها في إطار الجدية والموضوعية والعقلانية وأدب الحوار والمناظرة.

وإن المشاركين في هذه الندوة المباركة واعترافا منهم بالجهود المبذولة من أجل التصحيح اللازم ودحض الشبهات والمزاعم الناتجة عن سوء فهم أو مركب جهل، والتي تشكك في أحداث السيرة النبوية، وتشوه صورة النبي الكريم...

وإيمانا منهم بالمسؤولية المشتركة في ضرورة تصحيح المفاهيم المغلوطة، والكشف عن خلفيات المغرضين ومناهجهم المختلفة، ووعيا منهم بضرورة تبصير طلاب الحقيقة من المستشرقين المنصفين من جهة، وتبصير أبناء الأمة الإسلامية ممن يعتمد تلك الدراسات مصادر للبحث والدراسة عن تاريخ وحضارة الإسلام.

وتقديرا منهم لكل مبادرة طيبة في التعاون العلمي الجاد والمثمر بين المؤسسات والجهات المختصة في دراسة السيرة النبوية في الاستشراق.

من أجل هذا وغيره، فإن المشاركين ينوهون بهذه المبادرة الهادفة ويباركون أشغالها معبرين عن ابتهاجهم بالجو العلمي وأدب الحوار والروح الأخوية التي خيمت عليها، ويتمنون اللقاء في جمع مبارك مماثل وفي موضوع آخر يهتم بسيرة النبي المصطفى ﷺ.

وعليه فقد خلص السادة العلماء والمفكرون والباحثون المشاركون في هذا اللقاء إلى مجموعة من التوصيات المهمة وهي:

أولاً : التعامل مع رموز الاستشراق الألماني بالهدوء والروية، واعتماد ضابط العقل والعلم والرؤية الواضحة في الحوار.

ثانياً : ضرورة نهج أسلوب الاجتهاد والتفاني في العمل من أجل معرفة الآخر، والآخر الألماني خاصة، مع تحديد الرؤية ووضع البرنامج والأولويات.

ثالثاً : التفكير في إحداث وحدات متخصصة في الدراسات الألمانية في الجامعات المغربية، ومنفتحة أكثر على الكتابات المنصفة خصوصا منها ما اتصل بالثقافة والفكر واللغة.

رابعاً : إحداث شعبة للاستغراب في جامعات فاس مقابل شعبة الاستشراق في الجامعات الغربية، وفتح جسور التعاون مع المؤسسة المغربية الألمانية للتربية والثقافة والعلوم بهذا الخصوص.

خامساً : رغبة المستشرقين الألمان في مد جسور الحوار حول التراث الإسلامي وإنتاجاتهم فيه وموقفهم منه.

سادساً : توسيع دائرة المناقشة بخصوص الموضوع العام لهذه الندوة، وذلك من خلال تنظيم لقاءات مماثلة، مع استدعاء المستشرقين المعنيين

بالدراسة والذين ما يزالون على قيد الحياة لحضور هذه المؤتمرات، ثم الدعوة إلى تنظيم ندوة علمية بألمانيا في الموضوع ذاته، ومناقشة القضية مع الباحثين الألمان المعاصرين.

سابعاً : إعداد موسوعة في السيرة النبوية محققة ومحكمة.

ثامناً : إحداث وحدة بحث علمي متخصصة في نشر مخطوطات السيرة النبوية.

تاسعاً: فتح مسلك للدكتوراه في موضوع : السيرة النبوية في الدراسات الاستشراقية الألمانية.

عاشراً:إصدار دليل ببليوغرافي للتعريف بالدارسين الألمان والدراسات الألمانية في موضوع السيرة النبوية.

حادي عشر : إنشاء كرسي للسيرة النبوية بتمويل من الجهات المحسنة، وبتفعيل من العلماء، تتحدد أهدافه في تصحيح المفاهيم المغلوطة ورد الشبهات المغرضة.

ثاني عشر: إقامة ندوة علمية حول السيرة النبوية في الكتابات الفرنسية والإسبانية والإنجليزية حتى يتم التطرق لأغوار السيرة في الغرب كله.

ثالث عشر : العمل على خلق دور للنشر مختصة في ترجمات الكتابات الألمانية إلى العربية وبالعكس.

رابع عشر : طبع أعمال الندوة، وفي أقرب الآجال، مع ترجمة الأوراق إلى الألمانية إن أمكن من أجل تبادل المعارف مع مؤسسات استشراقية ألمانية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التقرير العام لجلسات الندوة

في إطار الاحتفال بفاس عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة 2007 شهدت رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس، ندوة دولية، في موضوع: "**السيرة النبوية في الكتابات الألمانية**"، سهر على تنظيمها فريق البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز، التابع للكلية، بتعاون مع وزارة الثقافة والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

تميز اليوم الأول من أعمال الندوة بالجلسة الافتتاحية التي ترأسها السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس ـ فاس، استهلت بآيات بينات من الذكر الحكيم، تلتها كلمات الوفود الرسمية ممثلة في كلمة وزير الثقافة السيد محمد الأشعري، وكلمة نائب رئيس مجلس مدينة فاس السيد محمد الشباب، وكلمة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وكلمة المندوب الجهوي لوزارة الأوقاف بجهة فاس بولمان السيد عبد السلام الغرميني، وكلمة المجلس العلمي لمدينة فاس، وكلمة رئيس شعبة الدراسات الإسلامية السيد عبد الله معصر، وكلمة اللجنة المنظمة للسيد سعيد المغناوي. وحضر الجلسة الافتتاحية ضيوف الشرف السيد Woelke Jurgen الملحق الثقافي بالسفارة الألمانية، والسيد رئيس جامعة القرويين بالنيابة وعميد كلية الشريعة السيد علي الصقلي الحسني، وعميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز السيد عبد الرحمن طنكول.

عقب الجلسة الافتتاحية تمت زيارة معرض مطبوعات كل من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الإيسيسكو، ووزارة الثقافة، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس.

وتشكلت بعد ذلك الجلسة العلمية الأولى ترأسها الدكتور الجيلالي المريني، قدم خلالها الدكتور فاروق حمادة، محاضرة حول مستقبل دراسة السيرة النبوية وآفاقها.

اليوم الثاني من الندوة شهد الجلسة العلمية الأولى ترأسها الدكتور عبد الرحمن طنكول تناولت محور: مناهج المسشرقين الألمان في دراسة السيرة النبوية، وقدم خلالها الدكتور خالد زهري ورقة، تحت عنوان: منهج المستشرقين الألمان في قراءة السيرة النبوية في ضوء التصوف والعرفان. استهل مداخلته بالحديث عن السيرة النبوية من المنظور الصوفي والعرفاني، وأكد على أن السيرة ليست تسجيلا للشمائل النبوية فقط، لكنها أيضا إشراقات عرفانية وأذواق روحانية أي أنها شريعة وطريقة وحقيقة. وأشار إلى أن المنظور العرفاني للسيرة النبوية هو الذي أدى إلى ظهور نظرية "الإنسان الكامل"، التي كانت محل دراسة كثير من المستشرقين، من بينهم المستشرق الألماني هلموت ريتر Hellmut Rither، ويورد الدكتور زهري، ما قاله محمد بن علي الحكيم الترمذي في كتابه "**ختم الأولياء**": عن عدم انقطاع الوراثة النبوية وباستمرارها في شخص الأولياء.

ويعتبر أن المستشرق بيرند راتكه الذي قام بنشر كتاب "**ختم الأولياء**" تحت عنوان "**سيرة الأولياء**"، هو من بين المستشرقين الألمان الذين أدركوا الخيوط الدقيقة التي تربط بين النبوة والولاية، والذين استشفوا التداخل بين سيرة النبي وسيرة الولي.

ويذهب إلى القول بأن المستشرقين الألمان كانوا أعمق فهما للسيرة النبوية باستحضارهم الأبعاد الرومانتيكية في دراستها والتعامل مع قضاياها.

ينتقل للحديث عن المستشرق الألماني هلموت ريتر الذي قام بتحقيق كتاب "**مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب**" لابن الدباغ، وبترجمة "**كيمياء السعادة**" لأبي حامد الغزالي، واعتبر أن هذين الكتابين إلى جانب إحياء علوم الدين من أهم المؤلفات في المحبة والعشق.

وعاب الدكتور زهري على المستشرق "ريتر"، عدم فهمه لطبيعة العلاقة بين النبي وورثته الأولياء، وفهمه الخاطئ للمحبة والعشق والجمال في الحقل الصوفي، ثم قوله بأن الكتب الصوفية المؤلفة في العشق والجمال تأثرت بفلسفة أفلاطون، ويرجع مجانبة ريتر للصواب إلى عدم استحضاره للأبعاد الروحية للسيرة النبوية ولنظرية الإنسان الكامل المبنية على نظرية النور الأزلي المحمدي.

وتقدم الدكتور إدريس مقبول بورقة، تحت عنوان: ملامح المنهج المادي الإسقاطي في كتابة السيرة النبوية عند المستشرقين الألمان (نموذج فلهاوزن).

افتتح الدكتور مقبول مداخلته بالحديث عن اهتمام الألمان بالسيرة النبوية، وأشار إلى أن هذا الاهتمام جاء متأخرا بالمقارنة مع باقي البلدان الأوروبية. ثم عرج على التعريف بالمستشرق يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen وذكر مؤلفاته وآثاره، وتحدث عن منهجه المادي الإسقاطي، حيث حرص فلهاوزن على أن يقرأ النصوص قراءة علمانية مقطوعة الصلة بأي مدلول ديني، وقد كتب في السيرة النبوية ضمن مصنفه "**تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**"، وخصص لها ثلاثين صفحة فقط، ومما أثاره فلهاوزن في سيرته أن محمدا ﷺ صانع القرآن نافيا بذلك مفهوم الوحي انطلاقا من موقفه العقلاني والوضعي.

ثم أنه عليه السلام سياسي علماني، كما تحدث عن محمد وظلمه لليهود، محمد والطموح الشخصي، محمد والتمييز العنصري، محمد والإرهاب، محمد والإسلام الوثني، وكلها عناوين تعكس تجليات منهجه المادي الإسقاطي الذي أخضع له السيرة النبوية. وقد سجل الدكتور مقبول ردوده على هذه المغالطات، واستخلص أن فلهاوزن وأضرابه غابت عنهم حقائق كثيرة نتيجة إعمالهم المنهج الإسقاطي في تفسير مجريات السيرة النبوية.

وكانت مساهمة الدكتور أحمد بوعود، تحت عنوان: يوسف فان إيس (المعراج وبداية علم الكلام).

في البداية أكد على اهتمام الاستشراق الألماني بالتراث الإسلامي عموما تأليفا وتحقيقا، وأشار إلى اختلاف منهج الألمان عن غيرهم نظرا لانعدام الدوافع الاستعمارية التي كانت للفرنسيين والبريطانيين، مع أن هذا لم يمنع من وقوعهم في نفس الأخطاء المنهجية للاستشراق العالمي.

ويعد يوسف فان إيس من المستشرقين الألمان الذين عنوا بدراسة التراث الإسلامي، مستخدما المنهج الفيلولوجي لمعاجلة اهتماماته في هذا الإطار. وذكر الدكتور بوعود أن يوسف فان إيس تناول قضية معراج الرسول ﷺ باعتبارها بداية لعلم الكلام، ويرى أنها حادثة مشتركة بين محمد وعيسى عليهما السلام.

وقد أثار في قضيته هاته رؤية الله تعالى، وعدها مشكلا أقلق الإسلام منذ بداية التفكير عبر المصطلحات والمفاهيم الكلامية.

وقام بدراسة الآيات التي تحدثت عن المعراج ليخلص إلى القول أن كل تفسير مهما كانت طبيعته يضمر موقفا كلاميا.

كما عرض للمسألة بدراسة عدد من الأحاديث والأقوال، ويستخلص من خلال دراسته لما جاء في القرآن والسنة والسيرة، ومواقف الصحابة : أن أحدا لم يعتقد أن الرسول ﷺ قد رأى ربه، بل أنه قد سمع صوته فحسب من وراء حجاب، مثلما لم يعد أحد يعتقد أن حادث المعراج كان محض حلم رآه الرسول ﷺ، بل إنه حادث حقيقي، معجزة.

وأكد الدكتور بوعود في الأخير أن منهج فان إيس منهج جدير بالاهتمام لأنه يحلل الوثائق والنصوص الموجودة ويكشف عن انسجامها، فضلاً عن صحتها، وهذا منهج مهم في دراسة التراث وقضاياه لأنه بعيد عن توظيف الإيديولوجيات ثم إن المستشرقين يخوضون في قضايا دقيقة جدا، وهو ما يغيب عن الفكر الإسلامي المعاصر الذي يكتفي بالسطحية والتعميم، وهو أولى بالتدقيق والتنقيب.

وشارك في هذه الجلسة Dr. Michael Marx بورقة تحت عنوان.

Abraham Geiger et son impact sur les études du Coran

والدكتور حسن عزوزي، بمداخلة تحت عنوان: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في فكر المستشرق الألماني نولدك.

الجلسة العلمية الثالثة ترأسها الدكتور عبد الله المعصر، وعالجت محور: البحث والكتابة في السيرة النبوية عند المستشرقين الألمان. تقدم فيها الدكتور عبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي من جامعة الإمارات العربية المتحدة، بورقة تحت عنوان: جهود المستشرقين الألمان في التصنيف في السيرة النبوية عرض وتحليل.

تطرق في مستهلها لدور المدرسة الاستشراقية الألمانية في مد جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي وأوربا، والاهتمام الذي أولته لسيرة الرسول ﷺ تصنيفا وترجمة وتحقيقا ونشرا، واستعرض أسماء نخبة من المستشرقين الألمان وآثارهم المتعلقة بالتراث الإسلامي، وأورد مقتطفات من كتاباتهم عن السيرة النبوية مبرزا لما بها من إنصاف أو تحامل.

وقسم الدكتور الكبيسي المستشرقين الألمان إلى منصفين أبت عقليتهم العلمية الانسياق وراء النزعات الحاقدة، فحاولوا أن يكونوا أكثر موضوعية، وإلى متعصبين مجحفين في حق الإسلام ونبيه، عن قصد وعمد بغية تشويه الحقائق وتنفير الغربيين من الإسلام، فكانوا يقدمون أعمالا قيمة لكنها مدسوسة بسموم خطيرة عن الدين

الإسلامي، ثم استعرض الدكتور الكبيسي مواصفات المنهج الاستشراقي وما تضمنه من مغالطات وبعد عن الحقيقة، لاسيما فيما يتعلق بكتابة السيرة النبوية.

وساهم الدكتور محمد عبدو بعرض ذكر فيه ما ألف عن رسول الله باللغة الألمانية، تحت عنوان : "**عرض ببليوغرافي لما ألف عن رسول الله ﷺ باللغة الألمانية**". واشتمل على عدد من المؤلفات منها ما كتب باللغة الألمانية ومنها ما ترجم إلى اللغة الألمانية، وقسم الدكتور عبدو عرضه إلى ثلاثة أقسام.

قسم ضمنه كتب مؤلفين مسلمين من عرب وباكستانيين وأتراك، وعددها ثلاث وعشرون مؤلفا.

وقسم ثان اشتمل على كتب لمؤلفين من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا، وعددها عشرة كتب.

وقسم ثالث يضم كتبا لم تشر المصادر إلى أسماء مؤلفيها وهي ستة كتب.

وشارك الدكتور محمد آيت الفران بورقة تحت عنوان: مدرسة لايبسيغ الألمانية والكتابة في السيرة النبوية (هرمان ريكندورف مثالا) استهل مداخلته بالحديث عن أهمية الإنتاج العلمي الألماني فيما يتعلق بتاريخ العرب والمسلمين، وأشار إلى مدرستين مركزيتين في دراسة الإسلام وقضاياه: جامعة برلين بقيادة ذة. أنجليكا نويفيرت Neuwirth Angelika، وجامعة إيرلنغن بقيادة هارتموت بوبتسين Hartmut Bobzin، مع التأكيد على مدرسة لايبسيغ Leibzig الألمانية ودورها في مسيرة الدراسات الاستشراقية الألمانية، وذكر من رجالاتها هرمان ريكندورف الذي كتب عن السيرة النبوية كتابا بعنوان : "**محمد وصحبه**" nenies eid dnu demmahoM. وبعد أن عرف الدكتور آيت الفران بالخطوط المعرفية الكبرى لمدرسة لايبسيغ، والإنتاج العلمي لريكندورف، تحدث عن كتابه المذكور عن سيرة نبي الإسلام، مستعرضا مضامينه، ومبديا ملاحظاته حول المؤلف والكتاب. مؤكدا على أن اهتمام ركيندورف بكتابة السيرة لا يعدو أن يكون مفتاحا لإثبات الذات علميا وترسيخ موقع الباحث في العربية وتاريخ الإسلام، لأنه لم يشتهر ككاتب سيرة، بقدر اشتهاره كباحث متضلع في النحو العربي. وتقدمت الأستاذة حنان السقاط بمداخلة تحت عنوان : كتاب : "**محمد حياته وعقيدته لطور أندريه**".

Tor Andrae: Mohamet: sa vie et sa doctrine

في البداية أشارت الأستاذة السقاط إلى أهمية الخوض فيما ألفه الآخر عنا، على أساس أن الخوض في الآراء المضادة، يفتح اتجاهات جديدة للبحث والتحقيق والتحليل العلمي.

ثم أردفت الأستاذة متحدثة عما يميز المستشرق To-Andrane، فهو سويدي الجنسية، لكنه ألماني الثقافة والمنهج، ويبدو ذلك من خلال ميله للتعمق والتحليل الدقيق في الأمور اللاهوتية والفلسفية، ومن حيث اعتماده على مناهج التحليل النفسي الفرويدي. وهو أيضا مؤرخ أديان، ومسؤول عن الشؤون الدينية في بلاده، وفاعل ديني في الكنيسة السويدية. وكان همه إبراز أن الإسلام كما أتى به محمد هو في حقيقة الأمر إقرار بصحة وصلاحية الدينين اليهودي والمسيحي. ثم أن انتماءه لبلد غير استعماري، أعطى أهمية لكتابه "**محمد: حياته وعقيدته**"، ذلك أن مبرر الاستعمار لم يكن هو الدافع لتأليفه.

ولا يخفي "طور" إعجابه بشخصية الرسول الكريم، ويعتبره عبقرية بجميع المواصفات العلمية والأخلاقية والروحية والقيادية. وأبرزت الأستاذة السقاط، تشديد "طور" على التأثير الكبير للحنفيين وللفكر الكنيسي في التصور الإسلامي. وإشادته بنجاح محمد صلى الله عليه وسلم في تأسيس أمة إسلامية، ووضع تأصيل لمؤسساتها الإدارية والقضائية والعسكرية والدينية والاقتصادية.

ويخلص المستشرق السويدي إلى القول بأنه مهما تناقضت الآراء واختلفت عمليات تقييم شخصية الرسول ﷺ، من لدن الغربيين، فإنه طبع تاريخ الإنسانية، وأعطى للتاريخ توجها لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهله. إن الرجل في نظره عظيم وفق جميع المعايير.

كما أسهمت الدكتورة سعيدة العلمي بمداخلة تحت عنوان: "الاستشراق الألماني ومخطوطات السيرة النبوية.

الجلسة العلمية الرابعة ترأستها الدكتورة جميلة زيان عضو المجلس العلمي لمدينة فاس، تمت خلالها معالجة محور: الاتجاهات الحديثة عند المستشرقين الألمان في الكتابة في السيرة النبوية. تقدم خلالها الدكتور نور الدين بن مختار الخادمي، من تونس، بورقة تحت عنوان : "**البعد الأصولي والمقاصدي في الكتابات الاستشراقية الألمانية**" استهلها بإبراز المراد بالبعد الأصولي والمراد بالبعد المقاصدي، وأورد تعريفات تهم المجالين معا، وتطرق للمراد بالكتابات الاستشراقية الألمانية، وأنها

عنوان للشأن المعرفي المهتم بالشرق العربي الإسلامي. ثم عرض لما يعنيه الاستشراق وأهدافه المعرفية والحضارية. وأشار إلى أن مداخلته محاولة لرسم صورة أولية عن طبيعة الكتابات الاستشراقية، ومدى التفاتها إلى البعد الأصولي والمقاصدي.

وتحدث الدكتور الخادمي عن المعالم الإجمالية للكتابات الاستشراقية الألمانية، منها عدم التطرق إلى الدراسة المتخصصة في أصول الفقه ومقاصد الشريعة، والاقتصار على التناول المكتبي الببليوغرافي، والتناول المبعض، والتناول الشكلي والسطحي والظاهري الغير المتعمق، والتناول الإسقاطي، والتناول التشكيكي، والتناول الافتراضي

ثم أنها دراسة مشبوهة ومشوهة للأصول والمقاصد، ومن ذلك اعتبار المقاصد الشرعية مصالح إنسانية تتحدد بالعواطف والنزوات والأمزجة، ويبين الدكتور الخادمي مظاهر هذه الدراسة بنفي قدسية القرآن، ونفي النبوة والرسالة المحمدية في الحقيقة والجوهر، والتشكيك في الإسلام، ويعزو الأستاذ أسباب الخلل في الكتابة الاستشراقية في الأصول والمقاصد إلى: عدم الدراسة الكافية، والمعرفة الجامعة بحقيقة علمي الأصول والمقاصد. والعمل على تغييب مدلولي وأثري علمي الأصول والفقه. ثم التعصب للذات والتحيز للمذهب. ويأمل الدكتور الخادمي في الختام، من الكتابات الاستشراقية التحلي بالموضوعية والمنهجية والصدقية في الطرح، دون تحامل، مع الفهم الكامل لعلمي الأصول والمقاصد وما يتعلق بهما من فنون ومعارف.

وتقدم في هذه الجلسة الدكتور حسين تايتاي بورقة تحت عنوان : **الإسلام والسيرة النبوية في ألمانيا بين مناهج الاستشراق وواقع المسلمين** (المستشرق بترشول لاتور نموذجا) والدكتور سعيد المغناوي بمداخلة تحت عنوان: **رسول الله ﷺ في تصور المستشرقة آن ماري شيمل**. والدكتور عبد العزيز انميرات، بورقة تحت عنوان: **السيرة النبوية في الاستشراق الألماني (نظرات في تجربة البحوث المنصفة)**.

في اليوم الثالث انعقدت الجلسة العلمية الخامسة، تمحورت حول السيرة النبوية في الأدب الألماني ووسائل الإعلام الألمانية. ترأسها الدكتور محمد حمدون رئيس شعبة الفيزياء سابقا وعضو أكاديمية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية. أسهم فيها الدكتور عبد الرزاق مسلك بورقة تحت عنوان : "**غوته ورسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم**"، في البداية تحدث المتدخل عن "**غوته**" أحد أشهر الأدباء والشعراء الألمان، ومن الذين اهتموا بالشرق والعالم الإسلامي دينا وحضارة وأدبا، نظم قصيدة

"**أنشودة محمد**" في مدح الرسول الله ﷺ. وبين الأستاذ أن العلاقة القائمة بين غوته والإسلام هي علاقة تثاقف وتسامح. كما أبرز اعتمادا على ما ذكرته الكاتبة "**كاتارينا مومزن**" المتخصصة في كتابات غوته، سر اهتمام هذا الأخير بالعرب وإعجابه بثقافتهم وأساليب عيشهم وأدبياتهم وأخلاقياتهم، حيث تقول: أن ميل غوته للإسلام لم يكن بتأثير من معاصريه التنويريين فقط، بل على الأرجح أنه نتيجة موقف شخصي. وأن أول ما قام به غوته هو تسجيل ملاحظاته على عدد من الآيات التي تخص الرسول ﷺ، قصد معرفته معرفة تامة. ثم محاولة تأليف عمل درامي عن محمد، إلا أن عمله لم ير النور، ومن ضمنه قصيدته الخالدة التي تصور النبي في هدايته للبشر، بنهر يبدأ بالتدفق رقيقا هادئا ليتحول إلى سيل عارم.

وفي الأخير أشار الأستاذ مسلك إلى أن القصيدة ظهرت في صيغتها الأولى على شكل حوار بين فاطمة بنت رسول الله وزوجها علي بن أبي طالب، أما صيغتها الثانية فهي التي أوردها في مداخلته والمسجلة ضمن أعمال غوته الشعرية.

كما أسهم في هذه الجلسة الدكتور خالد لزعر، بمداخلة تحت عنوان: الإسلام ونبيه محمد ﷺ والجدل حولهما في بعض الكتابات الألمانية.

الجلسة السادسة اختتمت فيها أعمال هذه الندوة العلمية، ترأسها نائب عميد كلية الآداب سايس، السيد عبد الإله السيار، تقدمت خلالها كلمة السادة المشاركين وكلمة فريق البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز، وتلي البيان الختامي المتضمن للتوصيات الصادرة عنها، حيث تبلورت لدى السادة المشاركين عدة مقترحات، تتلخص في كيفية التعامل مع رموز الاستشراق الألماني، ونهج أسلوب الاجتهاد في معرفة الآخر، والتفكير في إحداث وحدات متخصصة في الدراسات الألمانية في الجامعات المغربية، وكذلك إحداث شعبة للاستغراب في جامعة فاس على غرار شعبة الاستشراق في الجامعات الغربية، والدعوة إلى تنظيم ندوة علمية بألمانيا في الموضوع ذاته بحضور الألمان المعاصرين. والتوصية بإعداد موسوعة في السيرة النبوية محققة ومحكمة، وإحداث وحدة بحث علمي متخصصة في نشر مخطوطات السيرة النبوية، وفتح مسلك للدكتوراه في موضوع السيرة النبوية في الدراسات الاستشراقية الألمانية، مع إصدار دليل ببليوغرافي للتعريف بالدارسين الألمان والدراسات الألمانية في موضوع السيرة النبوية.

ورقة عمل الندوة باللغة العربية

د. سعيد المغناوي[*]

لقد أدرك الشرق والغرب في العقود الأخيرة أهمية الحوار بين الثقافات، وضرورة مواصلة الالتقاء بالآخر، المختلف، والتحدث إليه ومحاورته، والتعرف عليه وجعله يتعرف علينا حتى نشكل جميعا عالماً آمنا ومتعارفا ومنفتحا.

وقد كان المغرب كغيره من الدول الإسلامية سباقا إلى الانخراط في هذا النوع من الحوار، لأنه كان ولا يزال موطناً للتسامح والتعايش، وملتقى للحوار والتواصل. وكانت مؤسساته الجامعية كذلك ولا تزال تسهم في إشعاع روح الحوار، وفي توضيح المفاهيم الدينية والحضارية، تيسيراً للتعايش بين الناس من مختلف الأجناس.

وتعتبر كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بمدينة فاس واحدة من هذه المؤسسات التي لا تخرج على هذا النهج، بل تستقطب المثقفين من جميع أنحاء العالم، وتدعوهم للمشاركة بآرائهم في جميع ميادين البحث.

ولهذه الغاية، ستحتضن هذه السنة ندوة دولية حول السيرة النبوية في الكتابات الألمانية.

بين يدي الموضوع

يرجع اتصال ألمانيا بالعالم الإسلامي - في غالب الظن - إلى أيام الحروب الصليبية حين ذهب حجاجها إلى الأراضي المقدسة ونقلوا عنه شيئا من حضارته، وحين قام بعض الرهبان الألمان مع غيرهم من الأوربيين بالترجمة عن العربية بالأندلس[1].

(*) أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس - فاس.

(1) يقول محمد صالح البنداق : أول ترجمة للقرآن الكريم باللغات الأوروبية كانت باللاتينية، وقد تمت بإيعاز وإشراف رئيس دير كلوني في جنوب فرنسا الراهب بطرس المبجل، وهذا اسمه وكان ذلك سنة 1143م، وعلى يد راهب إنجليزي يدعى روبرت الرتيني وراهب ألماني يدعى هرمان.

ثم اهتم الباحثون الألمان بالدراسات العربية الإسلامية، منذ مطلع القرن السادس عشر.

وفي القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ازدهرت الدراسات الإسلامية في ألمانيا بفضل المجهودات العلمية والبحوث الكثيرة التي قام بها عدد من المستشرقين، من أمثال : إدوارد زاخاو (1845-1930م)، وكارل هاينرش بيكر (1876-1933م)، وكارل بروكلمان (1868-1956م).

وقد تميز المستشرقون الألمان بالجدية في البحث، وانكبوا كغيرهم من الأوربيين على دراسة السيرة المحمدية، فكتبوا عنها أبحاثا كثيرة، منها :

- ترجمة سيرة ابن هشام/ لفايل (1808-1889م).
- والإسلام ومحمد/لفرانكيل (1855-1909م).
- وتنظيم محمد للجماعة في المدينة / لفيلهاوزن (1844-1918م).
- وفكرة عامة عن حياة محمد / لنولدكه (1836-1930م).
- والمغازي الأولى ومؤلفوها / لجوزيف هوروفيتش (1874-1931م).
- وتفسيرات السهيلي وأبي ذر لقصائد أُحد في سيرة ابن هشام / لأرتورشاده (1883-1952م).
- ومفسرو ابن إسحاق وحواشيهم/ لبرونله (1895م).

وغيرها من الدراسات المتعددة حول السيرة النبوية.

ونظرا لما يشكله هذا النوع من الكتابات من جدل معرفي في الأوساط الأوربية والإسلامية، فقد اعتزم فريق البحث في "**السنة والسيرة وقضايا الإعجاز**" تنظيم ندوة دولية في هذا الموضوع، بتعاون مع المديرية الجهوية لوزارة الثقافة ـ بجهة فاس بولمان ـ والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ـ ومعهد جوته الألماني والجماعة الحضرية لفاس ومقاطعة سايس، لمناقشة المحاور الآتية :

المحاور

- تاريخ البحث والكتابة في السيرة النبوية عند المستشرقين الألمان.
- مناهج المستشرقين الألمان في دراسة السيرة النبوية.
- السيرة النبوية في الأدب الألماني.

- التـرجمـات الألمـانيـة لكتب السيرة النبويـة.
- السيرة النبوية في دوائر المعارف والموسوعات الألمانية.
- الاتجاهات الحديثة عند المستشرقين الألمان في الكتابة عن السيرة النبوية.
- ما أُلف عن الرسول ﷺ باللغة الألمانية (عرض بيبليوغرافي).
- ما كُتب باللغة العربية عن الاستشراق الألماني في دراسته للسيرة النبوية.
- جهود الاستشراق الألماني في إنقاذ تراث السيرة النبوية.
- تراث السيرة النبوية في دراسات المستشرقين الألمان.

ويتوخى المنظمون لهذه الندوة من خلال هذه المحاور، تحقيق الأهداف التالية:

الأهداف

- التعريف بجهود الكُتاب الألمان في دراستهم للسيرة النبوية.
- بيان مناهج المستشرقين الألمان في كتابة السيرة النبوية.
- تقويم كتابات الباحثين والدارسين الألمان المهتمة بالسيرة النبوية.
- الكشف عن صورة رسول الله ﷺ في مخيلة المثقف الألماني.
- تشجيع البحوث العلمية الألمانية في مجال السيرة النبوية.
- فتح باب الحوار بين المهتمين بدراسة السيرة النبوية في الجامعات الألمانية. ونظرائهم في الجامعات المغربية.

ورقة عمل الندوة باللغة الألمانية

ترجمة: د. عبد الرزاق مسلك

In den letzten Jahrzehnten hat sowohl der Orient als auch der Okzident die Relevanz des Dialogs der Kulturen anerkannt, aber auch die Notwendigkeit mit dem anderen zu kommunizieren, ihn zu treffen, mit ihm zu diskutieren und nicht zuletzt ihn kennen zu lernen, mit dem Ziel gemeinsam mit ihm in einer sichern Welt friedlich leben zu können.

Marokko, wie die anderen islamischen Länder, nimmt aktiv und engagiert an diesem Dialog teil, denn es war und ist immer noch Land der Toleranz und des friedlichen Zusammenlebens und Treffpunkt für den Dialog und die Interkulturalität. Auch seine universitären Institutionen spielen noch eine gro'e Rolle bei der Verbreitung des Dialogs und bei der Erklärung der religiösen und zivilisatorischen Begriffe, damit verschiedene Leute friedlich zusammenleben können. Die Fakultät Saiss in Fes ardent dieser marokkanischen universitären Institutionen steht auch in dieser Tradition und lädt stets Akademiker aus verschiedenen Ländern zur Teilnahme an ihren Konferenzen ein.

In diesem Rahmen wird die Fakultät dieses Jahr ein Kolloquium über die Sira des Propheten in den deutschen Schriften organisieren.

Der Kontakt Deutschlands mit der islamischen Welt ist höchstwahrscheinlich auf die Zeit der Kreuzzüge zurückzuführen als die deutschen Pilger die heiligen Stätte besuchten und von der islamischen Zivilisation einiges mit nach Hause gebracht haben und als einige deutsche Priester zusammen mit anderen europäischen Kollegen den Koran in Andalusien über- setzt haben. Seit Anfang des 16.

Jahrhunderts begannen deutsche Forscher sich für die arabischen und islamischen Studien zu interessieren. Ende des 19. und Anfang des 20. Jahrhunderts haben die islamischen Studien in Deutschland ihre Blüte erreicht und zwar durch die wissenschaftlichen Tätigkeiten und die akademischen Arbeiten berühmter Orientalisten wie Eduard Sachau, Karl Heinrich Becker und Karl Brockelmann.

- Die deutschen Orientalisten sind durch ihre strenge Wissenschaftlichkeit ihrer Forschungen sehr bekannt geworden. Sie haben sich auch, so wie ihre europäischen Kollegen, für die Sira des Propheten interessiert und haben zahlreiche Werke darüber geschrieben wie die folgenden:
- Die Übersetzung der Sira von Ibn Hicham durch Weil (1808-1889).
- Der Islam und Mohammed von Fraenkel (1855-1909).
- Die Organisation der Jamaa durch den Propheten Mohammed von Wellhausen (1844-1918).
- Allgemeine Idee über das Leben von Mohammed von Nöldke (1836-1930)
- die ersten Züge und ihre Verfasser von J. Horovitz (1874-1931)
- Erklärungen von S-sihili und von Abi Darr der Gedichte über Uhud in der Sira von Ibn Hicham von Artur Schade (1883-1952).
- Die Exegeten von Ibn ishaq von Brunnle (1895).

Ausgehend davon, dass solche Schriften sehr wichtig sind und zu interessanten Diskussionen unter den Wissenschaftlern sowohl in Europa als auch in der islamischen Welt führen, möchte die Forschungsgruppe ? Sunna, Sira und Ijaz-Fragen'ein ardentionals Kolloquium Ende April 2007 in Fes organisieren, und zwar in Kooperation mit dem Kultusministerium, durch seine Vertretung in Fes, mit der ISESCO und mit dem Goethe-Institut.

Folgende Themen sollen erörtert arden :

- Forschungsgeschichte über die Sira bei den deutschen Orientalisten.
- Orientalistische Methoden bei der Untersuchung der Sira.

- Sira in der deutschen Literatur.
- Deutsche Übersetzungen der Siraschriften.
- Sira in den deutschen Enzyklopädien.
- Moderne Tendenzen der heutigen Orientalistik bei der Untersuchung der Sira.
- Bibliographie der deutschen Schriften über den Propheten Mohammed.
- Arabische Schriften über die Art und Weise, wie die deutschen Orientalisten die Sira behandelt haben.
- Die deutschen Orientalisten und ihre Mühe zur Bewahrung des Schrifttums der Sira.
- Das Schrifttum der Sira in den deutschen orientalistischen Studien.

Ziele :

- Die Arbeiten der deutschen Orientalisten bekanntmachen.
- die Untersuchungsmethoden der deutschen Orientalisten über die Sira darstellen.
- die Schriften der deutschen Orientalisten über die Sira bewerten.
- das Bild des Propheten bei den deutschen Intellektuellen beschreiben.
- die deutsche Forschung über die Sira fördern.
- Den Dialog zwischen den sich für die Sira interessierten Akademiker an deutschen Universitäten und ihren Kollegen an marokkanischen Universitäten zu fördern.

ورقة عمل الندوة باللغة الإنجليزية

ترجمة : د. خديجة لمو

Germany's contact with the Islamic world dates back, most probably, to the days of the crusades, when its pilgrims journeyed to the Holy Lands and brought back some of Islam's civilizational legacy, and when some German priests and their European fellows translated some Arabic works from Al-Andalus.

Afterwards, German scholars developed further interest in Arabic-Islamic studies in the sixteenth century. Ahead of these was Martin Luther who was inspired by Islamic thought in his rebellion against the Catholic church in Rome.

In the19 th century and the turn of the 20th, Islamic studies flourished thanks to the scientific endeavours and numerous research projects undertaken by a number of orientalists such as E. Sachaw (1848-1930), C.H.Becker (1876-1933) and C.Brockelmmann (1868-1956).

The research undertaken by German orientalists came out to be of such an exemplary quality that Islamic studies in the West came to be synonymous with the German model. These like their European counterparts, focused on the examination of the life of the prophet, and so published various works on the subject of which?

- *Weil's translation of Ibn Hisham's Life of the Apostle of God (tr. 1864).*
- *S. Frarenkel's Islam and Muhammad.*
- *J. Wellhausen's Medina vor der Islam (1889).*
- *Th. Noldeke's Das Leben Mohammads (1863).*
- *J. Horovitz's writings on Ethics and Writers.*

- *Shaade's translation of Souhaili and Abu Dar's explications of the Uhud poetry in Ibn Hisham's sirat.*
- *Paul Bronnele's study on Ibn Ishaak's explicators and their associates.*

Given the debates generated by this variety of writings, in both East and West, the " The Research Group on the Sunna, the Life of the Prophet and the I'aajaz (Miracle) Issues" will be organizing an international conference, in April 2007, D.V., in collaboration with "The Research Group on Malekite Heritage in the Islamic West,"with the purpose of investigating the following topics".

- *Historicizing Research and Writings on the life of the Prophet by German Orientalists*
- *German Orientalists' approaches to the study of the life of the Prophet*
- *The life of the Prophet in German literature*
- *German translations of books on the life of the Prophet*
- *The life of the Prophet in German Encyclopedias*
- *German orientalists? modern trends in writing on the life of the Prophet.*
- *A bibliographic survey of German publications on the Prophet (p.b.u.h).*
- *Arabic writings on German orientalist studies on the life of the Prophet.*
- *The contribution of German orientalism to the preservation of the heritage on the life of the Prophet.*

The organizing committee seeks through the staging of this conference to achieve the following aims.

- *Publicizing the contribution of German orientalism to the study of the life of the Prophet.*
- *Highlighting the methods and approaches of German orientalists to the writing of the life of the Prophet.*

- *Evaluating the writings of German scholars dealing with the life of the Prophet*
- *Framing the image of the Prophet (p.b.u.h) in the imagination of German intellectuals*
- *Promoting Academic research in German on the life of the Prophet*
- *Contributing to the exchange between scholars in German and Moroccan universities interested in the life of the Prophet.*

ورقة عمل الندوة باللغة الفرنسية

ترجمة : د. أحمد إدريسي
د. أحمد بشنو

Le dialogue est ce socle sur lequel se bâtit la reconnaissance de l'Autre. La coexistence et la cohabitation en sont le versant privilégié pour instaurer un échange fructueux entre l'Orient et l'Occident. Il est plus que jamais nécessaire d'instaurer ce dialogue entre les différentes cultures afin d'aboutir à cette rencontre entre l'Orient et l'Occident afin de pouvoir connaître et reconnaître la différence de l'Autre pour promettre une meilleure ouverture et un monde de tolérance et de paix.

Le Maroc, comme d'autres pays musulmans, était l'un des premiers pays islamiques qui a connu cette rencontre de plus près avec les autres communautés. Plusieurs écrivains, des hommes et des femmes ont consacré leur existence à cette rencontre de l'Orient et de l'Occident et qui, d'ailleurs, ont tous et toutes contribué à ce patrimoine riche et diversifié dans les différents domaines de la vie. Cet esprit a largement contribué à une vraie coexistence et une très belle cohabitation. Ce qui a permis au Maroc d'être l'un des grands pays de Rencontre, de Dialogue et de Communication mais aussi de Cohabitation.

La Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Saïs-Fès est l'un des établissements qui accueille et invite plusieurs penseurs, philosophes, historiens et écrivains de tous les coins du monde pour pouvoir discuter et communiquer dans les différents domaines de la vie.

Considèrent la culture et la civilisation islamiques comme étant les leurs et font partie de leur patrimoine national et communautaire.

C’est pourquoi, le thème de la rencontre de cette année portera sur **La Sira du Prophète Mohammad dans les écrits allemands**.

Le contact de l’Allemagne avec le monde musulman lors, très probablement, des guerres des Croisades, lorsque les pèlerins allemands sont venus aux Terres Saintes, ont appris des notions de la civilisation islamique, et lorsqu’en Andalousie des moines allemands avec des Européens ont traduit des textes arabes.

Ensuite, au XVIè siècle, les chercheurs allemands se sont intéressés aux études arabo-musulmanes. Notons, en premier lieu, que c’est Martin Loth qui a été parmi ceux qui ont été influencés par la pensée islamique quand il s’est révolté contre l’église catholique de Rome.

Au XIXè siècle et au début du Xxè siècle, il y a eu une floraison des études islamiques en Allemagne grâce aux efforts scientifiques et aux multiples recherches d’un certain nombre d’orientalistes comme: Edouard Sachou (185-45-1930), Karl Becker (1876-1933) et Karl Broklmann (1868-1956).

Les orientalistes allemands se sont distingués par la finesse et la pertinence de leurs recherches, puisque les études islamiques en Europe portaient, à un certain moment, des empreintes allemandes. Ces orientalistes se sont appliqués à l’analyse de la Sira du Prophète et ont produit de nombreuses recherches à l’instar de :

- La traduction de la Sira d’Ibn Hicham par Weil (1808-1889).
- L’Islam de Mohammad par S. Fränkel (1855-1930).
- L’organisation de la Jma’a par le Prophète Mohammad à Médine de Th. Noldeke (1836-1930).
- Les explications d’El Souhaili et Abi Darr des poèmes de la Razzia d’Ohod dans la Sira d’Ibn Hicham par Arthur Shaade (1883-1952).
- Les exégètes d’Ibn Ishaq et les notes de P. Brunelle (1895)...

En outre, de nombreuses autres études ont été écrites sur la Sira du Prophète.

Considérant que ce genre d'écrits soulèvent des débats dans les milieux européens et musulmans. Le Groupe de Recherche sur la Sunna, la Sira du Prophète Mohammad et Questions d'I'jaz a décidé d'organiser un colloque international traitant ce sujet au cours de l'année prochaine Avril 2007. Nous avons retenus les axes suivants:

LES AXES

- L'histoire des recherches et des écrits de la Sira du Prophète Mohammad chez les orientalistes allemands
- La méthodologie des orientalistes allemands pour l'étude de la Sira du Prophète Mohammad
- La Sira du Prophète Mohammad dans la littérature allemande
- Les traductions allemandes des ouvrages sur la Sira du Prophète Mohammad
- La Sira du Prophète Mohammad dans les encyclopédies et les cercles scientifiques allemands
- Les tendances contemporaines des orientalistes allemands dans les écrits de La Sira du Prophète Mohammad
- Etude bibliographique sur les écrits allemands portant sur le Prophète Mohammad
- Les écrits arabes concernant l'orientalisme allemand ayant abordé la Sira du Prophète
- Le patrimoine de la Sira du Prophète Mohammad dans les études orientalistes allemandesì

Les organisateurs comptent, par le biais de ces axes, atteindre les objectifs suivants:

LES OBJECTIFS

- Faire connaître les efforts des orientalistes allemands dans le domaine de la Sira du Prophète Mohammad (PSL).

- Mettre en valeur leur méthodologie dans l'écriture de la Sira du Prophète Mohammad (PSL).
- Evaluer les écrits des chercheurs et analystes allemands dans le domaine de la Sira du Prophète Mohammad (PSL).
- Encourager les études et les recherches dans ce domaine.
- Engager le dialogue entre ceux qui s'intéressent au domaine de la Sira du Prophète Mohammad (PSL), dans les universités allemandes et marocaines.

الجلسة الافتتاحية

المـتـحـدثـون :

- السيد محمد الأشعري (وزير الثقافة).
- السيد محمد الشباب (نائب رئيس مجلس مدينة فاس).
- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو -.
- السيد عبد السلام الغرميني (المندوب الجهوي لوزارة الأوقاف).
- المجلس العلمي المحلي لمدينة فاس.
- السيد علي الصقلي (عميد كلية الشريعة).
- السيد عبد الرحمن طنكول (عميد كلية الآداب ظهر المهراز).
- الدكتور عبد الله معصر (رئيس شعبة الدراسات الإسلامية).
- الدكتور سعيد المغناوي (مدير الندوة).
- السيد إبراهيم أقديم (عميد كلية الآداب سايس - فاس).
- السيد Jurgeu woelke (الملحق الثقافي بالسفارة الألمانية بالمغرب).

كلمة وزير الثقافة السيد محمد الأشعري

السيد ممثل الإيسيسكو،

السيد ممثل رئيس مجلس المدينة،

السيد المندوب الجهوي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،

السيد عميد كلية الآداب سايس،

السيد رئيس شعبة الدراسات الإسلامية،

السيد ممثل رئيس المجلس العلمي،

السيد ممثل الجهة المنظمة،

حضرات السيدات والسادة الأفاضل

يشرفني أن أساهم معكم في افتتاح أشغال هذه الندوة الهامة، التي ستتمحور أشغالها حول السيرة النبوية في الكتابات الألمانية، والتي تعتبر بحق امتدادا موضوعيا لما تم تنظيمه إلى الآن، وما سيتم تنظيمه من ندوات فكرية كبرى، تندرج كلها ضمن التوجه العام الذي اعتمدته منظمة الإيسيسكو ووزارة الثقافة إلى جانب الفاعلين الجهويين، في الارتقاء بخطاب احتفالية فاس إلى مستوى انتظاراتنا الثقافية المشتركة، والمتمثل في إيلاء العناية الخاصة بالقضايا الفكرية الراهنة ذات الصلة الوثيقة بأسئلة الحضارة الإسلامية، في علاقتها المتفاعلة بالحضارة الإنسانية، والتي أصبحت تستأثر باهتمام الخطابات الفكرية والدينية والسياسية المعاصرة، سواء منها المتسمة بالتباين والاختلاف الإيجابي والبناء، والمتطلع إلى استشراف الآفاق المشتركة، أو تلك المصابة بآفة التضاد الهدام المتحين لفرص إذكاء نار الصراع والفرقة بين الشعوب والأجناس والأديان.

وبالنظر إلى حساسية ومركزية الموقع الذي يحتله ديننا الحنيف في قلب هذه المفارقة الصعبة، التي ما فتئت تطال قيمه السامية بالتشويه والتحريف، وتزج به

داخل قفص مسيج بالتهم المبيتة والمغرضة، فإن سؤال التصحيح وإعادة البناء ومد جسور التواصل بين المحاورين من ذوي النزعة الموضوعية، فضلاً عن غيرهم من المغالطين، يظل مطلبا ملحا على كل النخب الإسلامية بمختلف تخصصاتها الإعلامية والثقافية والاجتماعية، بما يساهم في التعريف بجوهر الحضارة الإسلامية وتقديمها للمنتديات الدولية باعتبارها نموذجا كونيا للتعايش والحوار والتواصل المعزز بإوالياته العقلانية، المنزهة عن كل تأويل إقصائي وإسقاطي.

وإذا كانت الندوات الدولية الثلاث السابقة التي تم تنظيمها بشراكة مع منظمة الإيسسكو قد تمحورت حول خصوصية الدرس الإسلامي في الدعوة إلى التواصل الحضاري، من خلال نموذج جامع القرويين، ثم من خلال إشعاع المدرسة المالكية الفاسية، بالإضافة إلى ما تطارحته ندوة الحفاظ على الهوية الإسلامية من قضايا فكرية واجتماعية حول دور التوجه الديني الوسطي، في تعميم وتعميق شروط ومقومات التعايش البناء بين الشعوب، فإن ندوة اليوم أبت إلا أن تقارب أحد أقوى وأهم مرتكزات ديننا الإسلامي الحنيف، ألا وهو المتعلق بالسيرة النبوية للنبي الأمين محمد ﷺ .

ولا شك أن اختيار السادة الباحثين المنتمين إلى شعبة الدراسات الإسلامية التابعة لكلية الآداب سايس، نابع أولا : من الغيرة الدينية على ما تتعرض له شخصية الرسول ﷺ في الآونة الأخيرة من تجاوزات لا أخلاقية بالمفهوم الحضاري والثقافي للكلمة، من قبل أعداء الإسلام الذين يعتقدون واهمين، أن أقصر السبل لتشويه صورة الإسلام، تتمثل في تحريف صورة مرجعه الأسمى، بكل الوسائل الدونية والمنحطة التي تجد في الإعلام المناوئ والمتواطئ سندها الوحيد والكبير للتنفيس عن مكبوتاتها العنصرية. كما أن اختيارها، نابع من هاجس معرفي وعلمي هدفه تصحيح هذه الصورة، وتنقيتها من الشوائب الملصقة عمدا بها، عبر توظيف وإبراز منجز إحدى أهم المدارس الفكرية في التاريخ الفلسفي والثقافي الحديث والمعاصر، ألا وهو منجز المدرسة الألمانية التي طبعت بإشعاعها الجاد والرصين مسارات الفكر والثقافة العالمية، حيث سيتأكد أن اعتماد صفحاتها المضيئة في كتاب الاستشراق الكوني للتدليل على السمو الديني والإنساني لشخصية الرسول ﷺ، يتضمن حتما من الحجج والبراهين الممتثلة لمعيار العقل وسلطته، ما يكفي لتفنيد وفضح كل الأباطيل والافتراءات ذات المرجعية العنصرية والصليبية المغرضة المصابة بوباء الإقصاء وظلاميته.

ويكفي في هذا السياق أن أذكر بتراجع كلمة الاستشراق من المعجم الأكاديمي الألماني واستبداله بكلمة الاستعراب والدراسات الإسلامية، عملا بأطروحة المفكر العربي الفلسطيني إدوار سعيد التي تقرن مفهوم الاستشراق بالاستعمار، ضدا على انبعاث الاستشراق الأمريكي ذي التوجه الهيمني في دائرة صناع القرار السياسي، والمنسجم غالبا مع أطروحة صمويل هنتنغتون المكرسة لمفهوم صراع الحضارات.

ومن المؤكد أن المحاور التي اقترحتها علينا ورقة عمل الندوة، والتي ستكون موضوع مداخلات السادة الأساتذة الباحثين خلال هذين اليومين الدراسيين، سوف تجعلنا أكثر اقترابا من مشهد الحوار الحضاري البناء الدائر حاليا في رحاب هذه المدرسة الفكرية العتيدة من مدارس الفكر الغربي، حيث ستزداد قناعتنا بأن هذا الغرب ليس شرا مطلقا، ولكنه أيضاً مهيأ بفضل نخبه المتنورة، والمقتنعة بتفاعل الحضارات وتكاملها، لتوفير شروط نقد ذاتي وموضوعي يؤسس لعلاقة تشاركية، قائمة على إعادة النظر في كل مسلمة مغلوطة، راكمتها قرون عديدة من القطيعة التي طالما تسببت في تعميقها العدوانية الصليبية. وستكون المرجعيات المعتمدة في مداخلات السادة الباحثين من أمثال إدوارد زاخاو، وكارل هاينرش بيكر، ونولدكه، وأرتورشاديه وغيرهم من المفكرين التنويريين الكبار، بمثابة علامات مضيئة نستدل بها ومن خلالها على نماذج متقدمة من الإكبار الذي يكنه الآخر لشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، اعترافا بما أسدته وتسديه رسالته السماوية الحنيفة من فضائل، لامجال للحضارة الكونية بالتنكر لها باعتبارها من أهم الروافد الثقافية والمعرفية المؤثرة في إغناء خطاب التواصل المعرفي والحضاري بين الشعوب.

أيتها السيدات والسادة الأفاضل

إنني وفي سياق اعترافنا المتبادل بالدعم الثقافي والمعرفي الذي تحظى به ثقافتنا الإسلامية من قبل الآخر المتشبع بنفس قيمنا ومبادئنا الأصيلة، سأتوقف وبكثير من الإيجاز عند أحد أهم عباقرة الفكر والإبداع الألماني والإنساني قاطبة، ألا وهو يوهان جوته الذي استمد سلطته المعرفية والإبداعية من اهتدائه إلى منبع الدين الإسلامي، وتعاليمه السامية، إذ بين رائعته الكبيرة التي نظمها في الرسول محمد ﷺ وهو لم يتجاوز سن الثالثة والعشرين، وبين احتفاله بليلة القدر وهو في سن السبعين، مسيرة طويلة، وحافلة بالانجذاب الروحي والتمثل العقلي الناتجين عن القراءة العاشقة والعميقة للنص القرآني الكريم، ولسيرة الرسول ﷺ، وليس عمله العالي الديوان الشرقي، وأيضاً سيرته الذاتية المتضمنة في عدة مجلدات تحت عنوان شعر وحقيقة ـ وهما معا

يفيضان بلوامع وأنوار العشق المحمدي، إلا التعبير المعلن والواضح عن اعتراف هذا المبدع الكبير بفكرة التعايش، والحوار الخلاق القائم بين العطاءات الإبداعية التي تراكمها الشعوب في مسيرتها، بحثا عن أفق حضاري يتسع للجميع وليس لقطب عرقي أو فكري دون آخر، كما أن قناعة احتكامه إلى نداء الروح والعقل، حالت دون أن تنال منه شراسة وتفاقم حملات التشويه العقائدي التي كانت موجهة في عصره ضد الإسلام بالإضافة إلى استئناسه بكوكبة من المفكرين المتشبعين بروح المد التنويري الذين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، المستشرق الهولندي البروتستنتي هارديان رولند صاحب كتاب الديانة المحمدية الذي أصدره سنة 1705. وكذلك المستشرق هنري كونط المشيد بسيرة الرسول ﷺ، في كتابه الصادر سنة 1730. بالإضافة إلى الفيلسوفين الكبيرين ليبنز ولسنج اللذين يعتبران بحق من أهم رموز التسامح الديني في تلك المرحلة. دون أن أنسى الشاعر الفرنسي الكبير فولتير صاحب القولة الشهيرة 1756. [النبي محمد أحد المشرعين الثلاثة العظام في تاريخ العالم].

وفي ختام هذه الكلمة لا يفوتني أيضاً، أن أذكر بوسام الشرف الذي حظيت به الباحثة الألمانية آن ماري شميل من رئيس الدولة المصرية، بمناسبة الاحتفال بعيد المولد النبوي سنة 1417 هجرية تقديرا لجهدها العلمية في مجال التعريف بخصوصية الدرس الإسلامي، المتميز بانفتاحه الفاعل على كل خطاب ديني وثقافي وحضاري معزز بالقيم الإنسانية المثلى. بما يفيد تفاؤلنا الكبير بحتمية استمرار وديمومة كل رسالة ذات توجه عقلاني مترفع عن مزالق الانحرافات الظلامية والتكفيرية.

وهو نفس الوسام الذي تستحقه مدينة فاس، اليوم وغداً بتنظيمها لمثل هذه الندوات التي لا تقتصر من حيث أهدافها على اجتراح أدوات التصالح مع الآخر فقط، لكن أيضاً، على استشراف وسائل التصالح مع الذات، كي تكون جديرة بالانتماء إلى أصالة ماضيها وحداثة حاضرها ومستقبلها؛ والسلام عليكم.

كلمة السيد محمد الشباب

نائب رئيس مجلس مدينة فاس

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

السيد عميد كلية الآداب سايس،
السيد الملحق الثقافي بالسفارة الألمانية بالمغرب،
السيد المدير الجهوي لوزارة الثقافة بجهة فاس بولمان،
السيد المندوب الجهوي لوزارة الأوقاف،
السيد ممثل المجلس العلمي،
السيد رئيس شعبة الدراسات الإسلامية،
السيد ممثل اللجنة المنظمة للندوة،
أيها السادة الأفاضل:

إن حدث هذه الندوة كما هو حدث تكريم مدينة فاس، يأتي في وقت يشهد فيه العالم الإسلامي تحديا من أكبر التحديات، ويعيش فترة من أحلك الفترات. فمن عدم الاعتراف بشخصياته الثقافية والتشكيك في كيانه وهويته، إلى عرقلة طموحه ومسيرته. ومن نعت دين الإسلام - دين الرحمة والتسامح والحوار - بالعنف والتعصب والتطرف والإرهاب، إلى شن حرب إعلامية من أجل تشويه وجهه الناصع البياض، والنيل من رسوله الرؤوف الرحيم. رسالتكم ورسالة فاس، هي عدم الاكتراث بهذه التفاهات. دور فاس، سيكون هو تحطيم جدران العزل والانغلاق، التي لا تساهم إلا في تدني مستوى الثقة بين الشعوب، وتكريس التأخر الثقافي والإنساني. دور فاس، هو تكسير الحدود والخروج من دائرة التهميش إلى دائرة المساهمة الفعلية الإيجابية. دور فاس، هو مد الجسور وتيسير الأمور نحو مستقبل الأمة، والتلاقي والتعاون. مرجعيتنا في ذلك، مكارم الأخلاق التي جسدتها السيرة النبوية العتيدة.

أيها السادة، لا شك أن حياة النبي ﷺ تمثل حقبة زمنية في تاريخ الإسلام، أو تمثل أهم حقبة زمنية في تاريخ الإسلام؛ وبالتالي فإن من الطبيعي أن تكون سيرة الرسول الأكرم من أهم المداخل للفهم الصحيح للإسلام، ودوره المتميز البريء في تاريخ الإنسانية. ولهذا، فحتى إذا كانت السيرة النبوية من المهمات الشاقة، لعدة عوامل لا داعي لذكرها، فإنها تبقى من أهم الضرورات الملحة في هذا العصر الحديث، لإزاحة ما علق في الإسلام من أشياء ليست منه في شيء، وتصحيح ما شاب الدراسات من سوء فهم، بالرجوع إلى سيرة الرسول المجسد للإسلام الحقيقي في أعلى مراتبه الممكنة، وأصفى مناهله على الإطلاق، وأنبل مقاصده السمحة. فلا بد إذن لمقاربة أحداث السيرة النبوية، من الاعتماد على أسلوب علمي دقيق لضمان الدقة القصوى، ولتجنب الأخذ بالخطأ ومزالق المناهج غير الدقيقة. فإذا توفرت هذه المقاربة، فلا يهم بعد ذلك ما إذا كان الدارس من المسلمين أو من غير المسلمين.

ذلك أيها السادة، أن قراءة التاريخ دون قدر كاف من التمحيص، ودون فهم صحيح وواضح لأسباب وقوع أحداثه، أو عدم التمييز بين الأحداث ذات الأهمية القصوى من الأحداث الثانوية، أو تعمد ذكر أحداث والإحجام عن ذكر أخرى، إنما هو في الحقيقة مشكلة كبيرة تحد كثيرا من فهم المعنى الحقيقي للأحداث؛ وبالتالي، ستكون هناك قابلية لكل التأويلات الخاطئة، ولا يكون هناك مغزى من قراءة التاريخ ومن قراءة السيرة النبوية.

أيها السادة، آمل أن يكون نقاشكم رصيناً ودقيقاً. أما نحن في مدينة فاس، نقول لكم : أننا لم نعد في حاجة إلى الافتخار بتاريخ فاس وأمجادها فقط، بل هناك في واقع حال مدينة فاس ما يدعونا إلى الافتخار، وهو هذه الأنشطة المتلاحقة التي تشهدها جامعتها.

أتمنى لكم التوفيق، وشكرا لكم.

كلمة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو -

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

أصحاب السعادة،

الأساتذة الباحثين الأجلاء،

السادة والسيدات،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدني أن أحمل إليكم تحيات معالي الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وتمنياته لكم بالتوفيق والنجاح لأعمال هذه الندوة عن السيرة النبوية في الكتابات الألمانية، التي تعقد بدعم من الإيسيسكو، إيمانا منها بأهمية موضوعها في الظروف الإقليمية والدولية الحالية، ولكونها تدخل في إطار الاحتفاء بمدينة فاس عاصمة للثقافة الإسلامية لسنة 2007 عن المنطقة العربية.

ويسرني أن أشكر باسمه جميع الجهات المنظمة والداعمة لهذه الندوة، وفي طليعتها جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ممثلة في شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية.

أصحاب السعادة،

السادة والسيدات.

إذا ذكرت الكتابات الألمانية عن الإسلام، تتبادر إلى الذهن جهود كبيرة تستحق الاحترام والتقدير، قام بها علماء ألمان من أمثال كارل بروكلمان صاحب كتاب "**تاريخ**

الأدب العربي". ونذكر مشاعر مودة فياضة بين بعض أعلام البيان في ألمانيا، ومنهم الشاعر الكبير يوهان فولفجانج غوته الذي تطفح كتاباته إعجابا بالإسلام وبرسول الإسلام ﷺ، ويكفي مثالاً على ذلك مسرحيته الشعرية "تراجيديا محمد"، وكتابه "**الديوان الغربي الشرقي**". ولئن كانت بعض الأيادي تحاول أن تبث الفتنة بين المسلمين والشعب الألماني بالمساهمة في تشويه الإسلام عن طريق أعمال؛ مثل تأسيس المجلس المركزي للخارجين عن الإسلام في مدينة كولونيا، فإن الأمل مازال معقودا في أن يدرك الشعب الألماني أن الصورة المشرقة التي قدمها أعلام مثل الشاعر الكبير جوته، لا يجوز أن تلوثها أقلام ذات أغراض سياسية غير بريئة ودوافع مغرضة.

ومن المتوقع من مثل هذه الندوات التي تتناول السيرة النبوية في الكتابات الألمانية، أن تعكف على دراسة الاتجاهات التي تقف وراء تلك الكتابات، وأن تكرم من يستحق التكريم، وأن تمعن النظر في الأسباب الكامنة وراء الكتابات المجحفة، موضحة الأسباب والدوافع وراء ذلك الإجحاف.

أصحاب السعادة،
حضرات السادة والسيدات.

إن الأقلام الشريفة في العالم الإسلامي وألمانيا، بل في العالم كله، تعمل جاهدة على تعزيز التعارف بين الشعوب، وتعميق الحوار بين الثقافات، وتنشد في ذلك الربط بين الأمم والحضارات، معتمدة الحقائق المؤكدة لطبيعة تلك العلاقات وأهميتها في ماضي تلك الأمم وحاضرها، وساعية إلى تطويرها وتمتينها في المستقبل، إيمانا منها بأن سعادة الإنسان تكمن في توطيد علاقاته الحسنة مع أخيه الإنسان، وإدراكا منها بأن العالم قد صار قرية صغيرة الأرجاء، ومتشابكة المصالح ومتعددة الصلات والأهداف المشتركة.

ونحن نأمل أن تكون هذه الندوة، التي تستجيب لأهداف الإيسيسكو وتنفذ مراميها الإنسانية والثقافية، خطوة على طريق فتح قنوات التعارف والفهم والتفاهم بين الشعوب الإسلامية والشعب الألماني، وأن تحظى السيرة النبوية مجددا بما تستحقه من عناية الباحثين الألمان المنصفين.

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة السيد عبد السلام الغرميني

المندوب الجهوي لوزارة الأوقاف بجهة فاس بولمان

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم صلي على سيدنا محمد النبي المليح، صاحب المقام العلي واللسان الفصيح، وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها الحضور الكريم

يسعدني كثير السعادة، أن أشارك في هذه الجلسة الافتتاحية المنعقدة في موضوع. السيرة النبوية في الكتابات الألمانية والتي تتميز كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس ـ فاس، ومعها فرق البحث الأكاديمي المنضوية تحتها، تتميز بهذا العمل الجبار الذي يفتح آفاقا جديدة في البحث العلمي وفي التعرف الرصين، على وجوه الاقتباس من الدين الإسلامي الحنيف. ومعلوم أن السنة النبوية ومعها السيرة المحمدية، أصل كبير من أصول معرفة الإسلام. وأود أو أؤكد في هذه الكلمة الوجيزة على إعجابي شخصيا وعلى إعجاب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، باختيار الموضوع وبالتدابير والترتيبات العلمية التي بذلت من أجل انعقاد هذا المحفل العلمي.

ولا يخفى على أحد أنه لا يكفي لنا كمسلمين أن نعرف ذاتنا، بل ينبغي لنا أيضاً أن نطلع على الكيفية التي يعرفنا بها غيرنا. فهناك رؤية الإنسان لذاته، وهناك رؤية الآخر لنا. وإن النظرة المجتزأة التي تقتصر على معرفة الإنسان لنفسه ورفض أي معرفة للآخر به، لهي ناقصة من الناحية العلمية. ولذلك فمن مصلحتنا كمسلمين ومثقفين، أن نطلع على معرفة الآخر، كيف ينظر إلينا؟ كيف يكتب عنا الآخر؟ ما هو إذن موقع الرسول ﷺ في الثقافات الأخرى؟ كيف نظرت إليه وكيف كتبت عنه؟ وغني عن البيان أن الكتابات حول الإسلام وحول رسول الإسلام ﷺ كتابات يمكن أن تنقسم إلى شقين كبيرين : كتابات علمية رصينة، فيها مجهودات قيمة للكشف عن الحقيقة ولتقريب القيم التي أتى بها هذا الدين تقريباً علمياً موضوعياً، وهي بذلك في الواقع تسدي خدمة جليلة للعلم، ولآفاق التدين وللثقافة عموماً.

فالاستشراق ينبغي أن نعترف له بكثير من الفضل في خدمة العلم، وفي خدمة الثقافة عموما، والثقافة الإسلامية خاصة. وطبيعي أن هناك وجها آخر للاستشراق، وهو الوجه الذي يتحرك بإيديولوجية وبتوجه بخلفيات معينة، وهو لا شك يجانب الصواب. وغير بعيد عنا، ما راج في الدول الأوربية عن نبي الإسلام من تشويه للصورة ومن محاولة للنيل من سمعته. ولكن هذا لا يؤثر في رؤيتنا نحن كمسلمين، وتعلقنا بذات رسول الله ﷺ. وفي نفس الوقت، هذا لا يلغي كثيرا من الشهادات، وكثيراً من الصور المثالية الإيجابية العالية التي قدمها الاستشراق نفسه عن رسول الإسلام ﷺ. فأقل صفات العلم أو أولى درجات العلم، أن نميز بموضوعية كبيرة، وأن لا نعمم الأحكام. فلا ينبغي القول أن كل كتابات الاستشراق هي كتابات خاطئة، ولا ينبغي أيضا أن نقبلها دفعة واحدة. وبما أننا في رحاب الجامعة، وفي رحاب منتديات الثقافة؛ وبما أننا نبحث عن الحقيقة طول الحياة، ليس فقط في الفترة الجامعية بل طول الحياة، قرارنا إذن أن نشد على ما هو علمي حقيقي وما هو مؤسس على مواصفات موضوعية دقيقة، تعطي لكل ذي حق حقه، وأيضاً أن نرد ما كان غير ذلك. ومدرسة الاستشراق الألمانية مدرسة عتيدة كبيرة، وينبغي أن أغتنم هذه الفرصة لأقول بكل تواضع، أننا نحن كمثقفين في الأوساط المغربية، ولنا علاقة أكثر بالاستشراق الفرنسي وبشيء من الاستشراق الإنجليزي على العموم؛ نحن كمثقفين مغاربة نجهل كثيراً من إنجازات الاستشراق الألماني، وفيه ما فيه من أعمدة القوة وأعمدة النور وأعمدة التحقيق العلمي الكبير، الذي يشهد له كثير من الباحثين بالتقدم وبالتصدر.

أريد فقط أن أؤكد، أننا كلنا آذان صاغية وكلنا قلوب واعية، لما ستقدمه إن شاء الله هذه الندوة العلمية المباركة، وما ستفتحه من آفاق وما ستجليه من دراسات ومعاني - إن شاء الله - ربما كتبت، وأشياء أخرى إن شاء الله نحن على أتم الاستعداد لنستفيد منها.

وبعد ذلك، نوجه الشكر الجزيل والتقدير الكبير لإخواننا الباحثين في الجامعة المغربية، الذين أخذوا على عاتقهم سبر هذه الأغوار والدخول إلى الاستشراق الألماني وبشكل محتشم؛ نعرف بما أسدوه من خدمات، دون أن نتمكن من معرفة جوهرها. وهذه الحقائق، هذا اللقاء - إن شاء الله - سيمكننا بحول الله من الاطلاع على ذلك.

إذن نتمنى لكل المنتدين كامل التوفيق، ونهنئ كلية الآداب سايس بهذه المبادرة الطيبة، ومعها شعبة الدراسات الإسلامية، ومعها فرق البحث في هذه الكلية العتيدة، والله سبحانه من وراء القصد.

وكما ابتدأنا بالصلاة على الرسول ﷺ نختم كذلك بالصلاة عليه، فهو الحبيب الذي نتعلق بذاته. ولم تنصرف إلا أيام عن شهر ربيع الأول الذي نحتفي به احتفاء خاصا، وبيوم ميلاده احتفاء خاصا. ولنا في المغرب عادة قراءة كتاب الشمائل، وقراءة كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ﷺ. وأنا آت إلى هذه القاعة كنت أتساءل، هل تمت ترجمة كتاب الشفا للقاضي عياض إلى اللغة الألمانية؟ فلعل هذا من مشاريع البحث التي ينبغي أن تكون؛ وشكراً للجميع.

كلمة المجلس العلمي المحلي لمدينة فاس

أيها الحضور الكرام.

تعقد هذه الندوة في إطار الجهود التي ما فتئت مجموعة البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز التابعة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس - فاس تقوم بها تشجيعا للبحث العلمي، وتنشيطا للحوار بين الباحثين حول طبيعة الكتابة في الآداب واللغات الأجنبية عن السيرة النبوية.

وكما لا يخفى عليكم، فقد عني علماء المسلمين بتسجيل سيرة النبي محمد ﷺ ونقل كل أحواله وأفعاله وأقواله، ونهض رجال ثقات نقلوا للناس بصدق وأمانة الصورة الحقيقة لحياته ﷺبما تضمنته من شمائل طيبة وأخلاق حميدة وفضائل سنية.

ثم جاء الباحثون الغربيون فأظهروا اهتماما كبيرا بحياة النبي ﷺ وسيرته، وألفوا وكتبوا، وتباينت أهدافهم وغاياتهم، وتفاوتت مناهجهم وطرقهم في البحث والدراسة، فكان منهم المنصفون والمغرضون على السواء.

وبالنسبة للمسشرقين الألمان، الذين تنعقد هذه الندوة من أجل إجلاء وإبراز ملامح كتاباتهم حول السيرة النبوية؛ فيمكن القول، بأن كثيراً من الباحثين المعاصرين، يتفقون على خصائص معينة يتميز بها التوجه الألماني في دراسة الإسلام وحضارته. ولعل أهم تلك الخصائص، عدم خضوع الاستشراق الألماني لغايات سياسية أو استعمارية، ما دامت ألمانيا لم يسبق لها أن استعمرت البلاد الإسلامية، ولم تهتم بالتنصير بالصورة التي عرفتها دول أخرى في غرب أوربا[1]. كما أن من خصائص الاستشراق الألماني، العشق البالغ للحكمة الشرقية، ولغة القرآن الكريم في سحرها وجاذبيتها وخصوصية أسرار بلاغتها. وهو ما دفع خلال القرون الثلاثة الماضية،

(1) ولا يخفى أن الروم العلمية التي تميزت بها المدرسة الاستشراقية الألمانية، مبعثها تلك لخصال المميزة للشعب الألماني عبر التاريخ. وهو الشعب المجبول على الدقة البالغة، والصبر الجميل، واتباع المنهج العلمي الصارم.

بعض مشاهير المستشرقين الألمان، أمثال: جوته ورايسكه وفريديريك روكرت ونولدكه وبرجستراسر وأوتوبرتزل وبروكلمان، إلى نشر النصوص العربية القديمة، وتحقيق المخطوطات الإسلامية وتيسير تداولها في زمن مبكر أمام الباحثين الغربيين والعرب على حد سواء.

بيد أن خصائص الاستشراق الألماني هاته، ينبغي أن لا تحجب عنا الرؤية التي تظهر لنا هذا الصنف من الاستشراق الأوربي مشتركا مع مناهج وطرائق الاستشراق بصفة عامة في دراسة الإسلام ونبيه ﷺ، وهي المناهج التي يطبعها في غالبها الأعم التعسف في فهم وتحليل النصوص المرتبطة بالبداهات والمسلمات التي يؤمن بها المسلمون، ناهيكم عن سوء الفهم أحيانا وسوء النية أحيانا أخرى.

وإذا كان لأصحاب الكتابات الألمانية حول السيرة النبوية الحق في أن يدسوا حياة النبي ﷺ وفق قناعاتهم ومناهجهم وانطلاقا من خلفياتهم الدينية، فإن من حق المسلمين بل من الواجب عليهم بيان الشبهات والافتراءات التي تطال وتعتري أفكارهم بعلمية وموضوعية وإنصاف، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾.

وفي الختام أشكر الإخوة المنظمين للندوة على الدعوة الكريمة للمشاركة في الجلسة الافتتاحية، متمنيا لهم التوفيق والنجاح في إتمام تنظيم أشغال الندوة. وإن نظرة على ما سيلقى من بحوث خلال جلساتها الخمس، لكفيلة بأن تقنعنا منذ الآن بأهمية هذه الندوة الكبيرة، الهادفة إلى تصحيح صورة الإسلام ونبيه ﷺ. ذلكم أن القضايا التي أثارها الألمان وغيرهم، ولايزالون يثيرونها، ليست مما يؤرق لنا مضجعا أو يثير فينا حفيظة، بل على العكس، إنها الجانب الآخر الذي يظهر به الحق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركات.

كلمة السيد علي الصقلي

رئيس جامعة القرويين بالنيابة
وعميد كلية الشريعة بفاس.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

السيد رئيس الجلسة وعميد كلية الآداب سايس،
السيد عميد كلية ظهر المهراز،
السيد الملحق الثقافي لسفارة ألمانيا بالرباط،
السيد المندوب الجهوي للشؤون الإسلامية بجهة فاس بولمان،
السيد ممثل رئيس مجلس مدينة فاس،
السيد ممثل رئيس المجلس العلمي لجهة فاس بولمان،
السيد ممثل وزير الثقافة،
زملائي الأساتذة،
أبنائي الطلبة.

في الحقيقة لم أهيئ كلمة بالمناسبة، لأن البرنامج لم يكن يتضمن هذه الكلمة؛ لكن السيد رئيس الجلسة، وزميلي العزيز الأستاذ أقديم شرفني بإعطائي الكلمة.

وأستغل هذه الفرصة التي لم أكن أنتظرها، لأعبر عن شكري أولا للسيد العميد ولأعضاء اللجنة المنظمة على دعوتهم لي للحضور، كما أنوه بموضوع الندوة وحسن اختيار هذا الموضوع.

ذلك أن الموضوع، يتعلق أولا بالسيرة النبوية المحمدية، وما أحوجنا اليوم لمعرفة هذه السيرة، لأنها المعبر الحقيقي عن الإسلام وعن توجهات الإسلام، في وقت كثر فيه الكلام عن هذا الموضوع، وكثرت الاتهامات لهذا الدين الحنيف. وإبراز السيرة النبوية المحمدية، هو إجابة عن كل ذلك.

ومن جهة ثانية، فإن الموضوع يتعلق بالسيرة النبوية في الدراسات الألمانية. فبالإضافة إلى الجانب المعرفي المتعلق بما كتب في ألمانيا، فهناك الجانب المنهجي الذي يمكن أن نستفيد منه في مثل هذه المناسبة؛ المنهج الذي اعتمده الأساتذة الألمان في دراسة السيرة النبوية، وكيف تعاملوا معها في القديم والحديث؛ ولعل في ذلك فائدة جلة للباحث، فلذلك أعتقد بأن الموضوع هو من الأهمية بمكان، وأنوه بأعضاء اللجنة المنظمة لاختيارهم هذا.

من جهة أخرى، أشعر بالسعادة الكبيرة لتناول الكلمة في هاته الجلسة، لأعبر عن اعتزازي بالتعاون مع زميلي الأستاذ أقديم، واعتزازنا في جامعة القرويين بالتعاون مع كلية الآداب سايس وكذا كلية الآداب ظهر المهراز؛ هذا التعاون الذي هو وحده، كفيل بتقديم الدراسات والبحث في المجال المشترك الذي نعمل فيه، مجال الدراسات الإسلامية.

إن هذا التعاون أصبح يفرض نفسه، خاصة في إطار النظام الجديد للدراسات ـ الدكتوراه ـ الذي تعتزم وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي على إدراجه في الأسابيع القادمة. هذا النظام الجديد، الذي كان موضوع ندوة وطنية يوم الجمعة الماضي، والذي يركز على أن البحث العلمي لم يعد بحث أفراد وإنما أصبح بحث مؤسسات، والذي يشجع العمل المشترك؛ لأن العمل المشترك، من شأنه أن يقوي مجال البحث، ومن شأنه أن يعطي النتائج المرجوة.

فلذلك أعبر من جديد عن سعادتي بوجودي معكم، وعن سعادة جامعة القرويين للتعاون مع كلتي الآداب، خاصة شعبتي الدراسات الإسلامية. ليس فقط المشاركة من خلال الندوات، كما يشارك فعلا بعض أساتذتنا في هذه الندوة، وليس فقط من خلال المشاركة في مناقشة الأطروحات أو في عضوية وحدات التكوين والبحث القائمة؛ ولكن أن يكون التعاون شاملا، لنكوّن قطبا للبحث في هذا المجال على مستوى مدينة فاس.

شكرا للجميع، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة السيد عبد الرحمن طنكول

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهراز. فاس

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس جامعة القرويين،
السيد عميد كلية الآداب سايس،
السيد الملحق الثقافي الألماني،
السيد ممثل مجلس المدينة ونائب رئيسه،
السيد مندوب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
السيد ممثل المجلس العلمي،
الأستاذ الصديق منسق هذه الندوة،
الأستاذ مدير مديرية الثقافة بفاس،
والأستاذ رئيس شعبة الدراسات الإسلامية.

أود بداية، أن أتقدم بخالص شكري للأستاذ العميد على دعوته لي إلى جانب السيد رئيس جامعة القرويين قصد المشاركة في هذه الجلسة الافتتاحية؛ كما أشكر بهذه المناسبة أيضاً، اللجنة التنظيمية على دعوتها لي للمشاركة في هذه الندوة ورئاسة إحدى جلساتها.

إنني جد سعيد بهذا الحدث الهام الذي يندرج في إطار الاحتفاء بفاس كعاصمة للثقافة الإسلامية. واختيار موضوع هذه الندوة "**السيرة النبوية في الكتابات الألمانية**"، كما ورد في تدخل السادة المشاركين في هذه الجلسة الافتتاحية، هو بالأهمية بمكان.

فلقد تفطن المستشرقين الألمان منذ القرن 18 لأهمية الثقافة الإسلامية واستفادوا منها، وبدأوا في التأسيس لدراستها على أسس علمية سليمة. وخير نموذج على ذلك، العمل الجبار الذي قام به بروكلمان، بوضعه بيبليوغرافيا شاملة للثقافة

العربية الإسلامية. وخير دليل كذلك على هذا الاهتمام وعلى غنى ما يميز الثقافة العربية الإسلامية، هو ما نجده في الإبداع. وخير دليل على ذلك، أعمال جوته التي تبين مدى أهمية التراث العربي الإسلامي، وبخاصة الدين الإسلامي الحنيف الذي تتميز به الشعوب الإسلامية. فأفردوا له دراسات كثيرة وأبحاث جد هامة، تبين بأن لدينا من المميزات في ثقافتنا العربية الإسلامية ما يشهد به العلماء والباحثون عبر مختلف أنحاء العالم. فإن كان لامارتين قد كتب كتابا عن محمد ﷺ، وفيكتور هيغو قد أشاد كثيرا بالثقافة العربية والإسلامية، وآخرون : كرنان واسترنان وغيرهم.

ورغم ما شاب تلك الدراسات من بعض الأحكام، التي أحيانا كانت أحكاما قدحية؛ لأنها ربما كانت لا تبنى على فهم جيد للتراث العربي الإسلامي. لكن على العموم، الشيء الذي كتب في إطار التعريف بالثقافة العربية الإسلامية، هو شيء يمكن أن نفتخر به، ويدعونا إلى إعادة قراءة تاريخنا وتراثنا وديننا قراءة جديدة. والندوة التي تنظمها كلية الآداب سايس اليوم، أعتقد أنها تندرج في إطار هذه القراءة الجديدة، التي تعيد الاعتبار لجوانب ربما لم نقف على أهميتها.

إذن، هذه الندوة لا يمكن إلا أن نحييها ونشدد على أهميتها، وعلى المبادرة التي جاءت من لدن شعبة الدراسات الإسلامية. وهي ليس فقط تكتسي أهمية لأنها تندرج في إطار الاحتفاء بفاس كعاصمة للثقافة الإسلامية، لكن في نظري تكمن أهميتها أيضا في كونها توجه الدراسة والدرس الأكاديمي اليوم نحو إعادة التعريف بقيمنا، وإعطاء الغرب صورة جديدة عن الثقافة العربية الإسلامية.

فمرة أخرى شكرا للسيد العميد إبراهيم أقديم على تشجيعه على تنظيم هذه الندوة، وشكرا لكل الشركاء الذين ساهموا في تنظيمها. فهذا شيء هام، وشيء ندعو له بالنجاح والتوفيق، وبالمزيد من الدراسات في المستقبل إن شاء الله.

كلمة السيد عبد الله معصر

رئيس شعبة الدراسات الإسلامية
بكلية الآداب والعلوم الإنيانية سايس. فاس

بسم الله الرحمن الرحيم،

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السيد عميد كلية الآداب سايس،

السيد عميد كلية الشريعة بفاس،

السيد عميد كلية الآداب ظهر المهراز،

السيد ممثل وزير الثقافة،

السيد ممثل رئيس مجلس مدينة فاس،

السيد المندوب الجهوي لوزارة الأوقاف بجهة فاس بولمان،

السيد ممثل المجلس العلمي المحلي لفاس،

السادة العلماء الأفاضل،

أيها الحضور الكريم.

باسم أساتذة شعبة الدراسات الإسلامية، نرحب بالضيوف الكرام، ونتمنى لهم مقاما طيبا، وأن تسفر هذه البحوث عن نتائج عملية تتجلى في سلوكنا العملي، بما يقربنا من رسول الله ﷺ.

نتمنى لكم النجاح في هذه الندوة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمة الدكتور سعيد المغناوي

مدير الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وقرة أعيينا محمد المصطفى الأمين،
وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

السيد نائب رئيس مجلس مدينة فاس،

والسيد الملحق الثقافي بالسفارة الألمانية بالمغرب،

والسيد المدير الجهوي لوزارة الثقافة بجهة فاس بولمان،

والسيد رئيس جامعة القرويين بالنيابة وعميد كلية الشريعة بفاس،

والسيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس ـ فاس،

والسيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس،

والسيد المندوب الجهوي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بجهة فاس بولمان،

والسيد الكاتب العام للمجلس العلمي المحلي لفاس،

والسيد المنسق العام لاحتفالية فاس،

والسيد رئيس شعبة الدراسات الإسلامية،

والسادة العلماء والأساتذة الفضلاء،

إخواني الطلبة،

أيها الحضور الكرام.

اسمحوا لي في البداية أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم من قريب أو بعيد في تنظيم هذا الملتقى الثقافي البهيج وفي مقدمتهم: وزارة الثقافة، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والمديرية الجهوية لوزارة الثقافة بجهة فاس بولمان، ومعهد جوته الألماني بالرباط، والجماعة الحضرية لمدينة فاس، ومقاطعة سايس.

أيها الحضور الكرام.

إن مجموعة البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز، التي تهدف إلى :

- الإسهام في خدمة السنة والسيرة النبوية.
- والتركيز على دلائل النبوة فيهما.
- والتأكيد على صدق نبوة رسول الله ﷺ .
- وتعميق الصلة بين المهتمين برسول الله ﷺ.

تريد من خلال هذه الندوة، أن تفتح باب النقاش بين المهتمين بشخصية رسول الله ﷺ في ألمانيا والعالم الإسلامي. وتريد من خلالها كذلك أن تساهم في الحوار بين الثقافات والحضارات.

وحتى لا أطيل عليكم، سأترككم تستمتعون بالموضوعات المهمة التي سيقدمها المشاركون في هذه الندوة المباركة.

نرحب بالجميع، وفي مقدمتهم ضيوفنا الكرام.

وعلى بركة الله نفتتح هذه الندوة.

وأدعوكم قبل بدايتها، لزيارة المعرض الذي أقمناه على هامشها.

كلمة السيد إبراهيم أقديم

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

سايس . فاس .

اسمحوا لي سيادة الملحق الثقافي بالسفارة الألمانية، أن أعبر لكم عن شكري الجزيل للدعم الذي قدمتموه لعقد هذه الندوة التي تهدف إلى بلورة قراءة جديدة للشراكة حول موضوع أكد الجميع أهميته. ولعل أهم ما نستخلصه من كل المداخلات التي وردت أثناء هذه الندوة هو تأكيد المشاركين على مكانتها ورمزيتها التي تكمن في نظري، في تنظيمها بفاس، لأنها تذكر أساسا بتاريخ المدينة الغني، إلى جانب تعزيزها لقيم الاعتدال، والانفتاح، والحوار.

وتسعى هذه الندوة إلى تطوير مقاربة جديدة يأخذ فيها الباحثون وجهات نظر بعضهم البعض بعين الاعتبار، وكذا الإجابة عن بعض الأسئلة، من قبيل هل يمكننا التحدث عن أنفسنا وعن الآخرين؟ وما هي جوانب القوة والضعف في ذلك؟ ... وبمعنى آخر، ما هي الجوانب التي تشجع على الاتصال بين الشرق والغرب؟ ولقد أشار العديد من المتدخلين إلى دور الاستشراق العلمي الذي لم يتأثر بالإيديولوجيات، والذي شارك في تنمية العالم العربي الإسلامي، في بناء جسور هذا الاتصال. ومن بين المستشرقين الذين اعتمدوا هذا المنهج، نذكر: "ويهان كويت"، و"أنا ماري شميث"، و"بروكلمان"، وغيرهم.

ولا يخفى على أحد أن التراث الإسلامي غني جدا، لذا وجب علينا السعي بشتى الطرق إلى التعريف به، وإلى تطوير مقاربة الاتصال بين الشرق والغرب، خاصة وأننا للأسف، نشهد في الوقت الراهن بعض الطائفية من الجهتين والتي تحاول زرع بذور الشقاق بيننا يمكن أن تكون لها عواقب وخيمة وكارثية. لذا وجب علينا جميعا، ألماناً ومغاربة، أن نتحمل جزءاً من أعباءِ هذا العمل وأن نتكفل بنفقات إجراء بحوث في هذا الصدد، وأن نسعى بكل الطرق الممكنة إلى إخراجها إلى حيز الوجود. وكان السيد مندوب الشؤون الإسلامية قد اقترح علي أثناء ندوة من الندوات ترجمة كتاب الشفاء للقاضي عياض، وغيره من الكتب الأخرى.

وفي الختام، اسمحوا لي باسم الجامعة والكلية أن أجدد شكري لكل من دعم هذه الندوة، وهم كثر، وأن أدعو إلى تعزيز علاقات التعاون وتنويعها مع شعب وتخصصات أخرى... وأعتقد جازما أن مثل هذا التعاون سيكون له الأثر الكبير على التكوين والبحث في بلدينا.

أشكر لكم كريم اهتمامكم.

كلمة السيد يورغن وولك

الملحق الثقافي بالسفارة الألمانية بالمغرب

اسمحوا لي بداية أن أعرب لكم عن عميق امتناني على دعوتكم الكريمة لي لحضور افتتاح هذه الندوة، وأن أستميحكم عذرا لتحدثي باللغة الفرنسية عوض التحدث بلغتكم الجميلة، التي لا أجيدها للأسف.

لا أخفيكم أنني اندهشت بداية عندما تلقيت دعوة الجامعة لحضور هذه الندوة التي تعقد تحت عنوان "**السيرة النبوية في الكتابات الألمانية**". والسبب في ذلك صراحة هو أنني لم أر وقتها أي علاقة بين سيرة الرسول الكريم وبين الكتابات الألمانية، وبالتالي، فإنه لم يخطر لي حينها أن للإسلام تأثيرا في الأدب الألماني؛ لذا قمت فورا بإجراء بحث بسيط على الإنترنيت لأفاجأ مرة أخرى ببعض الكلمات المفاتيح التي حصلت عليها من محرك البحث " غوغل"، الذي غمرني بعد ذلك مباشرة بكم هائل من المعلومات. وكمثال على النتائج التي حصلت عليها، فقد وجدت أن كاتبنا وشاعرنا الكبير "غوثة" كان شديد التأثر بالإسلام، خاصة وأننا في الغرب ننظر دائما إلى الشرق على أنه ذلك العالم الذي يلفه الغموض. وما يثير الاهتمام أيضا هو أن "غوثه" كان قد أجرى عدة بحوث في هذا المضمار واستلهم العديد من القيم الإنسانية والروحية من دينكم. ولهذا، فقد أدركت أن ندوة كهذه ينبغي أن تنظم أيضا بألمانيا لأنني واثق من أن أغلبية الألمان لا يعلمون أن فلاسفتنا وكتابنا وحتى أدبنا كان ولا يزال - مهتما بالإسلام، بل ومتأثرا ومعجبا به كل الإعجاب.

وبصفتي ممثلا للسفارة الألمانية، فإنه لا يسعني إلا أن أعرب عن سعادتي لعقد هذه الندوة التي نظمت بمساعدة جد بسيطة من كل من مركزنا الثقافي ومركز غوثه، الذي يمثله خبير ألماني يحضر لإغناء النقاش.

ولما كانت مدينة فاس العاصمة الروحية للمغرب، فإنها المكان الأنسب لاحتضان ندوة كندوتنا هاته. وأتمنى أن تكون هذه الندوة بداية للعديد من اللقاءات المثمرة التي

أرى أننا في أمس الحاجة إليها، لا سيما أننا نحن الألمان نجهل الكثير في هذا الصدد. ومن ناحية أخرى، فإننا كنا دائما نعتقد أن الحوار بين الإسلام والغرب قد أصبح ضرورة بعد هجمات 11 سبتمبر. والحقيقة، أن هذه الأحداث المأساوية لم تكن الوحيدة وراء هذا التوجه وإنما كانت هناك العديد من مظاهر التبادل التي تنبغي المحافظة عليها وتعزيزها، بما يكفل التأثير والتأثر بين الطرفين.

أشكر لكم كريم اهتمامكم.